بطريركية الأقباط الكاثوليك

دراسات عقائدية

- ١ -

مريم العذراء

المنزهة عن الخطيئة الأصلية



القمص باسيلي فانوس

دراسات
عقائدية

مريم العذراء
المنزهة عن الخطيئة الأصلية

بطريركية الأقباط الكاثوليك
كوبري القبة

دراسات عقائدية
- ١ -

مريم العذراء
المنزهة عن الخطيئة الأصلية

(التفسير الصحيح لعقيدة " الحبل بلا دنس ")

القمص باسيلي فانوس

اسم الكتاب : مريم العذراء المنزهة عن الخطيئة الأصلية

اسم المؤلف : القمص باسيلي فانوس

الغلاف تصميم : الفنان رياض نسيم

اسم الناشر : بطريركية الأقباط الكاثوليك

رقم الإيداع بدار الكتب ٢٩٧٩ / ١٩٩١

إهداء الكتاب

إليك ياطاهرة

إليكِ أيتها المطوَّبة من جميع الأجيال .

إليكِ أيتها الأم الخالصة من كل شائبة .

إليكِ أيتها المكرمة أكثر من الملائكة والقديسين .

إليكِ يا من هي أرفع قدراً من الشاروبيم وأسمى مقاماً من السارافيم .

إليكِ يا من إستحققتِ أن يَحل الروح القدس عليكِ وقوة العلي تُظللك .

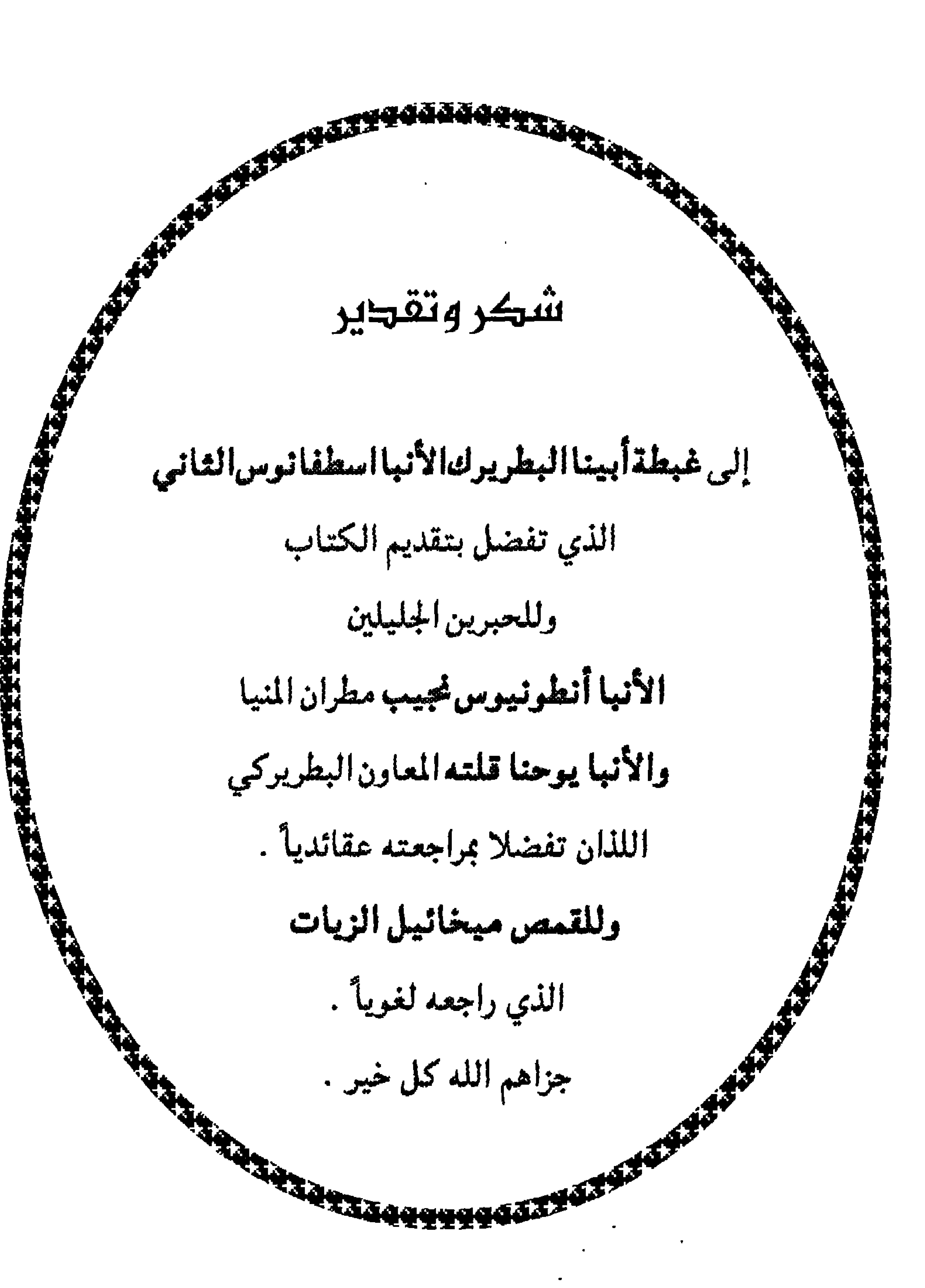
إليكِ يا من وجدتِ نعمة عند الله ، أيتها المباركة في النساء .

إليكِ أيتها الشفيعة المكرمة والدة الإله القديسة مريم .

إليكِ يا أقدس مخلوق عاش على وجه الأرض .

إليكِ يا من كنتِ لي نوراً وعوناً وهدايةً ،

أضع تحت عنايتك هذا البحث .



شكر وتقدير

إلى غبطة أبينا البطريرك الأنبا اسطفانوس الثاني

الذي تفضل بتقديم الكتاب

وللحبرين الجليلين

الأنبا أنطونيوس نجيب مطران المنيا

والأنبا يوحنا قلته المعاون البطريركي

اللذان تفضلا بمراجعته عقائدياً .

وللقمص ميخائيل الزيات

الذي راجعه لغوياً .

جزاهم الله كل خير .

كوبري القبة في ٢٥ مارس ١٩٩٠

تقديم الكتاب

يُسعدني أن أقدّم للقرّاء الكرام كتاب **"مريم العذراء المنزّهة عن الخطيئة الأصلية"** - بقلم القمص / باسيلي فانوس ، الوكيل العام لبطريركية الأقباط الكاثوليك - . ويُعتبر هذا الكتاب فاتحة لسلسلة مؤلفات تُعدّها بطريركية الأقباط الكاثوليك ، تحت عنوان " دراسات عقائدية " .

وقد يَجيء كتاب القمص / باسيلي فانوس في الوقت الملائم ، حيث أن الكنيسة القبطية الكاثوليكية تحتفل بمناسبتين سعيدتين : أولهما ، في أعقاب السنة المريمية ، التي احتفلت بها الكنيسة الكاثوليكية من عيد العنصرة - ٧ يونيو ١٩٨٧ - إلى عيد انتقال سيدتنا مريم العذراء نفساً وجسداً إلى السماء - ١٥ أغسطس ١٩٨٨- .

وان هذا الكتاب الذي يُثبت عقيدة عصمة مريم العذراء من الخطيئة الأصلية - أو كما يُقال عامة " الحبل بلا دنس " - يُصبح مِسك الختام للحفلات العديدة والمتنوِّعة التي قامت بها الكنيسة الكاثوليكية في أنحاء العالم ، شرقاً وغرباً ، تمجيداً لأم الله ، مُحققة بذلك نبوءة العذراء مريم لدى زيارتها لنسيبتها القديسة أليصابات : " فها منذ الآن تُطوبّني جميع الأجيال " (لو ١:٤٨) . - وكان الشرف لكنيستنا القبطية الكاثوليكية بأن تختتم هذه السنة المريمية بكنيسة القديسة مريم الكبري في مدينة روما العظمي - بدعوة خاصة من قداسة الحبر الأعظم البابا يوحنا بولس الثاني وتحت رعايته - بإقامة صلوات رفع البخور وترانيم " الثيؤذوكيات " مساء الأحد الموافق ١٤ أغسطس ١٩٨٨ .

ويُهدي هذا الكتاب باقة زهور عَطرة لتلك التي وصفها الروح القدس " جنّة مقفلة، ينبوعاً مقفلاً ، وعيناً مختومة " (نشيد ٤:١٢) . وهي التي حيّاها الملاك جبرائيل من قِبل الله : " السلام عليك ، يا ممتلئة نعمة ، الرب معك ، مباركةٌ أنتِ في النساء " (لو ١:٢٨) .

أمّا المناسبة الثانية الطيبة فهي مواصلة الحوار المسكوني القائم بين كنيستنا القبطية الكاثوليكية وشقيقتها الكنيسة القبطية الأرثوذكسية حول العقائد الإيمانية والأمور الرعوية.ويُعتبر هذا الكتاب الذي نقدّمه مساهمة فعّالة في أعمال هذا الحوار البنّاء .

وفي الحقيقة ، أخذ القمص/ باسيلي فانوس على عاتقه ، أن يُبيّن بوضوح موضوعي المفهوم الحقيقي لهذه العقيدة الإيمانية للحبل بمريم مُنزهة عن الخطيئة الأصلية ، وهي التي ترنّم بها صاحب نشيد الأناشيد : " كُلّك جميلة يا خليلتي، ولا عيب فيك " (نشيد ٤:٧) . ثم دّعم العقيدة بالبراهين الراسخة والأدلة القاطعة المقتبسة من نصوص الكتاب المقدس في عهديه القديم والجديد ، ومن أقوال الآباء القديسين في الكنيستين الشرقية والغربية ، ومن الصلوات الطقسية والنصوص العريقة في القدم في مختلف الكنائس الشرقية : البيزنطية والسريانية والكلدانية والأرمنية والمارونية ، وخصوصاً من صلوات طقوس كنيستنا الإسكندرية المجيدة والتي نمارسها نحن وإخوتنا الأقباط الأرثوذكس على السواء .

وإنني إذ أهنيء الأب الجليل على ما قام به من بحث دقيق وتعبير واضح وأدلة ساطعة لإثبات هذا المعتقد من إيماننا القويم ، أرجو للكتاب التوفيق والرواج وإقبال القُرّاء على اقتنائه و استيعاب ما جاء فيه ، للتعمق في أصول ديانتنا المسيحية . وألتمس للكاتب وللقرّاء أجمعين النعم الإلهية الوفيرة ، بشفاعة أم الفادي الإلهي الفائقة الطُهر والكاملة القداسة ، ، ،

صدر من مقرنا البطريركي بكوبري القبة

في ٢٥ مارس ١٩٩٠ م - الموافق ٢٩ برمهات (مصحح) ١٧٠٦ ش

عيد بشارة الملاك جبرائيل لمريم العذراء بالحَبَل الإلهي .

† الأنبا إسطفانوس الثاني

بطريرك الإسكندرية وسائر الكرازة المرقسية

للأقباط الكاثوليك

مقدمة

يسعدني في هذه الأيام المباركة ، في أعقاب السنة التي خصّصتها الكنيسة الكاثوليكية الجامعة لتكون سنة مريمية مقدسة للعالم أجمع ، ومع افتتاح السنة المريمية المحلية الجديدة - اعتباراً من ١٣ مايو سنة ١٩٩١ حتى ١٣ أكتوبر سنة ١٩٩٢ - التي أقرها مجلس البطاركة والأساقفة الكاثوليك بمصر استعداداً لليوبيل الماسي لظهور العذراء مريم في مدينة فاتيما (بالبرتغال) ، أن أبرز للمؤمنين قَبساً من نور وجه مريم المشرق ، في حوار هادىء وهادف نحو إيمان الكنيسة المقدسة بعقيدة الحبل بالعذراء منزّهة عن الخطيئة الأصلية ، رداً على تساؤلات الكثيرين من أبناء شعبنا المبارك وذوي الإرادة الصالحة الذين يرغبون في التعرف على عقيدتهم ولم تسمح لهم الظروف الحياتية بالإطلاع على ما كُتب في هذا الصدد.

فأقدم لهم في بحث مستفيض مضمون العقيدة ، وتفسيرها ، وتاريخها ، وإثباتها من الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد ، كما أستشهد أيضاً بأقوال آباء الكنيستين الشرقية والغربية ، وأخيراً مضمون العقيدة عبر التاريخ من خلال النصوص الطقسية العريقة في القدم في مختلف الكنائس الشرقية .

والتمس إلهام الروح القدس ومعونته ، وشفاعة ذات الشفاعات أمنا الحنون لنتعرف على ذلك السر المكنون .

القمص باسيلي فانوس



عقيدة تنزيه العذراء مريم عن الخطيئة الأصلية

الفصل الأول

معني ومفهوم العقيدة

يتساءل البعض كيف تعتقد الكنيسة الكاثوليكية بأن مريم العذراء مُنزهة عن الخطيئة الأصلية ، أي أنه قد حُبل بها بلا دنس ، علماً بأنه معروفٌ لدى الجميع أن والدها هو يواكيم ووالدتها هي القديسة حِنة ، فلماذا لا تخضع مريم لشريعة الخطيئة الأصلية أسوة بسائر البشر؟

للإجابة على هذا السؤال ، يجب أن نوضح مفهوم الخطيئة الأصلية ، وما يقصده الكاثوليك بعبارة : " الحبل بلا دنس " أي الحبل بالعذراء مريم منزهة عن الخطيئة الأصلية ، إذ بكل أسف يتخبط الكثيرون في فهم هذه العقيدة وينسبون كثيراً من الإفتراءات إلى الكنيسة الكاثوليكية دون توخي الحقائق .

وليكن واضحاً كل الوضوح أن الدنس هنا ليس معناه الجماع الزواجي القائم على الإتصال الجنسي بين الرجل والمرأة ، فإن الزوجين حين يمارسان هذا الفعل فإنهما يتممان إرادة الله الآمرة : " إنموا وأكثروا وإملأوا الأرض " [1]. ولا يترتب على ذلك أي خطيئة أو دنس .

أما عن كيفية توارث البشر للخطيئة الأصلية فلا يُمكن القول أن الإنسان يُولد بالخطيئة الأصلية بسبب الدم الواصل إليه من آدم عن طريق التوالد والتناسل فإن الخطيئة الأصلية هي حالة في النفس لا يمكن أن تتوارث عن طريق الجسد ، إنها حالة الطبيعة البشرية الخاطئة في حق الله ، وينغمس فيها كل إنسان بإعتباره فرداً من أفراد الطبيعة البشرية الخاطئة ، ويتوارثها البشر عبر الأجيال ضمن مجموعة العناصر النفسية التي تُكوِّن بشريتهم ، في لحظة إفاضة النفس البشرية في المادة الجسدية .

وبناءً عليه يجب أن نستبعد الفكرة السائدة والقائلة بأن كل مولود من أبٍ وأمٍ بالطريقة الطبيعية فإنما هو مولود بالخطيئة الأصلية (بالدنس) بسبب الفعل الزواجي الذي تم بين

(١) تك ١ : ٢٧

والديه ، أو بسبب الدم الواصل إليه من آدم .

ولا يخفى على أحدٍ أن العذراء مريم ، حَمَلَت بها أمها القديسة حِنة من والدها يواكيم، طِبقاً للسُنن الطبيعية ، فهي مَولودة من زرع بشري شأنها شأن سائر البشر ، وبالطريقة التي رسمها الله لنمو الجنس البشري .

والمقصود بعبارة " الحبل بالعذراء بلا دنس " هو تنزيه مريم عن حالة الطبيعة البشرية الخاطئة التي يُولد فيها كل إنسان ، فكل بَشَر يُولد خالياً من نعمة الله المبررة بإعتباره عضواً في الطبيعة البشرية الخاطئة ، لأن " الجميع زاغوا وفسدوا وليس من يَعمل الصلاح ولا واحد".

أما مريم فقد إختارها الله منذ الأزل لتكون أماً لإبنه الحبيب ، الذي سيتجسد لفداء البشرية ، فوقاها من كل شائبة وكل شبه خطيئة ، وزينها بكل النعم والمواهب الطبيعية والفائقة الطبيعة حتى يجعلها جديرة بأن تكون أماً لإبنه الإلهي .

وقد تَطرَّف البعض في فهم هذا الإنعام الخاص والفريد ، فظنوا أن العذراء - التي زينها الله بكل النعم والمواهب - قد حَبِلت بها أمها القديسة حِنة بفعل الروح القدس ، بدون زرع بشري وبدون تدخُل رجل ، وهكذا خلطوا بين معجزة حَبَل العذراء مريم بيسوع - الذي تم وهي لا تزال بكراً ولم تعرف رجلاً - وبين حَبَل والدتها بها ، وتوهموا أنه قد حُبل بها كما حَبِلت هي بيسوع .

والفرق بين الإثنين شاسع وجسيم ، فإن عصمة السيد المسيح من وصمة الخطيئة الأصلية هي حق واجب بإعتباره إلهاً مُنزهاً عن كل خطيئة ، أما نقاء مريم العذراء وبراءتها من الخطيئة الأصلية فهو ترتيباً مسبقاً من الله القدير قبل أن يُحبل بها ، وإنعاماً خاصاً أعطي لها منه تعالى تمهيداً لميلاد إبنها المسيح الفادي .

مضمون العقيدة

يعتقد المسيحيون بكل طوائفهم أن الخطيئة الأصلية تتوارثها الأجيال منذ بدء الخليقة متسلسلة إلى جميع أفراد الجنس البشري ، أما الكاثوليك فيُضيفون أن مريم العذراء وحدها قد وُجدت مُنزهة عن هذه الخطيئة ، فهي التي دخلت إلى العالم وهي ممتلئة بالنعمة وذلك منذ لحظة الحبل بها من أبويها ، وهذه النعمة الخاصة قد أعطيت لها بصفة فريده وإستثنائية نظراً لإستحقاقات إبنها المسيح الفادي ، فلكي يتجسد ويصير إنساناً كاملاً ، كان لابد له من طبيعة إنسانية كاملة ، غير ملوّثة بالخطيئة ، لذلك وجب أن تكون تلك الأم التي سيأخذ منها طبيعته البشرية ، طاهرة وبريئة من كل دنس خطيئة ، ومن هنا نتج ضرورة مَنح العذراء - بالرغم من كونها حُبل بها طبيعياً كأي إنسان بشري - إمتيازاً خاصاً يُحررها من الخطيئة الأصلية التي يتوارثها الجنس البشري ، وهكذا تكون العذراء قد تمتّعت بالنعمة المبررَة وهي بعد في أحشاء أمها ، وهي حالة النعمة التي تمتّع بها الإنسان الأول في لحظة خروجه من يد الله ، فإن الله كان قد إنتخبها منذ الأزل أماً له .

الفصل الثاني

شرح العقيدة

أولاً مفهوم الخطيئة الأصلية :

في فجر الأزمان ، ومنذ بدء الخليقة ، كوَّن الله الإنسان من تُراب الأرض ونفخ فيه نسمة الحياة ، فأصبح نفساً حية مخلوقة على صورة الله ومثاله ، إنه الكائن الوحيد القريب من الله أكثر من سائر المخلوقات ، وقد أفاض الله عليه جميع المواهب والنعم والإمتيازات التي يتمناها البشر ، كالعلم والحكمة والسعادة ، ووعده بخلود النفس والجسد أيضاً ، وجعله شريكاً في الحياة الإلهية بأن أفاض فيه النعمة المبررة ، ولم يكن آدم ليفقه وجوداً للموت والعذابات والجهل والميل إلى الشر ، بل كان مع حواء قرينته يتنعمان في الفردوس ويسودان على كل شيء ، وكل كائن يَدب على وجه الأرض .

ولما خالف الإنســان أمـر الله ، جلب على ذاته عقوبة الموت ، إذ قال له الرب الإله : " أنت تراب وإلى التراب تعود " . (١)

وفقد الإنسان الأول الإمتيازات العديدة التي كان الله قد خَصَّه بها ، وفقد أيضاً النعمة المبررة التي كانت تجعله متحداً به تعالى ، لذلك فإنه لا يمكنه أن يُورِّث هذه النعم لأبنائه ، بعد أن أضاع كل شيء وطُرد من الفردوس .

ويريد الكتاب المقدس من خلال هذه الرواية : أن يذكر لنا أنه فضلاً عن التمرد الخارجي فإن فعلاً باطنياً هو السبب في هذا التمرد الظاهر ، فيفسِّر لنا واقع الخطيئة الذي يختبره الإنسان في ذاته ومع الآخرين ، ويشرح لنا مفهوم الخطيئة وعلاقتها بالله والإنسان ونتائجها التي عمَّت على الجنس البشري أجمع .

وفي مقارنة بين الفصل الأول من سفر التكوين ومثل الإبن الشاطر (لو ١٥: ١١-٣٢)

---

(١) راجع (تك ٣ : ١٩)

نجد أنه : بينما يخرج آدم وحواء من الجنة أي من شركة الحياة مع الله ، يعود الإبن الشاطر إلى بيت أبيه ، بعد أن إختبر أن لا حياة له إلا بالقرب من أبيه .

وكأن يسوع يُشير إلى أن مسؤولية مغادرة الفردوس والإبتعاد عن الله تقع كلها على عاتق الإنسان الذي بملء إرادته غادر البيت الأبوي . أما الله فلا يزال ذلك الآب المحب الرحيم الذي ينتظر عودة أبنائه إليه ليغفر لهم ويُعيد إليهم الحياة .

وللحية دورٌ هام في هذه الروايه ، فإن الأدب المصري القديم كان يُصور الحية وهي تعترض آلهة الشمس لمنعها من الظهور أمام الشعب ، وفي الأساطير البابلية القديمة تَلعب الحية دوراً مماثلاً للدور الذي تلعبه في قصة آدم وحواء فهي التي تَسرق من البطل "نَبتَة الحياة" التي إستطاع الحصول عليها بعد عناءٍ كثير .

ولا شك أن إختيار الكتاب المقدس للحية قد تأثر بآداب الشعوب المجاورة ولكن تعليمه عن الخطيئة وأسبابها مخالف لتعليم الأديان القديمة : فبينما يرى البابليون أن الآلهة هم الذين خَلقوا البشر خطأة وأشراراً ، يعتبر سفر التكوين أن الخطيئة ليست من طبيعة الإنسان بل بدأت بتجربة من الخارج ، في مقدوره أن يرفضها ، فهو إذاً المسؤول عن الخطايا التي يرتكبها .

ثانياً : تقوم الخطيئة في رفض الإنسان لطاعة الله :

يخاطب الله الشعب على لسان موسى قائلاً :

" الوصية التي آمرك بها اليوم ليست فوق طاقتك ... لا هي في السماء ، فتقول من يَصعد إلى السماء فيتناولها ... ،

ولا هي في عبر البحر ، فتقول من يقطع لنا البحر ويُسمعنا إياها فنعمل بها ، بل الكلمة قريبة منك في فمك وفي قلبك لتعمل بها .

أنظر . إني قد جعلت اليوم بين يديك الحياة والموت ، الخير والشر ، إن زاغ قلبك ولم تَسمع .. فقد أنبأتكم اليوم أنكم تهلكون هلاكاً ..

وقد أشهدت عليكم اليوم السماء والأرض بأني جَعلت بين أيديكم الحياة والموت، البركة

واللعنة ، فإختر الحياة لكي تحيا أنت وذريتك " . [1]

ونرى في هذا النص التشريعي العبارات نفسها التي تتردد في رواية آدم وحواء فالحـياة والمـوت ، والخير والشر هي بين يدي الإنسان ، فإن سمع وصية الله حَصُلَ على الحياة، وإلا نال الموت واللعنة وهلك هلاكاً .

إن شجرة معرفة الخير والشر التي يتكلم عنها سفر التكوين لا تعني مجرد التمييز بين الخير والشر ، فهذا من مميزات الإنسان العاقل ، ولكنها تُشير إلى أعمق من ذلك ، تُشير إلى السلطة علي تقدير ما هو خير ، وما هو شر ، وهذا أمر محفوظ لله الذي يُعلّم الإنسان ما هو الخير وما هو الشر ، في ما يُعطيه له من شرائع ووصايا .

فخطيئة الإنسان الأول إذاً تقوم ليس فقط في التمرد على الله ورفض وصاياه ، ولكن أيضاً في رغبة الإنسان في أن يقوم مقام الله للبت في الخير والشر ، فيعتبر الإنسان نفسه أنّه هو المقياس ، وهو صاحب القرار ، فيتصرف كما يحلو له ، ويرفض التبعية لخالقه ، وهكذا تفسد العلاقة التي تربط الإنسان بالله .

وهنا لابد من الإشارة إلى أنّه لا تناقض بين وصايا الله وخير الإنسان ، فالله لا يوصي إلا بما يَقود الإنسان إلى الخير ويمنحه الحياة ، لذلك فإن مخالفة الإنسان لوصايا الله هي في الوقت نفسه مخالفة لما يقود الإنسان إلى خير ذاته ، فينمو مستقلاً بعيداً عن روح الله

ثالثاً : نتائج الخطيئة الأصلية :

كان من الطبيعي أن يشعر آدم وحواء بأنهما خالفا أمر الله لهما ، وهذا هو صوت الضمير في الإنسان ، وقبل حلول العقاب عليهما شعَرا بضرورة الإختباء من وجه الرب الإله بين أشجار الجنة . (تك ٣ : ٨) .

لذلك يقع على الإنسان عبء المسؤولية عن الذنب الذي إرتكبه ، لأنه هو الذي شاء أن ينبذ الله ويهرب من وجهه ، فيشعر أن طَرده من الفردوس كان نتيجة عمله ، ويتأكد أن الوعيد بالعقاب لم يكن أكذوبة ، لأنه تحقق فعلاً ، فإنه بعيداً عن الله لا سبيل إلى البلوغ

---

(١) تثنية الإشتراع ٣٠ : ١١ - ٢٠

إلى شجرة الحياة (تك ٣ : ٢٢) وقد عبَّر الكتاب المقدس عن نتائج الخطيئة في ثلاث صور مختلفة :

١- الخجل من العُري :

" فانفتحت أعينهما فعلما أنهما عُريانان ... "

إن الإبتعـاد عن اللـه لا يقود الإنسان إلى المعرفة والحكمة - كما قالت لهما الحية - " تنفتح أعينكما فتصيران كآلهة عارفي الخير والشر " ، بل تقوده إلى إكتشاف عُريّه .

والعُري هنا معناه ضعف الإنسان وعجزه ، فالإنسان الذي يسمع كلام الشرير المحتال يُصبح مثله شريراً ومُحتالاً .

والخجل من العُري هو أخيراً تعبير واقعي عن سيطرة الشهوة على الإنسان ، فالنتيجة الأولى التي تقود إليها الخطيئة هي أنها تجعل الإنسان خجلاً من نفسه ، عاجزاً إزاء شهواته ، شريراً إزاء الآخرين .

٢- فقدان الحياة مع الله :

" ثم أخرج الرب الإله الإنسان من جنة عدن ليحرث الأرض التي أُخِذَ منها " إن " جنة عدن " أو " فردوس النعيم " هي صورة مُصَغَّرة لحياة الإنسان مع الله ، والخروج من الجنة تعبير عن فقدان الإنسان الشركة مع الله .

لقد رفض الإنسان شريعة الله التي تحدد له " الخير والشر " ، وأراد أن يكون إله نفسه، وشريعة لنفسه ، فقطع العلاقة الشخصية التي كانت تربطه بالله ، فلا عجَب إذا شَعرَ الإنسان أنه أصبح بعيداً عن الله ، أو أن الله أصبح غريباً عنه .

٣- التعب والمشقة :

قال الرب الإله للمرأة : " لأكثرّن من مشقات حَملك ، بالألم تلدين البنين ، وإلى بعلك تنقاد أشواقك ، وهو يسود عليكِ "

وقال لآدم : " ملعونة الأرض بسببك ، بمشقة تأكل منها طول أيام حياتك ، شوكاً وحسكاً تُنبِت لك ، وتأكل عُشب الصحراء ، بعرقِ جبينك تأكل خبزَك ، حتى تعود إلى الأرض

التي أُخِذتَ منها . "

إن النتيجة الثانية التي تقود إليها الخطيئة هي الخلل في العلاقات بين الإنسان ونفسه، وبين الإنسان والآخرين ، وبين الإنسان وعمله ، وقد أورد الكاتب أمثلة عن هذا الخلل في الألم الذي يُرافق الولادة ، والتعب الذي يُرافق الحمل ، وعدم الإنسجام في العلاقات بين الإنسان وأخيه الإنسان .

فإنه عَقِبَ إرتكاب المعصيةِ مباشرةً ، تنَكَّر آدم لتضامنه مع تلك التي أعطاها الله له معينة (تك ٢ : ١٨) ، بإلقائه المعصية عليها ، ثم إمتدت المعصية إلى أبناء آدم فقتلَ قائين أخاه هابيل ، ثم سادَ العنف وشريعة الأقوى على البشرية جمعاء وتغلغل سلطان إبليس فتفاقمت الخطيئة أمام الله ، وتفشي الشر بين البشر ، إلى أن دمَّر الله الخطيئة والبشر بواسطة الطوفان . (تك ٦ : ١٣ - ١٥)

والنصوص التي تُثبت تَوَرُّط البشرية جَمعاء في الخطيئة الأصلية وبعد عن الله عديدة في الكتاب المقدس نذكر منها على سبيل المثال :

- رسالة القديس بولس إلى أهل أفسس (٢ : ٣) " إننا أصبحنا بالطبيعة أبناء اللعنة الإلهية والغضب السماوي " وعليه فإن كل مولود بحكم ولادته ، يكتسب حالة الطبيعة البشرية التي وُجِدَ فيها ، وأصبح فرداً من أفرادها .

ولما كانت هذه الطبيعة البشرية خاطئة بطبيعتها ، لأننا أصبحنا بالطبيعة أبناء اللعنة الإلهية والغضب السماوي لذلك أصبح هو أيضاً ضمن هذه الطبيعة البشرية الخاطئة ، فسرَت إليه اللعنة الإلهية والغضب السماوي .

وبمعنى آخر أصبح ضمن الطبيعة البشرية الخاطئة في حق الله وبالتالي هو منفصل عن الله وبعيداً عنه .

- وتأكيداً لهذا المعنى يقول داود النبي : " بالآثام حُبِلَ بيَّ وبالخطايا ولدتني أمي " (١)

- وجاء في رسالة القديس بولس إلى أهل رومية (رو٥ : ١٨) :

" كما أنه بذلة واحد كان على جميع الناس القضاء ، كذلك ببر واحد يكون جميع

(١) مزمور ٥٠ : ٧

الناس تبرير الحياة " . لأنه كما جُعِلَ الكثيرون خطاة بمعصية واحد ، كذلك بطاعة واحد يجعل الكثيرون أبراراً .

– وجاء في رسالة القديس بولس إلى أهل رومية (رو ٥ : ١٢ – ١٤) :

" كما أنه بذلة واحد دخلت الخطيئة إلى العالم وبالخطيئة الموت ، هكذا إجتاز الموت إلى جميع الناس بالذي جميعهم خطئوا فيه "

وإستناداً إلى هذه الترجمة : " بالذي جميعهم خطئوا فيه " ، أكد آباء الكنيسة الغربية أن جميع الناس قد أخطأوا في آدم ، وهكذا يُصبح آدم هو المسؤول الأول عن دخول الخطيئة إلى العالم .

أمّا آباء الكنيسة اليونانية فنظروا إلى خطيئة آدم بإعتبارها الخطيئة الأولى ، ولكنَّ الجميع قد أخطأوا بعد الإنسان الأول ، فالخطيئة الأصلية مكوَّنة في نظرهم ليس من خطيئة آدم فحسب ، ولكن أيضاً من جميع خطايا البشر الذين سلكوا طريق آدم .

لذلك فإنه بينما ينظر القديس أغسطينوس ومعه جميع آباء الكنيسة الغربية إلى الخطيئة الأصلية من حيث أصلها التاريخي ، فيتكلمون عن خطيئة أصلية إقترفها آدم وإنتقلت منه بالوراثة إلى جميع البشر ، يتطلع آباء الكنيسة اليونانية إلى الخطيئة الأصلية في واقعها الإنساني الشامل ، وفي هذه النظرة الأخيرة تتجلى مسؤولية الخطيئة بإعتبارها مسؤولية شخصية ، يتحملها جميع البشر كما تحملها الإنسان الأول .

رابعاً : عمومية الموت والخطيئة :

ويستدل الأنبا ثيودوسيوس بطريرك الإسكندرية (+ ٥٦٥) على وجود الخطيئة الأصلية من وجود الموت وشموليته ، ويسميها القذارة الموروثة في الطبيعة [١] لأنه إذا كانت شريعة الموت واجبة التطبيق على جميع البشر ، وجب القول بالتبعية بسريان الخطيئة الأصلية إلى جميع البشر .

وقد تطرّق الموت إلى جميع البشر ، حتى إلى الذين ليس في إستطاعتهم إرتكاب آثام

(١) موسوعة الآباء اليونانيين MG مُجَلد ٧٨ عمود ٨٨٠ (الرسالة الثالثة)

راجع أيضاً : Revue Orient Chretien 1933 Page308

فعلية مثل الأطفال والمعتوهين ، وقد عبّر عن ذلك القديس بولس بقوله : " الذين لم يخطأوا على مثال تعدي آدم " . (رو ٥ : ١٣) ، أي الذين لم يرتكبوا خطايا صادرة عن إرادتهم الذاتية ، ولكنهم أخطأوا في شخص آدم ، ولذا قال القديس بولس : " إجتاز الموت إلى جميع الناس بالذي جميعهم خطئوا فيه " (رو ٥ : ١٤)

ويؤكد القديس يوحنا الإنجيلي فكرة شمول وإنتشار الخطيئة الأصلية على عموم الجنس البشري قائلاً : " إن قلنا أن ليس فينا خطيئة فإنا نُضل أنفسنا وليس الحق فينا " (١)

فيوجد إذاً سُمٌ خفي ، قد شمل الطبيعة البشرية بأسرها ، هو سُم الخطيئة ، قد أضرَّ بآدم أولاً ، ثم أخذ يسري في كل نسله بعدوى خبيثة وضرورية ، فعمَّ على الجميع ، وأصاب الجميع بما أن الموت قد شمل الجميع ، ولم يَفلت منه أحد حتى الأطفال غير المميزين ، والمعتوهين . " لأنه ليس أحد خالٍ من دَنَس حتى وإن كانت حياته يوماً واحداً على الأرض " (٢).

ينتُج عن ذلك أن كل مولود بالناموس الطبيعي ، يُصبِح فرداً ضمن الهيئة البشرية ، ويَكتسب حالة الطبيعة البشرية التي هي بطبيعتها خاطئة ، وهذا ما نسميه بالخطيئة الأصلية .

خامساً : مراحل الخطيئة :

ولكل خطيئة مراحل تمر بها ، فهي تبدأ بالتجربة ، والمجرِب هو عامل شرير ، خارج عن إرادة الإنسان ، يَرْمُزُ إليه شخص الحية في سفر التكوين ، وهذا المجرب يستخدم الوصية لغواية الإنسان وإجتذابه إلى الشر .

فالوصية في سفر التكوين هي : " أما شجرة معرفة الخير والشر فلا تأكل منها ، لأنك يوم تأكل منها موتاً تموت " .

ويُصَورها المجرب للإنسان كأنها وصية ظالمة ، أو حيلة إبتدعها الله للمحافظة على إمتيازاته ، فيُدخل في قلبه الشك ، وفي نفسه الشهوة ، وهذا ما صنعته الحية إذ أدخلت في

---

(١) رسالة يوحنا الأولى ١ : ٨

(٢) أوشية الراقدين في رفع بخور عشية .

قلب آدم وحواء الشك في صدق نية الله بقولها :" أيقيناً قال الله لا تأكلا من ثمرة شجرة معرفة الخير والشر ، إنه عالمٌ أنكما يومَ تأكلان منها تَنفتح أعينكما وتصيران كآلهة عارفي الخير والشر " . كما أدخلت في نفسيهما الشهوة : " ورأت المرأة أن الشجرة طيبة للمأكل وشهية للعيون ، ومنية للعقل " (١)

أما المرحلة التي تلي التجربة ، فهي سقوط الإنسان في التجربة ، فيكتشف أنه خُدِع ، أنه أغوي ، وأن الوصية كانت في الواقع مقدسة وعادلة وصالحة . فيلتمس لنفسه الأعذار ، فها هو آدم يقــول : المرأة هي التي أعطتني ...

وها هي حواء تقول : الحية هي التي أغوتني..

وبعد أن سقطا في التجربة بمخالفتهما أمر الله ، طُرِدا من الفردوس، وتحقق كلام الله : " إن أكلتَ من شجرة معرفة الخير والشر موتاً تموت " والمقصود بالموت هنا هو موت الروح ، أي الإبتعاد عن الله ، والضياع ، وتظهر جلياً حقيقة الخطيئة ، فهي لا تقود إلى التأله كما إدعت الحية ، ولكنها تقود إلى الموت والعبودية والضياع لأنها أفسدت مفهوم الله في الإنسان، فبدلاً من أن يكون الله هو المُنَزّه عن كل مصلحة بإعتباره الحائز على كل الكمالات بدرجة لا متناهية ، يصبح في هذه اللحظة ، ذلك الكائن المتسلط على خليقته حتى لا تُخالَف أوامره .

لذلك فقبل أن تُحرِك الخطيئة الإنسان على فعل الشر ، فإنها قد ألحقت الفساد بروحه ، فأصبح مباعاً لها ، يعمل تحت سلطانها ، وهذه هي العبودية ، وهو لا يعود يعرف ما يفعل فيتخبط في تصرفاته وهذا هو الضياع .

فيرجـع الإنسـان إلى ذاته ويقول : إن الخطايا التي أرتكبها أنا ، تُؤثِر في غيري ، والخطايا التي إرتكبها البشر على مَدي الأجيال خَلقت في العالم وضعاً خاطئاً مناقضاً لإرادة الله .

وعندما أُولَد أنا ، إنما أُولَد في عالم خاطيء ، هو بحاجةٍ إلى خلاص الله ونعمته ، فإن " الجميع قد أخطأوا وأعوزهم مجد الله " (رو ٣ : ٢٣) .

فالخطايا التي يرتكبها الإنسان هي خطايا شخصية ، أما الوضع الذي يُولد فيه الإنسان إنما هو وضع عالم خاطيء .

---

(١) تك ٣ :١ - ٦

والخطيئة الأصلية هي حالة البشرية التي ترزح تحت عبء خطايا جميع البشر الذين عاشوا عبر التاريخ منذ الإنسان الأول . فالبشرية خاطئة ، واقعٌ لا يمكن إنكاره ، لذا يُولد الإنسان ضمن تلك البشرية الخاطئة ، أي في حالة تضامن معها ، ولا يتحتم على الإنسان أن يبقى في هذه الحالة ، فإن المسيح قد إفتدانا وبرّرنا ، وهو يدعونا إلى الإنتقال من حالة البشرية الخاطئة إلى حالة التضامن معه ، وتلك الدعوة يُلبيها الإنسان بقبوله سر المعمودية ، فالذين يعتمدون للمسيح يُجددون في ذواتهم موت المسيح وقيامته . " فكما أن المسيح بموته قد مات للخطيئة إلى الأبد ، وبحياته يحيا للـه ، كذلك أنتم أيضاً ، احسبوا أنفسكم أمواتاً للخطيئة ، أحياء لله في المسيح يسوع " . (رو ٦ : ١٠ - ١١)

سادساً : كيف يتطهّر الإنسان من الخطيئة الأصلية :

لقد إعتادت الكنيسة مُنذ نشأتها أن تُعَمد جميع الأطفال لينالوا مغفرة خطاياهم، فإن الأطفال مولودون في حالة الطبيعة البشرية الخاطئة ، ولا يمكنهم أن يتطهروا منها إلا بالميلاد الثاني بشهادة الرب نفسه : " إن كان أحدٌ لا يُولَد من الماء والروح لا يقدر أن يدخل ملكوت الله " (١)

لذلك وجب أن يُولَد الأطفال ولادة ثانية ليكونوا مستحقين الدخول إلى ملكوت الله (٢)
ويقرر العلاّمة أوريجانوس : " إن الكنيسة تسلّمت من الرسل تقليد عماد الأطفال ، فالأطفال يُعمَدون لمغفرة الخطايا ، ليغتسلوا من الوسخ الجدي (الذي من الجدود) بسر المعمودية". (٣)

ويرى الآباء أن المعمودية ضرورية للأطفال لتنزع منهم الخطيئة الأصلية الموروثة في الطبيعة البشرية ، ويؤكد القديس أغسطينوس : " إن المعمودية تقليد رسولي ، وأن الكنيسة دائماً تتمسك بتعميد الأطفال ، متسلمة إياه من السلف ، ولم تزل حافظة إياه إلى الآن ،

---

(١) يو ٣ : ٥

(٢) راجع حبيب جرجس أسرار الكنيسة السبعة الطبعة السادسة ص ٢٩

(٣) راجع أوريجانوس في تفسيره لرسالة القديس بولس إلي أهل رومية ٥ : ٩
وفي تفسيره لسفر اللاويين ٨ : ٣ راجع موسوعة الآباء اليونانيين MG مجلد ١٤ عمود ١٠٤ ومجلد ١٢ عمود ٤٩٦

وسوف تحفظه إلى الإنقضاء أيضاً " . [١]

وحيث أنه لا يمكن أن يُقال أن الأطفال غير المميزين قد أثموا آثاماً فعلية أي صادرة عن إرادتهم ، فإن مفعول المعمودية فيهم لا لنزع الخطيئة منهم ، بل لإدخال حياة النعمة فيهم.

ويتساءل ترتليانوس : لماذا نُعَمِد الأطفال إذا كانوا أبراراً وبلا خطيئة ؟ ويجيب القديس كبريانوس : لماذا لا نعمدهم ، إنهم بلا خطيئة ، لذلك تستطيع النعمة أن تعمل فيهم بدون عائق .

وهذا هو أيضاً رأي القديس يوحنا فم الذهب الذي يقول :"وإن كان الأطفال بلا خطايا ، فإننا نعمدهم ليزداد فيهم البر والقداسة ، ويصبحوا هياكل الروح القدس ". [٢]

وقد وَرَدَ في طقس العماد صلوات لطرد الروح النجس من نفوس المعمدين [٣] الذين هم في الغالب أطفال ، ولا يمكن أن يُقال أن الروح النجس قد سَكن هؤلاء الأطفال لأعمال شريرة إرتكبوها ، فإنهم لا زالوا عديمي المقدرة على فعل الشر ، فلا مناص من القول بأنهم كانوا تحت سيطرة إبليس بسبب وجود حالة الخطيئة الأصلية فيهم ، وإلا لما كان هناك معنى لصلوات طرد الروح النجس التي تُقال في طقوس العماد .

ورُبَ معترضٍ يقول إن الله قد يسمح بدخول الروح النجس أجسام بعض الأبرار ليجربهم، ولكن لا محل لهذا القول بالنسبة للأطفال الخاليين من التمييز إذ لامحل لتجربتهم، فإن إجراء صلوات جَحد الشيطان على الأطفال وقت العماد هو إعتراف ضمني من الكنيسة بوجود حالة الخطيئة الأصلية فيهم .

وقول القديس قبريانوس (+ ٢٥٨) : " إن الطفل لا ينبغي أن يُحرم من نعمة العماد بحُجة أنه لم يَخطأ ، فإن عدوى الموت القديم (حالة الطبيعة البشرية الخاطئة) قد سرت إليه في أول ولادته ، فلا تُغفر له ذنوب خاصة بل موروثة " [٤]

---

(١) راجع أغسطينوس في العظة ١٧٦ عدد ٢

(٢) Cathécheses Baptesimales1115,6
Sources Chrétiennes No 50 pp.153,154

(٣) راجع كتاب خدمة الأسرار في طقس العماد : جحد الشيطان

(٤) رسالة قبريانوس إلى فيدون رقم ٥٩ .

ونتساءل أيضاً : هل كان في إستطاعة آدم أو ذريته، بعد عصيانه أمر الله ، تعويض العدل الإلهي عن الإهانة التي لَحقت به تعالى ، وسداد الدين الذي ثقل كاهل البشرية من بعده ؟

لقد كان من الضروري أن يتمجد الله في السماء والأرض ، منذ بدء الأزمان ، ولما كانت الإهانة تُعتبر كبيرة أو صغيرة حسب قيمة الشخص الذي تُوَجه إليه هذه الإهانة ، ولما كانت خطيئة آدم إهانة موجهة إلى الله غير المحدود ، لذا أصبحت هي أيضاً إهانة غير محدودة ، لذا عجزت قدرة آدم وذريته - بإعتبارها محدودة - عن إيفاء العدل الإلهي - غير المحدود - حقه ، لذا كان على المسيح بصفته إبن الآب أن يتجسد ويتأنس ، جامعاً في ذاته صفتي الإنسانية والإلوهية ، فبصفته إنساناً تألم ومات وقُبِر ، وبصفته إلهاً إستحق لنا إعادة فتح باب السماء وأعاد لنا الخلود ، ففي القيامة تَعود أجسادنا إلى التمتع بالسعادة مرّة أخرى ، ولا يسود عليها الموت بعد ، وهكذا نسترد جزءاً من المواهب التي أضاعها آدم بسقوطه في الخطيئة .

سابعاً : مريم العذراء والخطيئة الأصلية:

ولما كانت الخطيئة الأصلية حُكم عام على جميع البشر نتساءل هنا : هل من إستثناء لهذا الحكم العادل ؟ إن كل مُشرِّع له الحق في التفسيح من شريعته لأسباب صوابية ، ولضرورة يراها هو مناسبة ، ولا يخفى على أحد **أن الله تعالى قد خصّ بعض أصفيائه القديسين بالتطهير من الخطيئة الأصلية** بينما كانوا في أحشاء أمهاتهم ، **مثل يوحنا المعمدان** الذي تبرَّر وهو في بطن أمه ، فارتكض مُتهللاً في لحظة تطهيره ، وكان ذلك بمناسبة زيارة العذراء مريم لنسيبتها القديسة أليصابات .(١)

وقيل بحق وصواب أن **أرميا النبي** قد تطهَّر وهو في جَوف أمه ، إستناداً إلى قول الرب له : " قبل أن أصوِّرك في البطن عرفتُك ، وقبل أن تخرج من الرحم قدَّستُك، وجعلتُك نبياً للأمم " .(٢)

---

(١) راجع (لو ١ : ٤١ - ٤٤)

(٢) راجع (أرميا ١ : ٥)

ويُستفاد من ذلك أن هؤلاء القديسين قد ظلوا في أحشاء أمهاتهم في حالة الطبيعة البشرية الخاطئة ، وهي حالة الخطيئة الأصلية ، ثم تطهَّروا منها قبل ولادتهم .

والبحث الآن :

- هل سرت الخطيئة الأصلية على العذراء مريم شأنها شأن باقي البشر ، وانطبق عليها حكم الهلاك والموت بإعتبارها ضمن سُلالة آدم ؟

- أم أنها نالت التبرير أثناء مدة الحمل بها ، كما حظي به يوحنا المعمدان وأرميا النبي.

- أم وُجدَت طاهرة وخالية من كل عيب وكل خطيئة منذ اللحظة الأولى لبدء كيانها نظراً لإستحقاقات إبنها المسيح الفادي ، فيكون قد فداها سلفاً بطريقة أسمى وأكمل ؟

للرد على هذه التساؤلات وجَب أن نميز جيداً بين وجوب شمول العذراء مريم ضمن شريعة الهلاك والموت ، بإعتبارها فرداً من أفراد الطبيعة البشرية الخاطئة ، وبين حادث إستخراج مريم من تحت طائلة هذه الشريعة بإمتياز خاص من الله ، فريد في نوعه ، نظراً لسمو رسالتها وهي الأمومة الإلهية .

ففي البشر نجد المادة ملوَّثة ، والنفس في حالة الطبيعة البشرية الخاطئة ، والعقل محروم من كمال المعرفة ، والإرادة مائلة إلى الشر ، أما في مريم فالمادة نقية والنفس طاهرة، مُزدانة بالنعم والفضائل ، والعقل يُضيء بمعرفة الحقائق الإلهية والبشرية ، والإرادة لا تعرف إلا البر والقداسة ومحبة الله ، فإن مريم كانت قد تقدَّست قبل يوحنا المعمدان ، وأكثر من يوحنا المعمدان ، وبواسطتها تقدَّس يوحنا المعمدان بمناسبة زيارتها لنسيبتها القديسة أليصابات .

وليس معنى ذلك أننا نجعل من العذراء مريم إلهاً نعبده ، أو أننا نضعها في مرتَبة مساوية لإبنها في القداسة ، فإن الكنيسة الكاثوليكية لم تزعم هذا الزعم أبداً ، ولكنها فقط تعترف للعذراء بإمتيازها الخاص والفريد الذي منحه لها الله عندما تدخَّل مباشرة حتى يحافظ على كرامته ومهابته بأن زوَّدها بحال النعمة ، فإنها الأولى التي دخلت إلى العالم وهي ممتلئة نعمة ، لأنها : الإبنة المختارة من الآب ، والأم المهيئة لتجسد الإبن الوحيد لفداء البشرية الساقطة ، وعروس الروح القدس . وقد عبَّرت العذراء عن هذه العظائم بلسان الشكر

قائلة : تعظِّم نفسي الرب ، وتبتهج روحي بالله مخلِّصي .[1]

لذلك ظلَّت العذراء مَصونة من هذا النقص الأدبي (الخطيئة الأصلية) فهي الخليقة الوحيدة التي دخلت إلى العالم وهي كاملة النقاء ، وحائزة على الإمتلاء من النعمة ، بالرغم من السيل الجارف الذي شمل كل أبناء آدم ، فهي وحدها دخلت الكيان البشري وكانت " كلها جميلة ولا عيب فيها " [2] . وتسمي الكنيسة هذا الإنعام الذي ليس له مثيل بالحبل بالعذراء البريء من الخطيئة الأصلية ، وقد أُعطي لها هذا الإمتياز الفريد تمهيداً لإتمام الفداء والخلاص، لأنه لولا الخلاص لما كان التجسد ولما أعطي لها هذا الإستثناء .

وإذا تساءلنا : كيف يتفق هذا الإمتياز الفريد أي تنزيه مريم من الخطيئة الأصلية مع فداء مريم ؟ وهل أفتديت فعلاً ؟ ومن أي خطيئة يكون الله قد فداها إن كانت قد وُلدت بريئة من الخطيئة الأصلية ؟

للإجابة على هذه التساؤلات نقول أن الفداء علي طريقتين :-

الأولى : عندما يفتدي الله إنساناً **من كارثه حلّت به** ، فينقذه منها ، كأن ينشل من البحر غارقاً كادت الأمواج تبتلعه ، أو أن يفتح أبواب السجن أمام سجين سبق حبسه ، أو أن يفك قيود أسير سبق تكبيله بالأغلال .

والثانية : عندما يفتدي الله الإنسان **قبل وقوعه في الكارثه** ، كأن يُخلصه من حكم صدر ضده فيوقف تنفيذ هذا الحكم ، ويخلص المحكوم ضده قبل القبض عليه وإلقائه في السجن .

ففي هذا النوع الأخير من الفداء تَبرُز عظمة المخلص الذي يمنع وقوع الكارثة قبل حدوثها ، فهو الإله القدير الذي لا يعسر عليه شيء.

وإذا كان من أنقذ شخصاً من الغرق ، أو أخرج سجيناً من السجن يستحق أن يُدعى مخلصاً ، فكم بالحري ينطبق هذا اللقب على الذي بقوّة نفوذه ، وعِظم قدرته ، قد إستطاع بطريقة أسرع وفاعلية أقوى ، صيانة من يحبه ، فينقذه قبل أن تنزلق قدمه في تيار البحر المُهلك أو أن تخطو أقدامه أبواب السجن .

---

(١) راجع (لو ١ : ٤٦ - ٤٧)

(٢) راجع (نشيد الأناشيد ٤ : ٧)

فالعذراء وإن كان محكوماً عليها - أسوة بباقي البشر - أن يُحبَل بها بالخطيئة الأصلية أي أن تسري عليها حالة الطبيعة البشرية الخاطئة ، وبالتالي كانت أيضاً بحاجة إلى فداء ، فإن الله القدير قد بادر بفدائها فعلاً ، ولكن بطريقة أسمى وفاعلية أقوى ، فقد عصمها منها ، وهكذا صان الإبن أمه بهبة مجانية وتدبير فريد وإستثنائي لم يُمنَح إلا لشخصها فقط .

ولما كانت مريم أول من إستفاد من سر الفداء ، لذا وُلدت مُنزهة عن كل خطيئة ، فإنها بكر الخليقة المفتداه وذلك حتى يتسنى للمسيح الفادي أن يتَّخذ جسده من جسدها ، تسري فيه دماء من دمائها ، في طبيعة بشرية كاملة وطاهرة عتيدة أن تتحد بالكلمة في وحدة لا تنفصم .

وهكـذا أفتُديَت مريم مُنذ الأزل بأن وقاها الله وحماها من شريعة الغضب الشامل ، **فلم يُطهرها لكنه خلّصها وعصمها ووقاها من كل خطيئة ، فكانت أول من نال الخلاص لتصير معه شريكة في الخلاص .**

وعلى ذلك نقول أن الفداء الذي عمَّ البشرية كلها ، قد شمل مريم أيضاً ، ولكن بنَوعٍ أشرف وأكمل ، إذ بينما تبرر الناس أجمعين بعد السقوط في الخطيئة والإثم ، بُررَت مريم العذراء قبل السقوط فيها ، ومعنى ذلك أن سر الفداء كان لنا علاجاً ودواء ، **في حين أنه كان بالنسبة لمريم مناعة ووقاية وحماية وعصمة تحميها من التلوث بجريرة أبوينا الأولين ، وبذلك كان لمريم أم المخلص الحظ الأكمل والنصيب الأوفر في سر الفداء ، فهي الأولى في لائحة الخلاص والمخلّصين.**

وهكذا أفتديت مريم بنعمة المسيح ولكن بصورة أكمل وأفضل من سائر البشر ، لذا هَتفت العـذراء مُعـلنة شـكرها للـه عـلى هـذه المنحة الفريدة ، والهبة الخارقة العادة قائلة : **" تعظم نفسي الرب وتبتهج روحي بالله مخلصي "** [(١)] منذ لحظة البشارة ، **وقبل أن يُتمم المسيح سر الفداء بسفك دمه على الصليب .**

وقد منحها الله هذه المنحة الفريدة ، لا لإستحقاقها الخاص، بل لأنها كانت منذ الأزل " مختارة " منه تعالى حتى تصير أماً لإبنه الحبيب ، ولهذا السبب خُلقت مريم مُحلاة بالنعمة

(١) لو ١ : ٤٦ - ٤٧

المُبرَّرة ، أي شبيهة بحواء قبل الخطيئة ، وهي الحالة الوحيدة الشاذة عن القاعدة العامة القاضية بسريان الخطيئة الأصلية إلى الجنس البشري أجمع .

وإن كان الله قدَّس أرميا النبي وهو لا يزال في بطن أمه ، وملأ يوحنا المعمدان من الروح القدس ، وكان بعد جنيناً ، **ليهيىء كلاً منهما لرسالته .**

فكم بالحري كان عليه أن يَفيض القداسة في هيكله الخاص - العذراء مريم - التي كان يُهيؤها للسكنى فيها جسدياً ليأخذ جسده من جوهرها ، ودَمه من دمائها ، لذلك كان يجب أن يكون هذا الجسد بمأمن من كل شبه خطيئة ، فإن مريم وحدها قد إختارها الله منذ الأزل ، وفداها قبل أن تُولد ، نظراً لتهيئتها للأمومة الإلهية ، لذا وُلدت مريم مُنزهة عن كل خطيئة منذ أول لحظة من الحبل بها ، وهي اللحظة عينها التي خلق الله فيها نفس مريم حائزة على النعمة المُبرَّرة ، وأفاضها في المادة الجسدية التي أعدها الأبوان .

هــذا هــو المعتقد الكاثوليكي في تنزيه مريم العذراء من الخطيئة الأصلية ، أي **" الحبل بلا دنس "** .

وإن قلنا بخلاف ذلك فكيف تكون مريم قد فاقت الملائكة والقديسين ، إذا كانت قد تلوثت لحظة من الزمن بأثر الخطيئة ؟

وكيف تكون قد أقيمت شفيعة للبشر ، ووسيطة بين الله والبشر ، وهي تحتاج إلى من يشفع فيها ؟

الباب الثاني

مراحل تبلور العقيدة

مرّت هذه العقيدة بأطوار تاريخية مشهورة إلى أن وصلت إلى مرحلتها الحاسمة والنهائية ، وتحديدها رسمياً من الكنيسة بفم البابا بيوس التاسع سنة ١٨٥٤ م

الفصل الأول

المرحلة الأولى

{ من القرن الأول إلى القرن العاشر }

إن هذه العقيدة ليست دخيلة على الكنيسة ، أو حديثة العهد كما يزعُم البعض، أو من نسج الخيال الكاثوليكي ، فإن مضمونها ومفهومها يرجعان إلى العصور الأولى للمسيحية ، فقد أجمع الآباء القديسون ، والمسيحيون الأولون منذ نشأة الكنيسة على الإعتراف بها والدفاع عنها ، وإن كان ذلك بطريقة ضمنية في العصور الأولى ، ففي الجيلين الأول والثاني لم يرد ذكر صريح لهذا الإمتياز المريمي ، ولم يَخطُر ببال أحد أن ينكره ، أو يدافع عنه ، وقد كان إكرام العذراء وإجلالها في الكنيسة يتزايد جيلاً بعد جيل .

وأول تصريح واضح ظهر في القرن الثالث مع العلامة أوريجانوس (+ ٢٥٤) فخر المدرسة الإسكندرية حين يقول : " إن تحية الملاك " السلام عليك يا ممتلئة نعمة ". وفي النص الأصلي اليوناني " المكوَّنة بالنعمة " لا تليق إلا بمريم دون سواها ، لأنها ما تدنست أبداً من لدغة الحية المسمَّمة " (١)

والآباء قبل مجمع نيقيه (سنة ٣٦٥) كانوا يُلقبون مريم : " **العذراء القديسة** " أي αγια παρθενος فهي قديسة في نفسها وجسدها ، ومنها أَخَذَ الكلمة جسداً ليُحقق

(١) موسوعة الآباء اليونانيين MG مجلد ١٣ عمود ١٨١٥ ،
وللقديس أمبروزيوس (٣٤٠-٣٩٧) تعبير مماثل في هذا الشأن ،
راجع موسوعة الآباء اللاتين ML مجلد ١٥ عمود ١٦٣٦ .

الله مقاصده الرحيمة ، وقد دَعوها " العود الغير فاسد " الذي صُنِعَ منه تابوت العهد ، إشارةً إلى بشرية يسوع المسيح الغير فاسدة ، فالمسيح يسوع قد إتخذ لذاته جسداً بحسب بشريته **من العـــود الغـــير فاســـد ، أي من الـــروح القـــدس ومن مـــريم العـــذراء الطـــاهرة المـــنزهة من كل العيوب** " (١)

ومن مجمع نيقية سنة ٣٢٥م حتى مجمع أفسس سنة ٤٣١م على الرغم من إهتمام آباء الكنيسة بالعقائد اللاهوتية ، سواء بالرد على الهراطقة في موضوع الثالوث الأقدس ، أو إثبات لاهوت المسيح ، أو القضية الأريوسية ، فإن مسألة طهارة مريم وبراءتها من كل خطيئة كانت تتأكد جيلاً بعد جيل بتعبيرات بسيطة وواضحة ، فإن مريم هي الكلية القداسة ، وبالتعبير اليوناني المشهور " بان أجيا " παν αγια

ولما قام جوفنيان (Jovinian) وهلفيديوس (Helvidius) في القرن الرابع وأنكرا دوام بتولية العذراء ، هبَّت الكنيسة مع القديس إيرونيموس وناضلت عن بتوليتها وشجبت تعاليمهما ، وقام القديس إمبروسيوس مدافعاً عن بتولية العذراء : إنها - أي العذراء مريم - بمفعول النعمة ، كانت طاهرة ونقية من كل دنس وخطيئة . (٢)

وما أن أشرق القرن الخامس حتى حدَّد مجمع أفسس (٣) عقيدة أمومة العذراء للمسيح الفادي " Θεοτοκος " ، حينئذٍ تطلَّعت أبصار البشرية بإرتياح إلى وجه مريم الغني بالصفات الجميلة ، والسمات الفريدة ، وأخذ ضياء هذا الجمال ينعكس على تشييد المعابد والكنائس بإسمها ، وإنشاء الهياكل لإكرامها ، فقد بَرَز وجه مريم العذراء الأم الحقيقية ليسوع المسيح إبن الله الوحيد .

ومن هذا الحين بدأت تنبعث من قلوب المؤمنين تعبيرات فيَّاضة لتكريم العذراء فرسموا عيد البشارة ، وعيَّدوا لسر الأمومة الإلهية ، وإرتفعت الترانيم والأناشيد لإعلان قداسة العذراء السامية .

وبمناسبة تعاليم بيلاجيوس (Pelagius) الخاصة بإنتشار الخطيئة الأصلية إلى الجنس البشري أجمع ، قام جدال عنيف بين علماء الكنيسة والبيلاجيين ، إنتهى إلى إيضاح ما يتعلق

---

(١) معجم اللاهوت الكاثوليكي D.T.C. tome 7 COL.873,874

(٢) في تفسيره للمزمور ١١٨ العظة ٢٢ .

(٣) مجمع أفسس سنة ٤٣١ .

بالخطيئة الأصلية ونتائجها وإنتشارها .

وبوجه عام يمكننا أن نقول إن تعاليم الآباء في هذه الحقبة قد اشتملت على فكرتين أساسيتين ممهدتين للعقيدة :

١- فكرة قداسة مريم وطهارتها المُثلى :

يخاطب القديس إفرام السرياني المسيح والعذراء قائلاً : **إنكما وحدكما جميلان كل الجمال من كل وجه ، إذ ليس فيك يا سيدي عيب ولا في أمك دنس** . [١]

ويقول القديس أغسطينوس :

" على البشر أن يعرفوا أنفسهم بأنهم خطأة **بإستثناء العذراء مريم ، التي هي أبعد من أن يدور الكلام عليها في موضوع الخطيئة** ، بسبب شرف المسيح " [٢] .

ولكن يجب فهم هذا النص تبعاً لسياق الحديث وقرائنه ، فإنه يُعبر عن براءة العذراء من الخطايا الشخصية فقط ، دون أن يتعرض للخطيئة الأصلية .

٢- فكرة التشابه والتفارق بين مريم وحواء :

ونصابها أن مريم هي من جهة صورة لحواء بطهارتها وكمالها قبل أن تسقط في الخطيئة ، ومن جهة أخرى هي وحواء على طرفي نقيض ، فلما كانت حواء قد تسببت في هلاكنا بخطيئتها ، أصبحت مريم بطهارتها سبباً في خلاصنا .

يقول القديس إفرام :

" إمرأتان بريئتان ، بسيطتان كل البساطة ، مريم وحواء كانتا في كل شيء متساويتين، غير أنه فيما بعد ، صارت الواحدة سبب موتنا ، **والأخرى سبب حياتنا** " [٣]

والقديس يوستينوس في حواره مع تريفون يقول :-

" إثنتان كان لهما حوار مع الملاك حين **كانتا بعيدتين عن الفساد** ، حواء تُخالف أمر

---

(١) ضمن قصائد نصيبين التي نشرها الأستاذ / غوستاف بيكل الألماني سنة ١٨٦٦ .

(٢) كتاب الطبيعة والنعمة للقديس اغسطينوس فصل ٣٦ .

(٣) ضمن قصائد نصيبين التي نشرها الأستاذ / غوستاف بيكل الألماني سنة ١٨٦٦ .

الله وتسقُط ، ومريم تتواضع أمام الله فتنتصر " (١)

والمقارنة بين وجه حواء ووجه مريم تطرح ذاتها باستمرار وهي أحد المواضيع التي كثيراً ما تناولها بالبحث آباء الكنيسة والكتاب الكنسيون واللاهوتيون .(٢)

وقد جاء في الرسالة الموجهه إلى كهنة وشمامسة أخائية هذه الشهادة القيمة : "بما أن الإنسان الأول - الذي أدخَل الموت إلى العالم بالمعصية - كان قد جُبِلَ من تربة منزهة عن كل إثم ، لذلك كان لابد لإبن الله المتأنس أن يُولد من عذراء مُنزهة من كل دنس لكي يُجدد الحياة للبشر الذين خسروها بخطيئة آدم " (٣)

ففي هذا النص تتجلى مقارنة واضحة المعالم بين الطينة التي جُبِلَ منها آدم الأول والعذراء التي إتخذ منها يسوع جسده ، فكلاهما يتميزان بدرجة القمة في الكمال والطُهر والنقاء .

وتظهر هذه الفكرة في طقسنا القبطي بوضوح في ثيؤذوكيات شهر كيهك المبارك ، فإن جزء كبير منها يقوم على مبدأ التشابه والتفارق بين مريم وحواء .

وفي مجمع أفسس سنة ٤٣١ تألق وجه العذراء وأعلِنَت مريم " أم الله " -Θεοτο κοζ ، ومضى الآباء يفيضون في وصف مريم وينعتونها بكل ما يؤيد عصمتها وبراءتها من كل خطيئة .

وفي القرن السادس ظهر عيد ميلاد العذراء ثم لحقه عيد إنتقالها إلى السماء (٤).

وفي القرن السابع ظهر في الشرق اليوناني عيد جديد هو عيد الحبل بوالدة الإله، ودُعيَ باسم " عيد حَبَل حنِّه " أي حَبَل القديسة حنِّه بمريم العذراء ، وقد انتشر هذا العيد في إيطاليا الجنوبية ، ثم في إيرلندا وإنجلترا ودُعيَ باسم : " الحبل بالطوباوية مريم العذراء "

---

(١) القديس يوستينوس ، المحاورة ١٠٠ مع تريفون ، موسوعة الآباء اليونانيين مجلد ٦عمود ٧٠٩ - ٧١٢.

(٢) راجع القديس إيريناوس : ضد الهراطقات ٣ / ٢٢ : ٤ ،

راجع أيضاً ترتليانوس : جسد المسيح : ١٧ .

راجع أيضاً القديس كيرلس الأورشليمي : موسوعة الآباء اليونانيين MG مجلد ٥٥ عمود ١٩٣ .

راجع أيضاً القديس أغسطينوس في العظة ٥١ موسوعة الآباء اللاتين MG مجلد ٣٣ عمود ٣٣٥ .

(٣) موسوعة الآباء اليونانيين MG مجلد ٢ عمود ١٢٢٥ .

(٤) راجع مجلة المشرق سنة ١٩٥٤ صفحة ٣٣٣ .

وكان موضوع هذا العيد منذ البدء : واقعة " حبل القديسة حِنه بمريم " لأن هذه كانت قد تقدمت في السن وكانت عاقراً ، ولما بشرها الملاك بالحبل بمريم ، كان هذا بمثابة علامة خارقه لرحمة الله لها .

وترنَّم القديس إيدلفونسيوس بعظمة العذراء قائلاً :

إن الطوباوية مريم قد وُجِدَت بريئة من وصمة الخطيئة الأصلية ، فقد نبتت كفرع مقدس، ونجت من جرثومة الطبيعة البشرية الفاسدة ، لأن إبن الله سبق فاختارها من بين سائر الأجيال لتكون أماً له ، وصانها بريئة من العيوب ، معصومة من كل خطيئة .(١)

وتُنشد الكنيسة البيزنطية في اليوم التاسع من شهر كانون الأول (ديسمبر) ما ترنم به القديس إندراوس أسقف مدينة كريت : " أيتُها القديسة حنَّه ، إننا نعيد اليوم لحبلك ، لأنكِ قد أُطلقتِ من القيود العقرية ، حبلتِ ... وسِعتِ الذي لا يَسعه مكان " (٢)

وقد عمَّ هذا العيد (عيد حبل حِنَّه) جميع كنائس المملكة البيزنطية في أيام فوتيوس (سنة ٨٦٩) وأصبح في مقام الأعياد الإحتفالية المُبطله للعمل .

وتردَدَت تعبيرات الشعوب بين طيات الأجيال فيعيدها فوتيوس بلسانه قائلاً :
" **تقدست مريم تمام القداسة من أحشاء أمها** ، لتكون هيكلاً حياً لربها " (٣)

وفي القرون الأولى من العصور الوسطى تضاعف إكرام المسيحيين للعذراء مريم وعمَّ العيد (عيد حَبَل القديسة حنة بوالدة الإله) في ربوع الشرق ، وأخذ الآباء يُعلِّمون بطهارتها ، ويُنشدون بقداستها ، جاعلين تعاليمهم في مرتبة الحقيقة التي لا يصح الريب فيها ، ناسبين للعذراء أعظم صفات القداسة .

ومع ذلك لم تُعلِن الكنيسة رسمياً في هذه الحقبة التعليم القائل بتنزيه العذراء مريم من الخطيئة الأصلية فلم تعلم به صراحة ، ولم تنفه .

---

(١) في عظته عن مريم .

(٢) موسوعة الآباء اليونانيين MG مجلد ٩٧ عمود ١٣٠٥
راجع أيضاً كتاب الميناون اليوم التاسع من كانون الأول صلاة السحر الأودية الأولى .

(٣) خطابه في البشارة ، طبعة أريستاركيس . القسطنطينية سنة ١٩٠١ ص ٢٣٦ ،
راجع أيضاً مريم العذراء وقضايا العصر للمطران عبده خليفه ص ٥٦ .

الفصل الثاني

المرحلة الثانية

(من القرن الحادي عشر إلى القرن الثالث عشر)

ويُدعى عصر الجَدَل

على أثر إنتشار عيد " حَبَل حِنة " في الشرق المسيحي وبدء ظهوره في الغرب في نهاية القرن التاسع أو أوائل القرن العاشر الميلادي، أخذ العلماء المسيحيون يتباحثون ويتسائلون ما هو السبب الذي دعى الكنيسة أن تُقيم عيداً حافلاً لحادث عادي هو " بدء حياة العذراء مريم ووجودها على الأرض ".؟

فمنهم مَن رأى في الإحتفال بالعيد أن الكنيسة تهدف إلى غرض أسمى ، هو الإشادة بحادث فَذ في حياة العذراء ، وهو الحبل بها مُنزهة من وصمة الخطيئة الأصلية، وقد وجدوا في ذلك سبباً كافياً للإحتفال بالعيد ، لأنه بدون هذا التفسير يصبح العيد ذكرى لحادث مقرون بشر أدبي وهو ما لا يصح ولا يليق أن يُنسَب للكنيسة .

وقد قَبِل البعض هذا التعليل ورفضه الآخرون ، وعليه قام بحث وجدل عنيف حول موضوع تنزيه مريم من الخطيئة الأصلية، ففي الشرق أجمع اللاهوتيون البيزنطيون على قبول مفهوم فكرة براءتها من كل خطيئة ، أما في الغرب فقد اختلف العلماء فيما بينهم فأيد براءة العذراء في القرن الثاني عشر **القديس بطرس داميان** بقوله : " **إن الجسد الذي ورثته العذراء مريم أم الله عن آدم لم يتدنس أبداً بجريرة آدم** " وتبعه في هذا الرأى **القديس بونا فنتورا** قائلاً : " **إن سيدتنا مريم العذراء قد وُجدت ممتلئة نعمة وقد صانها الله من دنس الخطيئة الأصلية** " وإنضم إليهما العلامة إيدمر دي كنتربري أحد تلاميذ القديس أنسلموس وأوسبرت الكلاري مدافعين عن مبدأ تنزيه مريم العذراء من الخطيئة الأصلية .

وعندما بلغ العيد (عيد حبل حنة) مدينة ليون بفرنسا حوالي سنة ١١٤٠ قام القديس

برناردس يُحذر من تسرب تعليم دخيل لا مبرر له ، وعلّم برناردس أن العذراء قد تبرّرت بعد الحبل بها ، أي وهي في بطن أمها . [(١)]

وحذا حذو القديس برناردس فريق من كبار علماء اللاهوت في القرنين الثاني عشر والثالث عشر ومنهم ، بطرس لومبارد ، ألكسندر هاليس ، القديس البرت الكبير ، ومعهم القديس توما الاكويني الراهب الدومنيكاني الذي قرر : ان العذراء مريم حُبل بها بالخطيئة الأصلية شأنها شأن سائر البشر ، إلا أنها تحررت منها وهي بعد في أحشاء أمها ". [(٢)] وهكذا إختلف اللاهوتيون فيما بينهم في هذين القرنين في موضوع تنزيه مريم العذراء من الخطيئة الأصلية ، وذلك لأنهم لم يكونوا إذ ذاك قد وجدوا الواسطة للتوفيق بين تنزيه مريم العذراء من الخطيئة الأصلية وبين ضرورة شمول البشرية جمعاء - ومن ضمنها العذراء مريم - بحالة الخطيئة الأصلية .

وكان الرأي السائد في ذلك الحين أن العذراء كانت قد تبررت وهي في بطن أمها ، شأنها في ذلك شأن يوحنا المعمدان ، إلي أن جاء اللاهوتي الفرنسيسكاني - العلامة الدقيق - يوحنا دون سكوت (+ ١٣٠٨) مشيراً إلي طريق الحل النهائي والصحيح، مدافعاً عن براءة مريم العذراء من الخطيئة الأصلية منذ لحظة الحبل بها ، بأدلة قاطعة وحاسمة لا تقبل الجدل . فعلم أن بث الحياة لا يجب أن يَسبق فعل التبرير فكلاهما متلازمان في الزمن ، وهكذا أدخل دون سكوت فكرة الفداء بالوقاية ، ونجح في التوفيق بين تنزيه مريم من الخطيئة الأصلية وضرورة الخلاص للبشر أجمعين ، فالوقاية من المنبع من حالة الخطيئة الأصلية هي أكمل أنواع الفداء ، وكان المسيح جديراً أن يفتدي أمه على هذه الصورة .

وقد تبنّت الرهبنة الفرنسيسكانية هذا التعليم ووقفت بحزم معلّمة ومدافعة عن العقيدة والعيد (عيد حبل حنِة) ضد الرهبنة الدومنيكانية .

---

(١) الرسالة رقم ١٧٤ موسوعة الآباء اللاتين ML مجلد ١٨٢ عمود ٣٣٥ .

(٢) راجع الخلاصة اللاهوتية جزء ٣ سؤال ٢٧ الفقرة رقم ٨ .

الفصل الثالث

المرحلة الثالثة

{من القرن الرابع عشر إلى القرن التاسع عشر}

دَوّت نظرية "دون سكوت" بحججها القوية كالرعد القاصف في أرجاء الكنيسة الكاثوليكية وبالأخص في الأوساط اللاهوتية ، ورغم أن الدومنيكان قد أنكروا حقيقتها ، إلا أنها قد وَجدت لها أنصاراً بواسل يناضلون ويدافعون عنها بكل ما أوتوا من قوة وبيان ، أمثال الرهبان الفرنسيسكان والكَرمَليين والأغسطينيين .

وفي شهر سبتمبر سنة ١٤٣٩ قرر مجمع بال في دورته السادسة والثلاثين أن مضمون فكرة الحبل بمريم منزهة من دنس الخطيئة الأصلية ، تطابق المعتقد الكاثوليكي، وأنه يَجب الإحتفال بهذا العيد في الكنيسة بأسرها .

(ولو أن هذا القرار أصبحت قيمته محدودة ...) لأن هذا المجمع كان قد فقد صفته المسكونية ، إلا أنه يدل على القيمة المعنوية التي تؤكد أن الإعتقاد بالحبل بمريم مُنزهة عن حالة الخطيئة الأصلية ، كان قد تأصل في بيعة الله ، وإنتشر بين المؤمنين ، وكلما تقدمت الأيام زاد هذا الإعتقاد رسوخاً حتى أن البابا سكستوس الرابع سنة ١٤٧٦ أصدر منشوراً خاصاً يُناشد فيه المؤمنين على أهمية الإحتفال بعيد الحبل بمريم ، كما أذاع منشوراً آخر في سنة ١٤٨٢ منع فيه الفريقين المتجادلين : (الدومنيكان والفرنسيسكان) من التراشق بالأحكام والتأديبات .(١)

وكان عزم البابا لاون العاشر أن يحدد هذه العقيدة ويعلنها رسمياً ، وقد أدرجت فعلاً

---

(١) دنزنجر رقم ٧٣٤ ، ٧٣٥ .

و (دنزنجر هو كتاب ضخم يشمل مجموعة النصوص والقوانين التي أقرتهـا الكنيسة في العقائد الإيمانية والآداب المسيحية بعد تحديدها في المجامع المسكونية أو إعلانها من البابوات عبر الأجيال ، وأصبحت ضمن التعليم الرسمي للكنيسة .)

في جدول أعمال المجمع التريدنتيتي المقدس سنة ١٥٤٦ ، ودرس المجمع موضوع الخطيئة الأصلية وتسربها إلي الجنس البشري أجمع ، فأصدر مرسوماً في شأن الخطيئة الأصلية أعلن فيه : " أن المجمع المقدس لا يتعرض بهذا المرسوم للطوباوية مريم العذراء أم الله ، البريئة من كل دنس " (١)

ثم يستطرد في القانون رقم ٢٣ قائلاً :- " من قال ... إن الإنسان يستطيع أن يتجنب طول حياته جميع الخطايا حتي العرضية إلا بإمتيازٍ خاص من الله كما تعتقد الكنيسة ذلك بشأن البتول الطوباوية مريم فليكن محروماً ." (٢)

ولشدة رسوخ هذه العقيدة وتأصلها في الأوساط الكاثوليكية ، أخذ علماء السوربون يُدافعون عنها بكل شدة وقرروا أنها عقيدة إيمانية علي الأقل في فرنسا .

ولوتيروس نفسه (١٤٨٣ - ١٥٤٦) قبل خروجه علي إيمانه يقول : " **ألم يكن من العدل أن يحمي الله من الخطيئة تلك التي كانت مُزْمِعَةٌ أن تُعطي المسيح ذلك الجسد الذي به سيمحو الخطيئة ؟** " (٣)

وفي مناسبات متعددة كان البابوات يشرحون بأجلي بيان مفهوم الكنيسة فيما يختص بهذه العقيدة ، فقد جاء في كتاب الفرض الذي وضعه البابا بيوس الخامس سنة ١٥٦٧ عبارات صريحة واضحة تدل علي مفهوم الحبل بمريم بريئة من حالة الخطيئة الأصلية .

وقد أدان البابا بيوس الخامس عبارة بايوس القائلة : " ما من أحدٍ غير المسيح مُنزَّه عن الخطيئة الأصلية ، أما مريم العذراء فإن موتها وعذاباتها كانت لها عقاباً علي خطاياها الفعلية، أو علي الأقل علي الخطيئة الأصلية " (٤)

---

(١) دنزنجر رقم ٧٩٢ .

(٢) دنزنجر رقم ٨٣٣ .

(٣) Enarrationes, Martin Luther, in lectiones quae per universum recipiantur ed. Stransbourg 1530 p.360 .

راجع أيضاً "مريم العذراء وقضايا العصر" للمطران عبده خليفة صفحة ٥٦ .

(٤) دنزنجر رقم ١٠٧٣ .

وفي سبتمبر سنة ١٦١٧ أكَّدَ البابا بولس الخامس حقيقة براءة مريم العذراء من كل خطيئة ، وشجب التعليم القائل بالرأي المخالف ، وحذا حذوه البابا غريغوريوس الخامس عشر.

وفي ٨ ديسمبر سنة ١٦٦١ أصدر البابا ألكسندر السابع منشوراً يُعلن فيه صحة التعليم القائل ببراءة العذراء مريم من الخطيئة الأصلية " (١)

والبابا إكليمنضوس الحادي عشر سنة ١٧١٣ أقر العيد رسمياً ، وجعله إلزامياً للكنيسة بأسرها .

ومع توالي الزمن سطعت حقيقة هذا المعتقد ، وإتجهت أنظار المؤمنين إلى راعي الرعاة ملتمسين منه تحديد العقيدة ، فلم يَرَ البابا بيوس التاسع بُداً من البت فيها نهائياً ، فعمدَ إلى تأليف لجنة مُشكَّلة من نُخبة من الأساقفة وعلماء الكنيسة من جنسيات مختلفة ، عهد إليها دراسة هذه القضية سنة ١٨٤٨ .

وبعد الدراسات المستفيضة التي محّصت هذا الموضوع لمدة ست سنوات كاملة أعلنها البابا بيوس التاسع كعقيدة إيمانية محددة في براءته الصادرة في ٨ ديسمبر سنة ١٨٥٤ ، وكان هذا التحديد القول الفصل والحاسم لكل جدل .

(١) دنزنجر رقم ١١٠٠ .



الأدلة الكتابية المؤيدة للعقيدة

وبعد أن وَضَحَ المعنى المقصود بعقيدة الحبل بمريم بريئةً من حالة الخطيئة الأصلية ، جاز لنا أن نقدم الأسس الكتابية التي إستندت عليها الكنيسة في إعلانها لهذه الحقيقة كعقيدة إيمانية محددة يلتزم جميع المؤمنين بالإعتراف بها .

مقدمـــــــة

العقائد الإيمانية ليست وحياً جديداً

إن كل تحديد تأتينا به الكنيسة المقدسة ليس وحياً جديداً إذ أن الوحي التعليمي قد خُتِم بكتابة آخر أسفار العهد الجديد في أواخر القرن الأول الميلادي وقد أؤتمنت الكنيسة على المحافظة علي وديعة الإيمان ، وأُعطيت سلطة التعليم وشرح وتحديد المعاني الحقيقية للحقائق الإيمانية ، فإن كل ما تعلم به الكنيسة إنما هو مُستقًى من وديعة الوحي ، من نصوص الكتاب المقدس ومن تعاليم الآباء الذين عايشوا هذه الحقائق وتسلموا معانيها من أسلافهم القديسين .

وسنبدأ بالحديث عن الرموز التي أشارت إلي نقاء مريم وتنزيهها من كل خطيئة في نصوص العهد القديم .

ثم الأدلة الكتابية التي تُثبت العقيدة من العهدين القديم والجديد .

ثم أقوال وتعاليم آباء الكنيسة الشرقية والغربية في هذا الصدد

ثم يلحق ذلك النصوص الطقسية المؤيدة للعقيدة في مختلف الطقوس والكنائس الشرقية .

تمهيد

مريم والرموز التي تُشير إلى نقائها في العهد القديم [1]

أولاً : الأشخاص الذين يرمزون إلى العذراء مريم :

يُصرِّح القديس بولس أن كل شيء في العهد القديم كان رمزاً لما سيأتي ، فالأشخاص الأكثر شُهرة ، والطقوس المختلفة ، والحوادث التاريخية ، كانت ظلالاً للمستقبل ، تُرسَم مسبقاً وفقاً للتخطيط الإلهي لتُشير إلى ملامح المسيح وظروفه وشخصيته .

هكذا مثَّل هابيل براءة المسيح ، وملكيصادق كهنوته ، وأيوب صبره ، وإسحق موته ، ويونان قيامته ، وداود مُلكه ، وسليمان حكمته ، وموسى خدمته وتشريعه ، كذلك هيَّأ الرب الإله رموزاً إلى شخصية العذراء مريم نَذكُر منها :

- كما خُلقت حواء في حالة البرارة ، وكانت زينة الفردوس الأرضي ، وأعطت الحياة لجميع البشر كذلك عُصمت مريم من الخطيئة الأصلية وأصبحت ملكة السماء والأرض ، ووفرت للجميع حياة النعمه والقداسة .

- وكما وَلَدت ساره إبنها إسحق بأعجوبة وصار إسحق أباً لشعوب كثيرة ، هكذا ولدت مريم إبنها يسوع بأعجوبة باهرة وهذا الإبن قد أعطيت له جميعُ الأمم ميراثاً .

- كما وَلَدت سارة إبنها إسحق ، موضوع الوعد الذي قطعه الله مع شعبه ، هكذا ولدت العذراء مريم إبنها يسوع موضوع الوعد الحقيقي .

- وكما فرحت راحيل حين ولدت إبنها البكر يوسف ، كذلك فرحت العذراء بميلاد إبنها البكر يسوع .

- وكما تعذَّبت راحيل وشَعَرَت بأفدح الآلام حين ولدت إبنها الثاني (بنيامين) حتى دعته " وليد ألمي " ، هكذا تألمت العذراء حين أصبحت أماً لجميع المؤمنين على الجلجلة فقد إجتاز في قلبها سيف مرير .

(١) راجع " مريم أم المسيح " للأب جبرائيل فرج ص ٢٧ وما يليها .

- وكما خلّصت يهـوديت شعبها ومدينتـها من خـراب مـؤكد بقـطع رأس أليـفانا (القائد المستعمر) هكذا حرّرت العذراء مريم العالم كله من هلاك أكيد بسحقها رأس الحية .

- وكما سحقت إستير رأس هامان الوزير العاتي الذي قصد إبادة شعبها [١] هكذا إنتصرت العذراء على الشيطانِ عدو البشر اللدود ووضعت حداً للعنة التي كانت تُثقل كاهلهم.

- وكما عُوفيت إستير من إرادة ملكية كان يخضع لها جميع الشعب [٢]، كذلك عُوفيت مريم العذراء من القانون العام الذي بموجبه يُولد جميع البشر تحت طائلة الخطيئة الأصلية .

- وكما تَوّج الملك إستير بأن أخذ صولجان من ذهب وجعله في عُنقها [٣]، كذلك تُوجت العذراء مريم ملكة وسلطانة على السموات والأرض .

ثانياً : الكائنات الجامدة التي تُشير إلى ملامح مريم .

لم يكتفِ الروح القدس بأن يَرمز ويُشير إلى مريم بواسطة أشخاص عاقلين ، ولكن أيضاً سبق وأظهر ملامح صورتها بواسطة كائنات جامدة .

١-الفردوس الأرضي:

والفردوس الأرضي بستان جميل ، غرسه الله نفسه ، وتُخصبه ينابيع مياه تَنبُع إلى حياة أبدية ، يصعد فيه النبت الأول بدون بذور ، وكان يضم شجرة الحياة ، كان مُعداً لإستقبال الإنسان الأول في لحظة خروجه من يد الله . ومريم هي أبهى حديقة عرفتها الأرض، ففي نفسها تفتحت أزكى أزهار الفضيلة ، وتَضَجت أينع ثمار القداسة ، إن الله نفسه هو الذي غرس هذا البستان ، أما المياه التي تسقيه فهي مياه النعمه الفائقة الطبيعة ، وقد أعد الله هذا الفردوس الجديد إعداداً خاصاً لإيواء إبن البشر ، آدم الجديد ، الذي كانت شجرة الحياة رمزاً له .

---

(١) استير (٨ : ٧) .
(٢) استير (١٥ : ١٣) .
(٣) استير (١٥ : ١٤) .

٢- سفينة نوح :

إن هذه السفينة قد أعِدّتْ قبل إستعمالها بزمن طويل ، وصُنعت من خشب لا يفسد وكانت تحمل في باطنها آمال الجنس البشري ، وتطفو وحدها على مياه الطوفان ، حين كان الغرق مصير كل من كان خارجاً عنها .

ومريم هيأها الله منذ الأزل ، وميزها بإنعامات فريدة ، وقد حملت في أحشائها أمل البشرية ورجاء العالم (يسوع المسيح) ، وبإستثناء فريد عُصمَت من الخطيئة الأصلية التي إجتاحت الأرض كلها ، فلا خلاص إلا لمن يلجأ إليها .

٣- حمامة السلام :

إن حمامة السلام البيضاء ، لم تجد لرجلها موضعاً علي الوحل الراكد ، الذي يغطي أديم الأرض بعد الطوفان ، ولكنها عادت بعد قليل من الزمن حاملة في فيها غصن زيتون أخضر .

ومريم لم تنغمس أبداً في حمأة خطيئة هذا العالم ، ولم تجد على الأرض موطئاً لبتوليتها الدائمة ، فوجّهت أنظارها نحو السماء وحملت يسوع الغصن الحقيقي للأمل والسلام. ولذا تُرنم لها الكنيسة : " السلام لكِ يا مريم الحمامة الحسنة التي ولدت لنا الله الكلمة " (١)

٤- سُلّم يعقوب :

سُلّم يعقوب هو هذا السُلم المنتصب بين السماء والأرض ، الذي يصعد وينزل عليه بلا توقف ملائكة الله .

ومريم تُشبه هذا السلم المنتصب فهي تَلمس الأرض بطبيعتها الإنسانية ولكنها تُدرك السماء بكرامتها وأمومتها الإلهية ، بها نزل يسوع إلينا ، وبها نتمكن من الإرتفاع إلى الله . بها تَصل صلواتنا الأرضية إلى عرشه الإلهي ، وبها أيضاً تَهبط إلينا من السماء جميع النعم والبركات .

---

(١) ثيودوكيات شهر كيهك .

٥- نجمة الصبح :

" مثل كوكب الصبح بين القمام " (إبن سيراخ ٥٠ :٦)

" مثل كوكب الصبح لأن حياتها كلها ظلّت كالصبح الطالع ولم يعتره غروب الخطيئة ، ومثل كوكب الصبح المتلألىء قبل النهار لأن ظهورها سبق ظهور المسيح إبنها ، الذي هو النور كلّه والنهار كلّه " .

" إنها كوكب الصبح المُشرق لأنها وهي أم يسوع شمس البر ، كانت مطلع خلاصنا والصلة بين ليل الناموس ونهار النعمة " (بلرمينوس)

٦- العليقة المتوقدة :

هي تلك الشجرة التي رآها موسى في البرية تتوقد ، ولكنها لا تحترق ، تتعالى فيها ألسنة اللهيب ، ولكنها في نفس الوقت تحتفظ بنضارتها وإخضرارها وإزدهارها .

ومريم العذراء ، فإنها بإمتيازٍ خاص حافظت على كرامة الأمومة الإلهية ، فعُصمت من الخطيئة الأصلية ، وحملت في أحشائها الإله المتجسد ، الجمرة المتقدة ، دون زرع بشري وبفعل الروح القدس .

وتأكيداً لهذا المعنى فإن المجمرة التي بيد الكاهن في القداس تُشير إلى العذراء مريم التي حَبلت بيسوع ، فحملت في أحشائها نار اللاهوت ولم تحترق ، ولهذا السبب يضع الكاهن يد البخور في المجمرة عند قوله عن السيد المسيح : " هذا الذي من الروح القدس ومن العذراء القديسة مريم .. تجسد وتأنس .. " ليُشير إلى أن الأقنوم الثاني من الثالوث الأقدس - إذ تجسد على الأرض - فاحت رائحته الزكيه ، وتراءى أمام العالم بمجد لاهوته .(١)

وتُعبر الكنيسة عن نفس المعني في لحن المجمرة بقولها : " هذه هي المجمرة الذهب النقية الحاملة العنبر ، في يدي هارون الكاهن ، يرفع بخوراً فوق المذبح .. " المجمرة الذهب هي العذراء الحاملة جمر النار المبارك ، وعنبرها هو مخلصنا ، ولدته وخلصنا وغفر لنا خطايانا.

(١) راجع كتاب مريم العذراء والدة الإله، للقس زكريا خليل النخيلي سنة ١٩٥٣ ص ٨٧ .

٧- أرز لبنان :

إرتفعتِ كأرز لبنان (إبن سيراخ ٢٤ : ١٧) .

إن مريم كالأرز مرتفعة بتأمل السماويات .

كالأرز سليمة من كل فساد .

كالأرز يفوح منها عطر الفضائل .

كالأرز لا يعتريها ذبول .

كالأرز مغروسة فوق أنهار النعم .

(القديس برنردينوس)

٨- بيت الحكمة :

" الحكمة بَنَت بيتها ونحتت أعمدتها السبعه " (أمثال ٩:١) .

وما البيت الذي بنته حكمة الله لسكناها إلا مريم . (ق . برناردوس) .

فهو البيت الذي تنازل الملك السماوي وسكن فيه . (بطرس داميان)

إنه بيتٌ يليق به القداسة والبهاء ، إنه بريء من كل شر ،

ومُزيَّن بكل جمال . (أمجاد مريم)

٩- تابوت العهد :

ويحتوي علي لوحي الشريعة وهو مصنوع من خشب السنط الكثير الثمن، والعديم الفساد أي غير القابل للتسويس ، وهو مغشى بالذهب من كل جهة . وفي هاتين المادتين (خشب السنط والذهب) الإشارة القويه إلى نقاء العذراء مريم ودوام بتوليتها .

وقد شُبِهت مريم بتابوت العهد :

- لأنها لم تحمل الناموس بل واضع الناموس . (بروكليوس)
- لأن التابوت كان يحمل ألواح العهد أما مريم فكانت تحمل وريث العهد .
- لأن عهد الله مع البشر قد ثُبت فيها. (أمبروزيوس)

- لأنها كانت نقية نفساً وجسداً كما كان تابوت العهد مُذهباً من الداخل والخارج ، فأشتملت بمجد اللاهوت داخلاً وخارجاً. (بروكليوس)

- لأن نهر النعمة وقف دونها كما وقف نهر الأردن في زمان يشوع.

وكما أن هذا النهر حبس مياهه إجلالاً لمرور تابوت العهد، هكذا الخطيئة الأصلية حبست مياهها إجلالاً ومهابة أمام مَن كانت تابوت العهد الأزلي .

(فرنسيس السالسي)

١٠-جُزاز جدعون:

ومريم هي جُزاز جدعون الجبار الذي تارة يسقط عليه الندى بينما يبقى ما حوله جافاً ، وطوراً يكون عليه وحده جفاف في حين أن ما حوله يظل ندياً ، ومريم تغمرها نعمة الله منذ البرهة الأولى من الحبل بها ، في حين أن جميع الخلائق تُولد في الخطيئة، ومريم وحدها تُعصَم من الخطيئة بينما تقتحم الخطيئة كل شيء حولها .

الفصل الأول

الدليل الأول الكتابي المأخوذ من العهد القديم

قال الرب الإله للشيطان المنتصر علي آدم وحواء ، والمتمَثِل في الحيّة : " أجعل عداوة بينكِ وبين المرأة ، وبين نسلكِ ونسلها ، فهو يسحق رأسك ، وأنتِ ترصدين عقبه." (تك ٣:١٥)

إن لهذه الآية مدلولها ومغزاها ، لأن المقصود منها هو عداوة مستقبلية يثيرها الله كتدبير إنتقامي ضد الشيطان حتي الغلبة والنصر، وتدمير سلطانه الجهنمي. وبمعنى آخر فإن البشرى السعيدة بمجيء الفادي مخلص العالم موجهة إلي المرأة " العذراء مريم " بصفتها الخلف الذي سيخرج من نسله فادي الإنسان . (١)

الشرح:

١- إن الحيّة هي إبليس :

إن الحيّة هنا لا يمكن أن تكون زاحفاً أعجمياً لا فهم له ولا إدراك ، فقد تحدثت إلي المرأة وأغوتها ، وما دار بين الحيّة والمرأة من حديث يُثبت أن الذي أغواها شخص عاقل إتخذ جسم الحيّة مسكناً له ، هذا الشخص هو إبليس . ويؤكد هذا المعني القديس يوحنا في سفر الرؤيا قائلاً : " فطرح التنين العظيم الحيّة القديمة بمناسبة دخوله في قديم الزمان جسم الحيّة وتضليله حواء لتخالف أمر الله وتأكل من الشجرة المُحرَّمة " (رؤ ١٢ : ٩) .

---

(١) راجع القديس إيرناوس . ضد الهرطقات . الينابيع المسيحية جزء ٢١١ ص ٤٦٢ - ٤٦٥

راجع أيضاً القديس إبيفانيوس . موسوعة الآباء اليونانيين MG مجلد ٤٢ عمود ٧٢٨ ، ٧٢٩

والقديس أغسطينوس في شرحه للمزمور١٠٣ موسوعة الآباء اللاتينML مجلد ٤٠ عمود ١٥٢٥

ويُراجع القديس يوحنا في إنجيله نفس المعني قائلاً :

" هو (أي إبليس) منذ البدء قتال للناس " . (يو ٨ : ٤٤)

فعبارة " منذ البدء " إشارة إلى ما أحدثه إبليس في أبوينا الأولين ، من قتل نفسيهما بحملهما على إرتكاب الخطيئة . فالحيّة إذن هي إبليس .

٢- إن المرأة المقصودة هي العذراء مريم ونسلها هو المسيح :

من أوصاف هذه المرأة ومن أوصاف نسلها يمكن الوصول إلى شخصيتها وشخصية إبنها، والحال أنه ما مِن نَسل سحق رأس الحية القديمة (إبليس) سوى السيد المسيح إبن العذراء مريم التي إشتهرت في لغة الكتاب المقدس بإسم " المرأة " .

فالمسيح إبنها هو الذي قال عنه القديس بولس أنه " محا الصك الذي كان علينا ... لهلاكنا ، وأخذه من الوسط وسمره في الصليب وخلع الرئاسات والسلاطين " (كو ٢:١٤-١٥).

وعليه يكون المسيح وحده هو نسل المرأة الذي يسحق رأس الحيّة بواسطة الصليب ، إنه المخلص الذي يسحق رأس إبليس (الشيطان) بميلاده من إمرأة لا تنتمي إلى حزب الشيطان ولم تكن في لحظة تحت حوزته، هذه هي أمه التي تقوم العداوة بينها وبين إبليس ، وأم المسيح هي العذراء مريم .

يُستنتج من ذلك

(١) أن هناك معركة بين حزبين أو معسكرين لكل منهما قائد : فقائد الحزب الأول الذي يسحق رأس الحيّة القديمة هي العذراء مريم (المرأة) بإعتبارها أم المسيح الفادي ، وقائد الحزب الآخر الذي يخاصم حزب المرأة هو إبليس .

(٢) ونسل المرأة هو المسيح الذي به يتعلق مصير خلاص العالم (تك ٢٢: ١٨) ، (غلا٣:١٦)، وهو وحده قد أتى إلى العالم ليطرد منه الشيطان ، ويُدَمِر أعماله ، ويقضي عليه (يو ١٢ : ٣١) ، (١ يو ٣ : ٨) ، (عب ٢ : ١٤) وعنه وحده قيل أنه نسل المرأة في تحقيق عمله الفدائي . (غلا ٤ : ٤ - ٥) .

فإن كان نسل المرأة هو المسيح ، فتكون المرأة أمه هي العذراء مريم فإنه هو الذي قيل عنه " المولود من إمرأة " (غلا ٤ : ٤) .

(٣) والعداوة التي تنبأ الله عنها لن تكون فقط بين نسل الحيّة ونسل المرأة ، بين قوى الشر والمسيح ، بل ستكون أيضاً بين الحيّة والمرأة (بين قوي الشر ومريم) " ها إني أجعل عداوة بينك وبين المرأة " لأن المرأة (مريم) ستشترك مع نسلها (إبنها يسوع) في سحق رأس الحيّة .

وهل يُعقّل أن تشترك المرأة مع نسلها في العداوة والنضال والجهاد ولا تشترك معه في المجد والإنتصار ؟

(٤) والعداوة منسوبة إلى المرأة لا إلى الرجل ، إلى نسل المرأة دون نسل الرجل ، إشارة إلى أن المخلص سيُولد من إمرأة دون تدخل رجل . فالأمر إذن يتعلق ببشارة جديدة ، حواء الجديدة ستلد آدم الجديد ، وهما يشتركان معاً في الإنتصار وفي النضال . وكأن الله يخاطب الشيطان قائلاً : " كما أنك إستعملت المرأة لتسقط الرجل الأول لتدمر عملي ، كذلك أنا أيضاً سأستعمل المرأة لأدمر عملك وأصلح عملي، إبتداء من المرأة نفسها ."

وكلمات هذه البشارة الأولى تعبر تعبيراً كاملاً عن دور المرأة (العذراء مريم) ومشاركتها في كفاح الفادي الخلاصي ضد مُسبِب الشر في تاريخ البشر . (١)

فمريم إذن هي التي أنجبت النسل الكريم (يسوع المسيح) الذي به ومعه سحقت رأس الحية (الشيطان) ، عدو الإنسانية ، لأنه "بحسد إبليس دخل الموت إلى العالم" . (٢)

والشيطان هو قاتل الناس منذ البدء (يو ٨ : ٤٤) ، فهو يضل المسكونة ويخدعها (رؤ ١٢ : ٩) ، ومريم هي التي شنّت عليه الحرب الضروس وسحقت رأسه بقدمها الطاهر البريء . (٣)

---

(١) رسالة رسولية للبابا يوحنا بولس الثاني " في كرامة المرأة " نُشرت بعناية المجمع المقدس للكنائس الشرقية . ترجمة عربية . صفحة ٤٦ .

(٢) صلاة الصلح في القداس الباسيلي .

(٣) مختصر اللاهوت العقائدي لودفيج أوت جزء ٢ صفحة ١١٣ .

" فهي غير مقهورة بطهارتها المنتصرة ، إن لديها السلطة لأن تجرح التنين في رأسه ، لا بالعمل ... ولكن بكيانها في ذاته الذي به تنتصر على الشر " [1] .

وقد عــبّر عن نفــس المعني البابا بيوس الثاني عشر في براءته " الله الكلي الجودة " (munificentissimus Deus) سنة ١٩٥٠ قائلاً : " إن آباء الكنيسة منذ الجيل الثاني قد عرفوا وجه مريم بإعتبارها حواء الجديدة ، فهي قائدة المعسكر الجديد إلى حيث النصر النهائي، لذلك فهي تسمو فوق كل خليقة ، إنها قمة جمال البشرية ، فيناديها جميع البشر : " كلك جميلة يا مريم " [2].

إعتراض :

وربّ معترض يقول :

إن حواء بإعتبارها أم البشر أجمعين هي المرأة المقصودة [3] ... إنه إعتراض وجيه ولكنه غير صائب لأن المرأة (حواء) لا تحمل صفات العداوه بينها وبين إبليس ، وكذا نسلها قائين وهابيل لم يسحقا رأس الحية بل إرتكب قائين أول جريمة قتل في تاريخ البشرية بقتله أخيه هابيل ، فلا يمكن أن تكون أمه (حواء) هي المرأة المقصودة وذلك للأسباب الآتية :-

١- لا توجد عداوة حقيقية بينها وبين إبليس لأنها وقعت فعلاً تحت سيطرته حين سقطت في الخطيئة وأكلت من الشجرة المحرّمة ، والكتاب يؤكد لنا " أن من يعمل الخطيئة فهو من إبليس " (١ يو ٣ : ٨) ، ويبين القديس يوحنا الفرق بين أبناء الله وأبناء إبليس قائلاً : " بهذا يتبين أبناء الله وأبناء إبليس : كل من لا يعمل البر فليس من الله " (١ يو ٣ : ١٠) .

ينتج من ذلك أن حواء هي إحدى بنات إبليس ، وقد وقعت فعلاً تحت سيطرته بطاعتها له وإرتكابها للخطيئة ، فلا يمكن أن تكون هي المرأة التي بينها وبين إبليس عداوة راسخة ومتأصلة ومستديمة .

(١) راجع إيريس حبيب المصري "قمة الإنسانية" جريدة وطني الأحد ٢٧ أغسطس ١٩٨٩ صفحة ٣ .

(٢) راجع دنزنجر برقم ٣٩٠١ .

راجع أيضاً أعمال الكرسي الرسولي سنة ١٩٥٠ مجلد ٤٢ صفحة ٧٦٩-٧٧١ .

(٣) راجع معجم اللاهوت الكاثوليكي D.T.C. Tome VII, Col.851

٢- إن حواء ظلّت في حياتها معرّضة للخطأ لأنها فقدت النعمة المبررّة بعد خطيئتها الأولى ، وقد زلّت فعلاً أسوة بباقي البشر ، فيقول القديس يعقوب في رسالته (٣:٢) " فإنا جميعنا نزل كثيراً ، وحواء هي واحدة من الجميع ، فلابد أن تكون قد زلّت هي أيضاً ، فإنه لا بار ولا واحد حتى وإن كانت حياته يوماً واحداً على الأرض "، [١] مع الإستثناء الفريد للعذراء مريم كما أسلفنا .

٣- يقول القديس يوحنا في رسالته (١:٨ - ١٠) " إن قلنا أنه ليس فينا خطأ فإنا نَضل أنفسنا وليس الحق فينا " ، فكيف يمكن أن ننزه حواء عن الخطأ ونحن نعلم أنها أخطأت وتسببت في خطأ آدم وفقدت صداقة الله ، وبالتالي فهي حليفة لا بل أسيرة لإبليس ، لا عدوة له .

وإن كان الوحي الإلهي قد قرر بوجود عداوة بين إبليس وأم النسل الذي يسحق رأس الحيّة ، لذا وجب إستبعاد حواء لسقوطها في حوزة الشيطان ، والإقرار بأن العداوة قائمة بين إبليس وأم النسل الذي يسحق رأس الحيّة .

ولما كان النسل الوحيد الذي يسحق رأس الحيّة هو المسيح . لذا وجب القول بأن أم هذا النسل أي العذراء مريم هي المرأة المقصودة .

وقد عرفَ آباء الكنيسة : منذ القدم أن المرأة المقصودة هي العذراء مريم :

- فيقول القديس يوستينوس : (١٦٣+) " مِنْ تلك العذراء سيولد ذاك الذي أعده الله لهلاك الثعبان وأتباعه " [٢] .

- ويقول القديس إيرناوس : (٢٠٣+) " ذاك الثعبان الناهش القتّال ، الذي أبعد الإنسان عن درب إلهه ، كان له الظفر إلي أن جاء إبن مريم فسحق رأسه " [٣] .

- ويصيب إبيفانيوس (في القرن الخامس) حين يقول : " إن وعد الظفر العتيد لم يُصنَع لحواء بل لنسل مريم الطاهر القديس " [٤] .

---

(١) أوشية الراقدين في صلوات رفع البخور .

(٢) موسوعة الآباء اليونانيين MG مجلد ٦ عمود ٧١١ .

(٣) موسوعة الآباء اليونانيين MG مجلد ٧ عمود ٩٥٨ ، ٩٦٤ ، ١١٧٥ .

(٤) موسوعة الآباء اليونانيين MG مجلد ٤٢ عمود ٧٣٠ .

- ويؤكد القديس إيرونيموس (٤٢٠+) : " أن المرأة الموعود بها في (تك ٣ : ١٥) هي هي التي تكلم عنها القديس بولس في رسالته إلي الغلاطيين (غلا ٤ : ٤) " فلما بلغ ملء الزمان أرسل الله إبنه مولوداً من إمرأة " (١) .

- البابا بيوس التاسع(١٨٥٤) : " إن العذراء الكلية القداسة ، بإتحادها بإبنها إتحاداً وثيقاً وغير منفصم ، كانت معه وبه ، العدو اللدود للحيّة الجهنمية القتاله ، فهي التي هزمتها كليّاً، لما سحقت رأسها بقدمها الطاهر " (٢) .

- البابا لاون الثالث عشر (١٨٩٠) يقول : " في البدء، لما تلطّخ أبوانا بالخطيئة ولطخا ذريتهما كلها بوصمة مشتركة ، أقيمت العذراء المجيدة عربوناً للخلاص والإنهاض المقبل " (٣) .

٣- نتيجة العداوة بين الحية والمرأة .

ولما كان العداء مع إبليس مستحكم ، وجب أن تكون المرأة ، قائدة الجيش الذي يقاوم إبليس ، منزهة عن كل شر، لأنه إذا كانت الصداقة مع إبليس قوامها الخطيئة، فبعكس ذلك تنشأ وتقوم العداوة معه، بالعصمة من الخطيئة .

ينتج إذن أن الله سيخلق العذراء مريم منزهة عن حالة الخطيئة الأصلية، وإن قلنا بخلاف ذلك فكأننا نقول : إن الله تعالي قد إختار لذاته منذ الأزل أماً ميّزها بصفات عجيبة ولكنه تركها - في برهة من الزمن - تحت قبضة إبليس ، في حالة الخطيئة الأصلية ، قبل أن تؤدي الرسالة السامية التي خُلقت من أجلها ، وهي الأمومة الإلهية تمهيداً لعمل الفداء .

ولما كانت الحياة تبدأ منذ اللحظة الأولى للحبل بالإنسان ، وجب أن نُقرر أن العذراء مريم قد وُجدت منذ أول لحظة للحبل بها طاهرة ، نقيه ، وخالية من حالة الخطيئة الأصلية .

فهل يَصح أو يُعقَل أن تلك التي إختارها الله منذ الأزل لتكون أمّاً لإبنه الحبيب، فادي البشرية ، وقد خصّها بتكريم فريد ، وتطويب لا مثيل له من البشرية جمعاء ، يتمثل في

(١) موسوعة الآباء اللاتين ML مجلد ٣٠ عمود ٨٢ ، ٨٣ .

(٢) البراءة البابوية " الإله الذي لا يوصف " " Jneffabilis Deus " .

(٣) معجم اللاهوت الكاثوليكي D.T.C.Tome.7 col.858 .

تقديم الثناء والمديح والإجلال لشخصها إلى منتهى الدهور ، أن تكون هذه بعينها - العذراء مريم - قد وقعت ولو لبرهه من الزمن في قبضة الشيطان، بخضوعها لشريعة سريان الخطيئة الأصلية ، فتنقطع عنها سلسلة التماجيد المتلاحقة ويمُتنع عنها كل تطويب وتبجيل .

ولما كان يليق بوالدة الإله كل تعظيم وتبجيل وتطويب ، وجب القول بأن الله تعالى ، بحكمة أزلية قد صان العذراء مريم من حالة الخطيئة الأصلية منذ اللحظة الأولى للحبل بها ، فهي جديرة بكل إكرام وتطويب وتبجيل إلى منتهي الدهور .

وتأكيداً لهذا المعنى وردت إشارة في سفر إستير إلى عدم خضوع العذراء مريم لشريعة الموت الذي ساد البشرية نتيجة الخطيئة الأصلية ، وذلك في حادث الملكة إستير ، التي أكد لها زوجها ، أنها غير مشمولة ضمن الشريعة القاضية بالموت :" أي رجل أو إمرأة دخل على الملك في الساحة الداخلية ... يُقتَل ، إلاّ مَن مدَّ له الملك صولجان الذهب فيحيا " (إستير ٤ :١١) ثم يكمل : " فنالت إستير حُظوة في عينيه ، فمدَّ لها الملك صولجان الذهب الذي بيده ، فتقدمت إستير ولمست رأس الصولجان . (إستير ٥:٢) .

وعليه يكون معني الآية (تك ٣:١٥) كالآتي :-

وأجعل عداوة بينك (بين الحيّة : إبليس) ، وبين المرأة (العذراء مريم) ، وبين نسلك (نسل الحيّة هو الخطيئة) ، ونسلها (نسل المرأة هو المسيح الفادي) ، فهو (أي المسيح) يسحق رأسك ، وأنتِ (أي الحيّة : إبليس) ترصدين عقبه .

أما عبارة " ترصدين عقبه " فمعناها أن الشيطان سوف يلاحق نسل المرأة ، أي أنه سوف يُحَرِّض اليهود علي قتل السيد المسيح ، ظناً منه أنه بموته سوف يتخلص منه، أو يتغلب عليه ، وهو لا يعلم أن هذا الموت عينه كان السبب في الإنتصار عليه ، فقد خلصنا السيد المسيح من أغلال الشيطان بموته ، الذي ظنّه إبليس إنتصاراً له على المسيح .

هذه هي شهادة العهد القديم التي تُعلِن بجلاء منذ فجر الإنسانية أنّ مريم أم المخلص هي بريئة ومنزّهة تماماً عن الخطيئة الأصلية منذ أول لحظة من كيانها .

ولا يفوتنا في هذه المناسبة أن نذكر ما ورد عن المرأة والتنين في سفر الرؤيا : " ثم ظهرت في السماء آية عظيمة ، إمرأة ملتحفة بالشمس وتحت قدميها القمر ، وعلى رأسها إكليل من إثنى عشر كوكباً ، وهي حُبلى ، تصيح وتتمخض ، وتتوجع لتلد . وظهرت آية

أخري في السماء ، فإذا بتنين عظيم ، له سبعة رؤوس .. وقف قبالة المرأة المشرفة على الولادة، ليبتلع ولدها عندما تلده . فولدت ولداً ذكراً ، هو المُزمَع أن يرعى جميع الأمم بعصا من حديد ، فاختطف الولد إلى الله وإلى عرشه ... فطارد التنين المرأة ، فأُعطِيَتْ هذه جناحي النسر العظيم لتطير إلى البرية ... " (١)

من هي تلك المرأة ؟

يقول الآباء إنها " الكنيسة " الأم الروحية لجسد المسيح السري لأنها مثل المسيح قد تعرضت للعذاب والإضطهاد .

وهي أيضاً لا تخلو من الإشارة إلي مريم العذراء لأن في "الولد الذكر" تلميح إلى سيدنا يسوع المسيح ، فلماذا لا تكون المرأة تلميحاً إلي "أم المسيح" ؟

وفي مقابلة بين سفر التكوين ٣:١٥ و سفر الرؤيا ١٢ : ١ - ١٧ ، نجد أن في سفر التكوين إستحكمت عداوة بين الحيّة من ناحية والمرأة ونسلها من ناحية أخرى .

وفي سفر الرؤيا نجد أن المرأة والولد الذكر قد أحرزا إنتصاراً تاماً على التنين . وما ذلك الإنتصار إلا لأن العذراء هي حقّاً ممتلئة نعمة ومنزّهة عن كل خطيئة منذ لحظة الحبل بها ، لذلك إستطاعت أن تنتصر على التنين .

---

(١) رؤ ١٢ : ١ - ٧ .

الفصل الثاني :

الدليل الثاني الكتابي المأخوذ من سفر نشيد الأناشيد

يتضمن سفر نشيد الأناشيد بعض آيات المدح والتبجيل ، نسبها بعض الآباء إلي الكنيسة بصفتها عروس المسيح النقية والخالية من كلَ عيبٍ ، والبعض الآخر – ومنهم القديس لورنس يوستنيانوس وبرناردينوس السينائي – أجمعوا علي أنها قيلت عن العذراء مريم البريئة من كل خطيئة .وإياً كان المسلك الذي سلكه الآباء في شرح هذه الآيات فإنها تنطبق علي كليهما ، فتنطبق علي الكنيسة بإعتبارها عروس المسيح ، وعلي العذراء مريم بإعتبارها أم الكنيسة ، فإنها لما ولدت المسيح " رأس الكنيسة " ولدت معه كنيسة المسيح " الأعضاء " وهذه الآيات هي :–

- كالسَوسَنة بين الشوك كذلك خليلتي بين البنات . (نش ٢ : ٢)
- جميلة أنتِ يا خليلتي جميلة أنتِ . (نش ٤ : ١)
- كُلُك جميلة يا خليلتي ولا عَيبٌ فيكِ . (نش ٤ : ٧)
- أختي العروس جنة مُقفلة ، يُنبوع مُقفَل ، وعَينٌ مختومه. (نش ٤ : ١٢)
- من هذه المشرقة كالصُبح ، الجميله كالقمر ، المختاره كالشمس ،المرهوبه كصفوفٍ تحت رايات . (نش ٦ : ٩)

الشرح :–

" كالسَوسَنه بين الأشواك كذلك خليلتي بين البنات "

هذه الآيه يُفسرها القديس ألفونس دي ليجوري بقوله :– " أنت إبنتي بين البنات كزهرة الزنبق بين الأشواك ، لأن البنات كلهن مدنسات بالخطيئة ، أما أنتِ يا مريم فبريئة منها وخالية من كل عيبٍ ".

وما الشوك إلا تعبير عن الخطايا التي تمزق النفس وتجرحها ، وإن دلّ على شيء فهو

يَدُل على الخطيئة الأصلية بإعتبارها سبب ومصدر كل الخطايا .

أما السوسَنه النابته بين الأشواك فهي رمز الطهارةِ والنقاوة ، إنها خليلة الروح القدس، إنها مريم العذراء الطاهرة بين النفوس الخاطئة .

وقد إختارها الله لتكون مقراً لسُكنى إبنه الحبيب ، فهي الإناء المختار منذ الأزل لتجسُد الكلمة الإلهي ، فكم يجب أن تكون مزينة ومهيأة نفساً وجسداً لتأدية مهمة الفداء مع إبنها الإلهي ، لذا أصبح من الضروري أن يستثنيها الله من شريعة الموت الروحي التي لحقت بنسل آدم وهي حالة الطبيعة البشرية الخاطئة .

- وفي (نش ٤ : ١٢) " أختي العروس جنة مُقفلة ، يُنبوع مُقفَل ، وعَيَنٌ مختومة " ، فالقديس **إيرونيموس** يفسرها بقوله : " إن مريم هي بالحصر هذه الجنة المُقفَلة ، وهذا الينبوع المُقفَل لأن الأعداء (الخطايا) ما إستطاعوا أن يدخلوا إليها ، **فقد حُفظت دائماً مُحَلاة بالنعمة ، كاملة ، لا عيبَ فيها .** "

- وفي (نش ٦ : ٧ - ٨) " الملكات ستون والسواري ثمانون ، والأبكار لا عدد لهن ، لكن حمامتي كاملة " . وفي النص العبري : " كاملتي البريئة من الدنس، وحيدة لأمها ، مُختارة لوالدتها " .

ويقول القديس ألفونس دي ليجوري : إن مريم هي من بين تلك الأنفُس الحمامة الطاهرة الخالية من الخطيئة ، هي الكاملة ، البريئة من دنس المعصية الأصلية ، إنها الوحيدة التي حُبِلَ بها في حال النعمة .

ويؤيد الروح القدس هذا المعنى بقوله : " كاملتي وحيدة " (نش ٦ : ٨) ، وكيف يمكن أن تكون عروسه وحيدة في كمالها إذا لم تُميَّز بمنحة فريدة ، لا يشترك فيها غيرها من البشر ، وهذه المنحة الفريدة لا يمكن أن تكون إلا براءتها من الخطيئة الأصلية التي إجتاحت جميع البشر . لذا هتف الروح القدس قائلاً : " جميلةٌ أنتِ يا خليلتي جميلةٌ أنتِ ، كُلك جميله يا خليلتي ولا عيبَ فيكِ " (نش ٤ : ١ ، ٧)

وفي (نش ٦ : ٩) " مَن هذه المشرقة كالصُبح ، الجميلة كالقمر ، المختارة كالشمس، المرهوبة كصفوفٍ تحت رايات " .

وتبدو مريم هنا وكأنها في صُبح وجودها ، فهي المرأة الوحيدة التي تحَلَّت بالنعمة المبررة، وعُتِقَت من الخطيئة الأصلية ، ومن سيطرة الشيطان عليها منذ أول لحظة من كيانها ، وقد أعلِنَ عنها أنها " جميلة كالقمر ، مختارة كالشمس ، مرهوبه من إبليس وجنوده لأن نسلها الطاهر (يسوع المسيح) قد سحق رأس الشيطان وأنقذ البشرية الساقطة " .

وهكذا إنتصرت مريم بإبنها علي شياطين الظلمة إنتصاراً تاماً وباهراً .

وكيف تكون مريم قد أحرزت هذا الإنتصار والجمال والبهاء منذ صُبح وجودها ، لو كانت نفسها قد تلطَّخت لحظة واحدة بالخطيئة ؟

وكيف تكون مرهوبة كصفوفٍ تحتَ راياتٍ من الأبالسة والشياطين لو كانوا إنتصروا عليها وأصبحت تحت سيطرتهم ولو للحظةٍ واحدةٍ من الزمن ؟

الفصل الثالث

الدليل الثالث الكتابي المأخوذ من إنجيل القديس لوقا

والعهد الجديد يشهد بطريقةٍ أوضَح أن مريم العذراء ليست فقط منزَّهة عن كل " دنس خطيئة " بل و " ممتلئة نعمة " أيضاً ، والنص اليوناني فيه من التعبير والقوة ما يجعل العذراء في حالة " إمتلاء من النعمة " لا مزيد عليها (مكوَّنة بالنعمة) ، وقد جاءت هذه الشهادة على لسان الملاك جبرائيل المُرسَل من قِبَل الله ليبشرها بالحبل الألهي عندما حيَّاها قائلاً : " السلامُ عليكِ يا ممتلئة نعمة الربُ معكِ " (لو ١:٢٨)

وقد جاءت تحـية المـلاك في بعض الترجمات " إفرحي يا ممتلئة نعمة " بدلاً من " السلامُ عليكِ يا ممتلئة نعمة " فإن كلمة " ⲭⲉⲣⲉ " التي إستعملها الملاك تحمل دائماً في طياتها دعوة إلى الفرح .

وقد إنطلقت الرسالة الإلهية بدعوة الى الفرح منذ ليلة الميلاد في بيت لحم :

" لا تخافوا فها أنذا أبشركم بفرحٍ عظيم يكون لجميع الشعب " (لو ٢ : ١٠)، وهذا ما سيعلنه المسيح نفسه : " قلت لكم هذا ليكون فرحي فيكم ، ويكون فرحكم كاملاً " (يو١٥:١١) ، وحتى نُدرك أبعاد هذا الفرح الموجه إلي مريم لابد أن نتذكر دعوات فرح مماثلة وردت في العهد القديم :

- " إبتـهجي جـداً يا بـنت صـهيون ، وإهتـفي يا بـنت أورشـليم ، هـوذا مـلكك يأتيك " (زكريا ٩:٩) .

- " ترنمي يا إبنة صهيون ، إفرحي وتهللي يا إبنة أورشليم ، .. إن في وسطك الرب ، إلهك الجبار فهو يخلص ويُسَر بك فرحاً " (صفنيا ٣ : ١٤ - ١٧)

- وأنتم يا بني صهيون إبتهجوا وإفرحوا بالرب .. إني في وسطكم ، إني أنا الرب إلهكم (يوئيل ٢ : ٢٣)

إن هذه الدعوات الثلاثة إلى الفرح تستعمل كلها كلمة " ⲬⲈⲢⲈ " التي إستعملها الملاك ، وسبب وجود هذا الفرح يَكمُن في حضور الرب وسط شعبه .

وعلى ضوء هذه النصوص نستنتج :

١- إن بشارة مريم بالفرح جاءت تكليلاً لكافة البشارات التي وردت في العهد القديم.

٢- هذا الفرح الذي عمَّ شعب الله قديماً بوجود الله وسط شعبه ، يوَجَّه الآن إلى مريم وحدها ، فهي تُمثل الشعب كله ، والبشر أجمعين ، وعليها أن تفرح باسم الجميع، لتنقل فرحها إلى الجميع . إنها صهيون الجديدة ، أورشليم الحقيقية ، بنت صهيون الحقيقية .

٣- إن الله يريد أن يُشبع نفس مريم بالفرح الدائم وكأنه يقول لها : " فيضي فرحاً يا فيض النعمة " ، فيتدفق منها ويتغلغل في عُمق ، إلى نفوس البشر أجمعين .

٤- وكما كان سبب الفرح هو حضور الله وسط شعبه ، كذلك كان فرح مريم في لحظة البشارة بسبب حضور إبن الله في أحشائها .

ولا يمكننا أن نعرف مدي إدراك مريم لأبعاد ذلك كله في لحظة البشارة ، حين غمرها الله بالفرح الإلهي ، ولكن الكلمة أودعت في أعماقها للتأمل والإمعان ، فقد كانت تُفكر في كل ذلك في قلبها . (لو ٢ : ١٩)

ولا زالت الكنيسة أيضاً عبر الأجيال تتأمل وتتبحّر في هذه المعاني الفياضة ، إفرحي يا مريم وإبتهجي لأنك ستصبحين أم المخلص ، إنكِ سوف تعيشين معه ، وله ، وبه ، وفيه .

ويصيب القديس مكسيمليان كولب (١) حين يقول : " إن الله وحده هو الذي يُدرك المعنى الحقيقي للحبل بمريم منزهة عن الخطيئة الأصلية وأبعاده " وذلك بسبب الإتحاد الوثيق بين مقاصد الله ودور العذراء مريم في تحقيق هذه المقاصد حين أجابت الملاك قائلة : " ها أنا أمة للرب فليكن لي بحسب قولك " . (لو ١ : ٢٨)

(١) ولد الأب مكسيمليان كولب في بولونيا في ١٨٩٤/١/٨ ، وسيم كاهناً في ١٩١٨/٤/٨ .
وأسس جمعية مريمية لهداية التائبين وتوعية المنشقين ،
له مؤلفات عديدة في اكرام سيدتنا مريم العذراء .
نال اكليل الشهادة في ١٩٤١/٨/١٤ ، أعلن قداسته البابا يوحنا بولس الثاني في ١٩٨٢/١٠/٢ .
وتحتفل به الكنيسة اللاتينية في ١٤ أغسطس من كل عام .

أولاً : معنى ومضمون تحية الملاك :

إن عبارة "يا ممتلئة نعمة " κεχαριτωμενη " تُعبر تعبيراً صريحاً عن حالة القداسة التي تنفرد بها وتتمتع بها العذراء الكاملة الطُهر ، وهذا ما دَعَي العلامة أوريجانوس (+٢٥٤) ، إلى الإشادة بهذه التحية الفريدة قائلاً : " لا أذكُر أني قرأت هذه العبارة في أي مكان آخر من الكتب المقدسة . إنها سلام يقتصر على مريم دون سواها " . (١)

والإمتلاء من النعمة المقصود هنا ، هو الإمتلاء من حالة البرارة في الماضي والحاضر، لذلك فإن مريم "الممتلئة نعمة" هي كاملة البرارة وكاملة القداسة منذ لحظة تكوينها في الأحشاء، لأن المقصود من لفظ " χαριζ " إنما هو " النعمة التي تجعل صاحبها مرضياً تمام الرضا لدي الله " .

والنص اليوناني " κεχαριτωμενη " يفيد أن الموصوف يتصف بهذه الصفة علي وجه الديمومة في الماضي والحاضر بصرف النظر عن الزمان والمكان وحدودهما (٢). ويقابله في اللغة العربية صيغة " الصفة المشبهة " وهي صفة لاصقة بالنفس وتشير إلى الحاضر الدائم ، فإن الوحي الإلهي أراد أن يصف العذراء مريم بالقداسة والإمتلاء من النعمة علي وجه الثبوت والديمومة ، أي أن هذه الصفة : " الإمتلاء من النعمة " هي ملازمة للعذراء بمعزل عن الزمان والمكان وحدودهما .

وبتعبير آخر نقول إن العذراء هي قديسة وممتلئة نعمة منذ لحظة بدء كيانها .

ولو شاء الوحي الإلهي أن يشير إلي إمتلاء مريم من النعمة في لحظة البشارة ، بمعنى أنها لم تكن حائزة علي الإمتلاء من النعمة قبل ذلك لاستعمل تعبيراً آخر

---

(١) راجع الرسالة العامة " أم الفادي " (Mater Redemptoris) عدد ٧ - ١١ وما تتضمنه من أقوال الآباء في الحاشية ٢١ صفحة ١٦

(٢) موسوعة الآباء اليونانيين MG مجلد ١٣ عمود ١٨١٥

راجع أيضاً القديس أمبروسيوس مجموعة الآباء اللاتين ML مجلد ١٥ عمود ١٦٣٦ في تعبير مماثل في هذا الشأن .

(٣) Jugie, l'Immaculée Conception dans l'Ecriture Sainte et la Tradition Orientale p.47

هو: " χαριτουμενη " ولو شاء أيضاً أن يوحي إلينا أن العذراء قد تبرَّرت في الماضي القريب ، في يوم من أيامها الماضية لاستعمل تعبير ثالث هو : -χα ριτωθετσα وإن كان الوحي الإلهي قد إستعمل صيغة " الصفة المشبهة " التي تدل علي ثبوت الصفة لصاحبها بمعزل عن الزمان والمكان " κεχαριτωμενη " فما ذلك إلا ليُعلِن أمام البشرية جمعاء أن العذراء هي كاملة القداسة ودائمة القداسة في الماضي والحاضر . (١)

ثانياً : شهادة أليصابات :

وفي تعبير مماثل لبشارة الملاك جاء علي لسان القديسة أليصابات حين إمتلأت بالروح القدس ، فصاحت بصوت عظيم وقالت : " مباركة أنتِ في النساء ومبارك ثمرة بطنك " (لو ١ : ٤١) فالبركة التي تشترك فيها العذراء هي نفسها البركة التي تُسنَد إلى الإبن الإلهي ، فمريم مباركة كما أن إبنها مبارك ، ولما كانت بركة يسوع كاملة ، كذلك كانت بركة أمه ، فكلاهما علي صعيد بركة واحد .

وجدير بالذكر أن الصيغة المستعملة هنا أيضاً هي صيغة الصفة المشبهة -ευλογημε ευλογημενη, νος وتدل كما دلّت في النص السابق ، على حالة من البركة ملازمة لصاحبها ، ثابتة ودائمة ، لا يَحدها زمان أو مكان . فالأم مباركة الآن ، كما كانت مباركة في كل لحظة من وجودها ، على نحو ما هو مبارك إبنها الإلهي ، وما هذه البركة الفريدة إلا نتيجة ضرورية لكونها كاملة القداسة ، ملتحفة بالنعمة بمعزل عن حدود الزمن .

ويقودنا البحث في معاني هذه النصوص إلى إستخلاص صفتين أساسيتين للعذراء مريم لم يُوصف بهما سوى السيد المسيح وحده :

١- **الصفة الأولى** هي التي نطق بها الملاك أي إمتلاء مريم بالنعمة " السلام عليك يا ممتلئة نعمة " فهو يناديها وكأنه يُعبِّر عن إسم مريم الخاص، وبالتالي يُبرز صفة من صفاتها المميزة ، والسبب الحقيقي الذي من أجله نظر الله إليها واختارها لمقام الأمومة الإلهية . فهي

---

(١) Bible de Jerusalem ed . du cerf paris 1956 p. 1353 note D." comblée de grâce" litt. Toi qui a été et demeure remplie de grâces (ou de faveur divine)

والترجمة الحرفية هي : " يا من كانت وستبقي ممتلئة نعمة " .

نقية طاهرة قبل أن يحل عليها الروح القدس وقبل أن تظللها قوة العلي ، لذلك فهي ممتلئة نعمة قبل بشارة الملاك لها .

يقول القديس توما الإكويني : " مُنحت العذراء ملء النعمة، لأنه كان لابد لها أن تكون الخليقة الأقرب من صاحب النعمة ومبدعها . ذلك أنه كان عليها أن تتقبل في ذاتها ، ذلك الممتليء كل نعمة. ولما ولدت إبنها ، فاضت النعمة على جميع البشر " (١)

وإذا تصفحنا الكتاب المقدس لا نجد بشراً مهما تسامت قداسته وعلا مركزه في بيعة الله وُصِفَ بالإمتلاء من النعمة سوي السيد المسيح ، فقد جاء عنه : -

" الكلمة صار جسداً وحل فينا وقد أبصرنا مَجده مَجد إبن وحيد لأبيه مملوء نعمه .. ومن إمتلائه نحن كلنا أخذنا " (يو ١ : ١٤ - ١٦)

فالمسيح وحده هو : " مَملوء نعمة " وإشتركت والدته في هذا الإمتلاء ، مع الفارق أن إمتلاء يسوع بالنعمة أمر تتطلبه طبيعته الإلهية ، فهو ممتليء بالنعمة من ذاته ، أما إمتلاء العذراء بالنعمة أمر لا تتطلبه طبيعتها البشرية ، وعليه فإن إمتلاءها من النعمة مِنحة خاصة أعطيت لها منه تعالى .

وإن كانت العذراء " ممتلئة نعمة " فلابد أن يكون هذا الإمتلاء قد جعلها حائزة علي جميع النعم بدرجة كبيرة من الكمال بحيث يشمل حياتها كلها ، ومن ضمن هذه النعم نعمة العصمة من الخطيئة الأصلية إبتداء من لحظة دخولها إلى العالم أي من لحظة الحبل بها في أحشاء أمها .

وقد حازت العذراء مريم علي هذا الإمتياز الفريد الذي لم يشاركها فيه أحد ، بمناسبة إختيار الله لها لتكون أماً لإبنه الحبيب . ولما كان هذا الإختيار منذ الأزل ، وجب أن يسري مفعوله منذ اللحظة الأولى التي تتواجد فيها العذراء في الزمن. ويؤكد هذا المعني النص اليوناني κεχαριτωμενη , ευλογημενη... και ευλογημενος... الذي يشير إلى الماضي ، ونتساءل هنا إلى متى يرجع ويمتد هذا الماضي ؟ لا يرجع إلى ساعة البشارة فحسب، ولكن لابد أن يمتد ليشمل حياة العذراء بأكملها منذ دخولها إلى العالم ، بل منذ لحظة إختيارها من الله لتكون أماً للفادي والمخلص، وهذه اللحظة في فكر الله منذ الأزل.

(١) Pie Regamey . Les plus beaux textes sur la Vierge ed . 1946 p.223

والنتيجة إذن أن العذراء قد مُلئَت بالنعمة منذ لحظة الحبل بها ، والإمتلاء من النعمة يتعارض مع وجود الخطيئة الأصلية ، لكنه لا يتعارض مع الطبيعة الإنسانية لأن الطبيعة الإنسانية لا تتنافى مع البراءة من الخطيئة الأصلية وقد كانت هذه حالة الإنسان الأول لو أنه ثَبُت في حال النعمة .

فإن صَحَّ القول أن المسيح لم تمسه أية خطيئة لأنه مملوء نعمة ، هكذا وجب القول عن أمه العذراء مريم لأنها هي أيضاً مملوءة نعمة .

إعتراض :

ورُبَ مُعترضٍ يقول إن أليصابات أيضاً قد إمتلأت من النعمة إستناداً على ما جاء في إنجيل لوقا : " وإمتلأت أليصابات بالروح القدس " (لو ١ : ٤) وبذلك تكون أليصابات قد إشتركت في إمتياز مريم ، فإذا كانت هذه قد حُبِلَ بها منزهة عن حالة الخطيئة الأصلية ، فتكون تلك كذلك .

ورداً على ذلك نسرد ما قاله العلامة أوريجانوس فخر الكنيسة الأسكندرية في هذا الصدد :

لقد حيا الملاك البتول مريم بعبارة لم يَرِد مثيلها في الكتاب المقدس وهي " يا ممتلئة نعمة " وهذه العبارة لم تكن موجهة لإنسان بل كانت سلاماً خاصاً موجهاً إلى مريم (طالع شرحه إنجيل لوقا) .

ولا يخفى على كل ذي بصيرة ما كان عليه العلامة أوريجانوس من التعمق في دراسة الكتب المقدسة ، فإذا كان قد قرر أنه لم يجد في الكتاب المقدس عبارة مماثلة لسلام الملاك لمريم " يا ممتلئة نعمة " وجب القول أن لفظة " إمتلأت " التي قيلت عن أليصابات كانت بمعنى مختلف تماماً عن معني لفظ " ممتلئة " التي قيلت عن العذراء ، وبالتأمل في الفرق بين اللفظين يتضح الآتي :

أ- إن لفظ " ممتلئة " يُعبر عن حالة ثابتة ، موجودة ومستمرة ، كما هو الحال في العذراء . أما " إمتلأت " فيشير إلي حالة عارضة إستجدت في الزمن ، وهذا هو حال أليصابات .

ب- إن إمتلاء العذراء كان من النعمة ، كما أسلفنا ، أما أليصابات فكان إمتلاؤها من روح النبوءة ، ولذا عرفت أليصابات أن مريم هي أم الله قبل أن تُخبرها مريم بحبلها العجيب فصاحت مُتهللة " من أين لي هذا أن تأتي إليّ أم ربي " (لو ١ : ٤٣)

الصفة الثانية هي : " مباركة أنت في النساء " ، هذه هي الصفة التي وصف بها الملاك المُرسَل من قِبَل الله ، شخص مريم ، أما أليصابات فبإيحاء الروح القدس وَصَـفَت بهـذه البركة عينها ثمرة بطن مريم (السيد المسيح) قائلة " مبارك ثمرة بطنك " (لو ١ : ٤٢) ، وفي هذا التوازي والتقابل بين البركتين ما يدل علي عصمة مريم من كل خطيئة ، ولا شك أن هذه البركة ، بركة ممتازة ، فإنها بينما تجعل من السيد المسيح - ثمرة بطن مريم - إنساناً خالياً من كل خطيئة ، كذلك فإنها تجعل من أمه العذراء مريم ، إنسانة مباركة بين النساء وخالية من كل خطيئة أيضاً .

وقد سبق أن بينّا أن أوريجانوس شهد بأن هذا السلام الفريد ، كان تعبيراً عن إمتياز عجيب أُسنِدَ لمريم دون سواها ولم يسبق له مثيل في الكتب المقدسه .

وقد رأت اللجنة البابوية التي عهد إليها البابا بيوس التاسع أمر فحص الإمتياز المريمي في هذا النَص (نَص البشارة) ما رأته في نص سفر التكوين (٣:١٥) السابق ذكره ، وقررت أنه دليلاً صحيحاً ومُنتجاً لبراءة العذراء مريم من كل خطيئة .

وإعتبرت اللجنة هذا التوازي بين البركتين برهاناً تعضيدياً على صحة هذا المعتقد ، فإن الأمر يتعلق ببركة فريدة في نوعها ، تنبثق من العلاقة الحميمة بين مريم وذلك الذي هو " ثمرة بطنها المباركة ". لذلك فإن الإمتلاء من النعمة ، مضافاً إليه هذه البركة الممتازة يتضمنان الإمتياز الفريد بالحبل بمريم منزهة عن الخطيئة الأصلية .

ولنستمع إلي ما قرره البابا بيوس التاسع في مرسوم إعلان العقيدة ، : " إن الآباء القديسين واللاهوتيين المتخصصين إذ فحصوا بتدقيق ، بشارة مريم ودعوتها للأمومة الإلهية ، وتأملوا في تعبيرات الملاك جبرائيل الذي يقدم لها ذلك السلام الفريد والمهيب ، الذي لا مثيل له " السلام لك ، يا ممتلئة نعمة " تأكدوا أن الله قد أعلن للبشر أن مريم هي المركز الفياض لجميع النعم الإلهية ، لأنها مزدانة بجميع مواهب الروح الإلهي ، فهي المستودع الأمين لتلك الكنوز والمواهب، والذي يكاد يكون لا متناهياً ، **لأنها لم تكن قط تحـت وطأة اللـعنة ، بل**

إشتركت مع إبنها في البركة الدائمة ، وإستحقت أن تسمع صوت أليصابات التي إمتلأت من روح النبوءة وهي تناديها قائلة : " مباركة أنتِ في النساء ومبارك ثمرة بطنك " .

ففي عبارة " لم تكن تحت وطأة اللعنة " رأي قداسة البابا أن في تحية الملاك ، وفي أقوال أليصابات " مباركة أنت في النساء " إعلاناً واضحاً عن تنزيه مريم العذراء من كل خطيئة أصلية أو فعلية .

وفي عبارة : " الرب معك " رأى قداسته أن للرب وجوداً حقيقياً في حياتها ، إنه فعلاً متجسد في أحشائها ، وحيث يوجد الرب توجد ملء النعمة ، وبالتالي لا محل للخطيئة .

وهذا يعني أن إمتياز الحبل بمريم منزهة عن الخطيئة الأصلية يَكمُن في تحية الملاك وفي نبوءة أليصابات وهو مطابق لتعليم الآباء القديسين أمثال : يوستينوس وإيرناوس وإفرام وإبيفانيوس الذين يقررون أن الإبن وأمه متحدان في البركة الواحدة ، كما أنهما متحدان في النضال ضد الحية الجهنمية لإنهاض الجنس البشري .

والمجمع الفاتيكاني الثاني يؤكد : " كما ساهمت إمرأة في عمل الموت تساهم أيضاً إمرأة في صنع الحياة ، هذا ما يتحقق بنوع عجيب في أم يسوع ، التي أفاضت على العالم الحياة المجدَّدة لكل شيء ، والتي وهبها الله نعماً تلائم مهمتها السامية . وعليه فلا عجب أن يصف الآباء القديسين أم الله بأنها كلية القداسة ، ومنزَّهة عن كل خطيئة ، وكأن الروح القدس قد جَبَلها فكوَّنها خليقة جديدة . وتمتعت عذراء الناصرة ، منذ اللحظة الأولى للحبل بها ، بقداسة فريدة ، فحياها ملاك البشارة المرسل من قِبَل الله قائلاً : " يا ممتلئة نعمة " [١] .

والبابا يوحنا بولس الثاني يقول : " إن العذراء حين أجابت الملاك بالقبول ، أصبحت موضوع الإتحاد الحقيقي بالله ، ذلك الإتحاد الذي تحقق في سر تجسد الكلمة الذي هو واحد مع الآب في الجوهر ." [٢]

ثم يرجو من العذراء التي سبقت الكنيسة كلها في مجال الإيمان والمحبة والإتحاد الكامل بالمسيح ، أن تنال لنا من قِبل الله ثمرة هذا الفداء . [٣]

---

(١) الوثائق المجمعية " الكنيسة نور الأمم " عدد ٥٦ .

(٢) رسالة رسولية في كرامة المرأة ودعوتها .نشرت بعناية المجمع المقدس للكنائس الشرقية ص ١٧.

(٣) نفس المرجع السابق صفحة ١٢٥ .

الفصل الرابع

الأدلة والبراهين العقلية واللياقية

إذا نظرنا إلى هذه العقيدة من الوجهة النظرية والعقلية المحضة ، فإننا نجد أنها لا تتعارض مع العقل ، فإن مكانة مريم العذراء بإعتبارها أم الفادي ، تستلزم براءتها من حالة الخطيئة الأصلية ، ولما كان هذا ليس بمستحيل لدى الله تعالى ، إذن يجب تطبيق المبدأ : استطاع ، لاق ، إذن فعل .

أي أنه : إن كان الله يستطيع أن يصنع ذلك (أي أن يقي العذراء مريم من دنس الخطيئة الأصلية) وقد كان من اللائق بمكانة مريم بإعتبارها أم الفادي أن تكون كذلك ،

إذن الله فعل ذلك .

الدليل الأول :

لما كان الله هو الطُهر بالذات ، وجب أن يخصص لذاته أماً طاهرة ونقية تليق به ، وإن كان الله قدوساً فهو في الوقت ذاته قادر على كل شيء ، وفي إستطاعته أن يَصون مِن الخطيئة مَن يريد ، فبقدرته غير المحدودة يستطيع أن يختار لذاته أماً بغير عيب وبغير خطيئة، وإن كان الله قد سبق وطهّر يوحنا المعمدان وأرميا النبي وهما في جوف أمهاتهما ، وخلق الملائكة أبراراً ، ووهب لآدم وحواء النعمة المبررة قبل السقطه ، ولما كانت محبة الله لأمه تفوق بكثير محبته لسائر المخلوقات ، ولما كانت مريم تفوق جميع الأنبياء والقديسين ، وجب عليه تعالى أن يصون أمه ، ويقيها من سم الأفعى ، أي أن يعصمها من الخطيئة فإنه لا يُعقل أن يمنح الله النعمة المبررة لآدم وحواء ولا يمنحها لأمه !

ولا يُعقل أيضاً أن يُطهر الله يوحنا المعمدان وأرميا النبي ، ويترك أمه لحظة من الزمن تحت سيطرة إبليس أو الخطيئة !

فهل يليق أن تكون والدة الإله أقل منزلة من الملائكة ، أو أقل شأناً من آدم وحواء ! لذا وجب القول بأنه تعالى قد عَصمها ونزّهها من كل خطيئة .

الدليل الثاني :

إن الله قد سبق وانتخب مريم أماً ليسوع المسيح ليهب الفداء والسلام للبشر. فيقول القديس يوحنا الدمشقي : " إنكِ وُلدتِ أيتها البتول المباركة لتكوني خلاصاً لسكان الأرض كلها " (١)

ويقول القديس باسيليوس الكبير : " إنها حواء الجديدة أم الحياة ، وسيطة الصُلح بين الله والبشر " . ويترنم القديس إفرام السرياني قائلاً : " السلام عليك يا التي صالحتِ العالم بأسره مع خالقه ". ومن صفات الوسيط أن يكون ذا حُظوة لدى من يتوسط إليه وبالتالي يجب ألا يكون بينه وبين صاحب العفو أقل عداء ولا أدنى صلة إشتراك في عداوة حتى يستعطفه فيصفح عن الإهانة الموجهه إليه . وإن كانت مريم هي وسيطة الصُلح بين الله والبشر ، فيليق بها أن تكون غير مشتركة في العداوة نحوه ، فهي الصديقة والوسيطة ، وهذه الصداقة مع الله تقوم في براءتها من كل ذنب ونزاهتها من كل دنس خطيئة .

---

(١) القديس يوحنا الدمشقي - الميمر الأول في ميلاد العذراء .

الباب الرابع

الشواهد المأخوذة من تعليم آباء الكنيسة

تمهيد

تعليم الآباء هو إيمان الكنيسة عبر الأجيال

إن القيم الروحية التي تسلّمتها الكنيسة المقدسة من آبائنا القديسين هي روح وحياة ، إنها خِبرة روحية عاشها أباؤنا الروحيون الأتقياء ، ثم حافظ عليها أبناؤهم والأجيال الصاعدة نتيجة إقتناع وإختبار داخلي منذ أقدم العصور، لذلك فإن الكنيسة في تمسكها الشديد ومحافظتها على تعليم الآباء (التقليد) إنما تحافظ على الوديعة للأجيال اللاحقة بالخبرات الروحية الموروثة من الأجيال السالفة ، والخبرة الروحية عند الآباء القديسين تحمل دائماً في طياتها فكراً وسلوكاً ورؤية روحية لها وزنها وقيمتها، فهي بالنسبة للكنيسة تراث ونور يُهتدى به .

في القرون الثلاثة الأولى تكلم الآباء القديسون عن مريم العذراء فدعوها: " حواء الجديدة " كما دعوا يسوع " آدم الثاني " ونعتوها بمديح عجيب فريد من نوعه فسموها : البريئة ، الكلية البرارة ؛ النقية ، الكلية النقاء ؛ الكاملة ، الكلية الكمال ؛ .. أجمل من الجمال .. وأقدس من القديسين فهي وحدها الطاهرة في النفس والجسد . لذلك شاركت إبنها في عمل الفداء الخلاصي، وكما أن آدم الثاني بطاعته استحق لنا ما أضاعه آدم الأول بعصيانه (رومية ٥ : ١٩) ، كذلك مريم (حواء الثانية) أصبحت واسطة الخير ، وأم الخلاص للبشرية جمعاء .

" فإن الله لما أراد أن يفتدي الذين خلقهم على صورته ومثاله ، إختار منذ الأزل عذراء ثانية حتى يكون الجنس الذي كان سبباً لهلاكنا هو نفسه سبباً لخلاصنا ، حواء آمنت بكلام الحية فحلّت عليها لعنة الموت ، ومريم البتول آمنت بكلام الملاك فحلّت عليها كلمة الله حتى يخلص ما قد هلك ، حواء بعدم إيمانها أثمت ، ومريم بإيمانها الإثم مَحَت " . [١]

---

(١) موسوعة الآباء اللاتين ML مجلد ٢ عمود ٨٥٤ ، ٨٥٥ .

الفصل الأول

تعليم آباء الكنيسة الغربية

١- **القديس يوستينوس** الفيلسوف الشهير الذي أُستشهد في روما سنة ١٦٣ في حواره مع تريفون يقول : " إن الذي صار إنساناً من عذراء بتول ، اختار لذاته أن يسلك الطريق الذي سلكه في بدء الخليقة " **أي أن يُولد من عذراء بلا خطيئة** ليُحررنا من الخطيئة ، حواء كانت عذراء طاهرة ، ولكنها قد أمالت للحية أذناً صاغية ، فجلبت علينا المعصية والموت ، أمّا مريم التي كانت تنعم بفيض الإيمان والفرح فلما بشرها الملاك أجابت : ليكن لي بحسب قولك ، وجلبت علينا النعمة . (١)

٢- **القديس إيرناوس** سنة ٢٠٣م يتوسع في الموضوع ويعطيه قيمة تعليمية فيقول : " لقد جدَّد المسيح كل شيء ، فبدأ بالهجوم على الشيطان ، وتغلّب على مَن في البدء أسرنا في شخص آدم ، وسحق رأسه " . (٢)

ثم يسرد هذه المقابلة بين حواء ومريم :

- " قُرب آدم كانت حواء المرأة الأولى ، وهذه بعصيانها صارت سبب موت لذاتها وللجنس البشري بأسره ، وقُرب آدم الجديد كانت مريم ، وهذه بطاعتها أصبحت سبب خلاص للجنس البشري بأسره ، وبما أن الجنس البشري قد خضع للموت بسبب عذراء ، هكذا صار الخلاص من جديد بسبب عذراء بحسب التوازن العادل ، فطاعة عذراء (مريم) ، عوَّضت ما أضاعته وخسرته عذراء (حواء) ." (٣)

- **" فمن الطاهر خرج طاهراً من أحشاء طاهرة ، جعلها هو بالذات طاهرة ".** (٤)

---

(١) موسوعة الآباء اليونانيين MG مجلد ٦ عمود ٧١٠ .

(٢) موسوعة الآباء اليونانيين MG مجلد ٧ عمود ١١٧٩ .

(٣) موسوعة الآباء اليونانيين MG مجلد ٧ عمود ١١٧٥ .

(٤) موسوعة الآباء اليونانيين MG مجلد ٧ عمود ١١١٠ ، ١٠٨٠ .

– " إن عقدة تمرد حواء قد إنحلت بطاعة مريم ، **لأن ما عقدته العذراء حواء بعصيانها ، قد حلّته العذراء مريم بإيمانها** " . [(١)]

– إن العذراء وإبنها يمثلان نُبل الجنس البشري ، فإن آدم قد إكتملت صورته في شخص المسيح ، وحواء إكتملت صورتها في أمه العذراء مريم ، فكلاهما رأس البشرية الجديدة، وعمل الخلاص عمل واحد يشترك فيه الإبن والأم معاً .

" فالمسيح أخذ من تلك التي من آدم (مريم) صورة الخليقة الأولى " . [(٢)] أي صورة آدم قبل الخطيئة ، ومن البديهي أن العذراء لا تستطيع أن تُعطيه تلك الصورة ما لم تكن هي نفسها حاصلة عليها .

٣- القديس أمبروزيوس :(٣٤٠ - ٣٩٧) يقول :-

" إن مريم العذراء كانت على الدوام رهناً للمسيح وخاصته ، حتى وهي في أحشاء أمها " [(٣)]، فهي إذن نقية بالنعمة ، بريئة من كل خطيئة .

٤- القديس إيرونيموس : (+ ٤٢٠) يقول : -

" إن مريم لم تعرف الظلام قط، إنها نور بهي وضوء دائم " . [(٤)]

٥- القديس أغسطينوس : (+ ٤٢٠) يقول كلماته المأثورة :

" إني أستثني العذراء القديسة مريم ، فلا أريد أن يُعني بها أصلاً متى كان الكلام عن الخطيئة " [(٥)]

" إن والدة السيد المسيح قد إستمرت عذراء لا في جسدها فحسب ، بل وفي روحها أيضاً ، فإنها وإن كانت قد إشتركت مع الجنس البشري بالولادة الطبيعية ، إلا أنها لم تشترك

---

(١) موسوعة الآباء اليونانيين MG مجلد ٧ عمود ٩٥٦ ، ٩٥٧ .
راجع أيضاً القديس إيرناوس ضد الهرطقات ٣ ، ٢٢ ، ٤٠ .

(٢) راجع القديس إيرناوس، الينابيع المسيحية ٢١١ ، ٤٣٨ ، ٤٤٤ .
راجع أيضاً دستور عقائدي في " الكنيسة نور الأمم " عدد ٥٦ .

(٣) تفسير المزمور ١١٨ عظة ٢٢ .

(٤) تفسير المزمور ٧٧ عدد ١٤ .

(٥) كتابه عن الطبيعة والنعمة الفصل ٣٦ .

معهم في الخطيئة " . ثم يكمل : " إنه يَلزم إقصاء كل خطيئة عن البتول مريم إجلالاً لله ، لأننا نعلم انها قد أعطيت نعماً وفيرة لتنتصر على الخطيئة بكافة أنواعها ، أكثر مما إستحقت لتحبل وتلد مَن لا خطيئة فيه .. إن أعجوبة بتولية العذراء الدائمة هي كمال جمال الحبل الطاهر بها " . (١)

وفي تفسيره للآية (تك ٣ : ١٥) " وأجعل عداوة بينك وبين المرأة " يقول : " إذا كان الشيطان هو رأس الخطيئة ، فمريم قد سحقته، لأن الخطيئة لم تجد إلى نفسها النقية سبيلاً " . (٢)

٦- القديس مكسيموس أسقف نورينو (+ ٤٧٠) يقول :

"إن مريم كانت مسكناً أهلاً للمسيح لا باستعدادات الجسد بل بالنعمة الأصلية" (٣)

٧- الشاعر سيدونيوس (Sidoine Appollinaire) الذي أصبح أسقف مدينة كليرمون (Clérmont) (+ ٤٨٩) يترنم في مديح مريم قائلاً :

" وكما أن الوردة المتفتحة تنبت خالية من الأشواك الجارحة ، هكذا مريم العذراء الطاهرة ، جاءت من نسل حواء مُنزهة عن كل خطيئة ، وكفّرت العذراء الجديدة عن جريمة العذراء القديمة . " (٤)

٨- القديس سابا (٤٣٩ - ٥٣٢) يخاطب العذراء قائلاً :

"أنتِ التي لم تعرفي الخطيئة أبداً، أنتِ رجائي، **وليس أحد غيرك مُنزهاً عن الدنس ، أنتِ البريئة من كل خطيئة** . "

٩- القديس بطرس داميانوس (١٠٧٢) يقول :

" إن الجسد الذي ورثته العذراء أم الله عن آدم **لم يتدنس أبداً بجريرة آدم** "

---

(١) موسوعة الآباء اللاتين ML مجلد ٤٤ عمود ٢٦٧.

راجع أيضاً مريم العذراء وقضايا العصر للمطران عبده خليفة صفحة ١٨٤ .

(٢) كتابه عن الطبيعة والنعمة فصل ٣٦ .

(٣) الميمر الخامس في ميلاد الرب .

(٤) في قصيدته الفصحية .

١٠- القديس انسلموس (+ ١١٩٠) يتساءل قائلاً :

" هل من المعقول أن يُعطي الله النعم لحواء أمنا الأولى فتأتي إلى العالم بريئة من العيوب ، ولا يُعطي هذه النعم نفسها لمريم العذراء أمه ؟ "

١١- القديس بونافنتورا (+ ١٢٧٤) يقول :

" لقد كان من المحتم على تلك التي رفعت عنا عار اللعنة والمذلة ، أن تنتصر على الشيطان ، **لأنها لم تكن تحت سيطرته أو في حوزته لحظة واحدة** "

ثم يبتهل إليها قائلاً "

" أنتِ يا مريم خلاص الذين يبتهلون إليك " وفي موضع آخر يقول :

" **إن سيدتنا مريم العذراء قد وُجدت ممتلئة من النعمة التي حمتها من دنس الخطيئة** ."

الفصل الثاني

تعليم آباء الكنيسة الشرقية

- يقول أوريجانوس فخر الكنيسة الإسكندرية والعلامة المرموق (+ ٢٥٤):

" إن تحية الملاك : " السلام عليك يا ممتلئة نعمة " لا تليق إلا بمريم دون سواها لأنها ما تدنست أبداً من سُم الحية . " (١)

- القديس ديونيسيوس البطريرك الإسكندري (+٢٦٥) يُمجد العذراء قائلاً:

" واحدة وحيدة هي العذراء إبنة الحياة ، على خلاف بقية الأنفس اللائي يولدن بالخطيئة للموت ، فإنها منزل لم تصنعه الأيدي البشرية ، هي الإبنة المباركة من الرأس إلى إخمص القدمين ، والفردوس البتولي الحاوي على الكنز الثمين . " (٢)

- القديس إفرام السرياني (+٣٧٣) كِنّارة الروح القدس يؤكد :

ان العذراء طاهرة وحدها نفساً وجسداً ، فهي الكلية القداسة ، النقية ، التي لا عيب فيها ، كلها نعمة ، كلها نقاء ، بلا دنس ولا شائبة ..

في جسدها النقي بتولية وأمومة معاً ، بلبنها أرضعت مُغذي الشعوب ، وعلى رُكبتيها حملت حامل الكل ، فلماذا لا تكون قديسة بالجسد ، جميلة بالنفس ، نقية بالروح ...؟

ليفرح بمريم آدم الأول الذي لدغته الحية ، فقد منحته نسلاً، به قوي على الثعبان، وأُعفيَ من لدغة الحية المميتة ...

أعطت مريم لبني البشر ثمرة شهية ، بدل تلك الثمرة المرة التي قطفتها حواء، وبثمرة مريم الخليقة كلها تتلذذ .

مريم نَسجت لأبيها ثياب مَجد ، وكان قد عُرّي بين الأشجار ، فبها إكتسى ولبس ثوب الجمال .

---

(١) موسوعة الآباء اليونانيين MG مجلد ١٣ عمود ١٨١٥ .

(٢) راجع رسالته إلى بولس السميساطي وأجوبته على أسئلته العشر .

إمرأته صرعته ، وإبنته أقامته ، فنهض جباراً .

حفرت حواء والحية حفرة فيها أسقطتا آدم ، فأسرعت مريم والملك وانتشلاه فأخرجاه من الهوّة ، بالسر الخفي الذي تجلى وأحيا آدم . (١)

وفي عظته عن انتصار العذراء على الشيطان يقول : " السلام عليك يا من استعادت آدم من منفاه ، وفَدَتْ حواء من سقطتها ، السلام عليك أيتها البتول النقية التي سحقت رأس الحية أصل الشر ودهورتها مقيدة في الجحيم " . (٢)

ثم يمضي في وصف العذراء بأجمل الألقاب والأوصاف قائلاً : أيتها التابوت المقدس ، العذراء النقية ، البريئة من الدنس والمنزهة عن كل خطيئة ، أيتها البتول عروس الله " . (٣)

– **القديس كيرلس الأورشليمي** (+٣٨٧) يتحدث عن تجسد الكلمة فيقول :

" في الواقع كان ملائماً للطاهر ومعلم الطهارة أن يَخرج من أخدار طاهرة ." (٤)

– **القديس غريغوريوس النازاينزي** الشهير بالثاولوغوس (+ ٣٩٠) يتحدث عن التجسد قائلاً : " إن الكلمة صار إنساناً كاملاً ، فشابهنا في كل شيء ما عدا الخطيئة ، ... ثم يخاطب مريم قائلاً :

" ولدتيه وأنت عذراء ، **وكان الروح القدس قد سبق وزين نفسك وجسدك طُهراً ونقاوة** . " (٥)

– **ديديموس الإسكندري** : (+٣٩٦) في كتابه عن الثالوث يمدح مريم قائلاً : " إنها العذراء البريئة دائماً وأبداً " (٦) ، فهي الدائمة البكارة والكاملة الطهارة في النفس

---

(١) ميمر عن البشارة Opera Graece et Latinae Vol. 3 P.524 .

(٢) في عظته الأولى عن والدة الإله Opera Graece et Latinae Vol. 3 P.578 .

(٣) الميمر الخامس عن ميلاد العذراء Opera Graece et Latinae Vol. 3 P.547 .

(٤) راجع أقدم النصوص المسيحية ، سلسلة النصوص الليتورجية ، الجزء الثاني ، عظات القديس كيرلس الأورشليمي ، تعريب الأب جورج نصور سنة ١٩٨٢ ، العظة الثانية عشرة ، فقرة ٢٥ الميلاد العذري صفحة ٢٠١ .

(٥) الخطبة ٣٨، وما عمل الروح القدس إلا زيادة النعمة فيها .

(٦) موسوعة الآباء اليونانيين MG مجلد ٣٩ عمود ٨٣٢ .

والجسد والروح ، فقد ظلّت مريم دائماً عذراء هي الدائمة القداسة ، لأن البركة الإلهية قد حلّت عليها منذ أول لحظة من تكوينها في الأحشاء .

- القديس يوحنا الذهبي الفم (+٤٠٧) في ميمره عن " البشارة " يضع الكلام على لسان الله الذي يُخاطب الملاك جبرائيل قبل أن يُرسله لبشارة مريم العذراء قائلاً :

إمضِ إلى التي لم تقبل فساداً ..

إمضِ الآن حالاً يا مؤتمن على السر إلى القديسة مريم العذراء وبشرها ..

إمضِ إلى مدينة الله النفسانية التي قال عنها النبي " إن أموراً مجيدة قيلت من أجلك يا مدينة الله " .

إمضِ إلى فردوسي الناطق ، إذهب إلى بابي الشرقي .

إذهب إلى السماء الجديدة التي على بسيطة الأرض .

إمضِ إلى المسكن النقي المستحق لحلول كلمتي .

إمضِ إلى الخدر الملوكي المتقن لتأنس وحيدي .

إمضِ إلى العروس النقية المهيأة لميلاد إبني بالجسد "

ثم يخاطب الملاك العذراء قائلاً : " إفرحي يا من **طردت الموت إلى العمق منذ كانت في أحشاء أمها** .. القريبة من اللاهوت الأزلي والثالوث العنصري ، الفائقة العلو على المواكب الشاروبيمية ، العالية السمو على الصفوف الساروفيمية . " (١)

فإذا كانت العذراء قد طردت الموت وهي في أحشاء أمها ، وما الموت إلا فساد الخطيئة المميت للنفس ، فتكون إذاً مقدسة منذ لحظة الحبل بها .

ثم يستطرد بطريقة أوضح مخاطباً يواكيم والد العذراء مريم قائلاً :

" أيها المغبوط يواكيم الذي خرج منه هذا النسل الفائق الطُهر ، يا حِجر حنِه المجيد الذي نَمَت فيه تدريجياً هذه الإبنه الكلية القداسة " . (٢)

---

(١) راجع البوق الإنجيلي للروم الأرثوذكس جزء ٢ صفحة ٢٣٤ .

راجع أيضاً كتاب الدفنار اليوم الحادي والعشرين من شهر توت المبارك ، طبعة القس دوماديوس البراموسي بإذن البابا كيرلس الخامس سنة ١٩٢٢ .

(٢) الميمر الأول في ولادة أم الله ، موسوعة الآباء اليونانيين MG ، مجلد ٤٨ .

ثم يراجع نفس الفكرة في ميمره عن بشارة أم الله قائلاً :

" إفرحي ودوسي رأس الحيه ، إفرحي أيتها المملوءة نعمة ، ها قد كفّت اللعنه، وانهدم الفساد ، وأزهر الفرح الآن ."

فمن هذه الشهادات التي يعظّم فيها الآباء إنتصار مريم على الشيطان يتضح أن مريم الكلية القداسة لم تخضع أصلاً للشيطان ، ولم تكن أبداً عبدة للخطيئة .

- القديس كيرلس الاسكندري (+٤٤٤) بطريرك الإسكندرية ، ومجد الكنيسة القبطية ، الذي يعتبر بحق المدافع الأعظم عن أمومة العذراء لإبن الله المتجسد فلنسمعه يقول : " إننا جميعاً نُولد بالخطيئة الأصلية ، ونأتي إلى العالم حاملين هذا العار الذي ورثناه عن أبينا آدم ، **ما عدا العذراء القديسة التي جاءت لنا بالإله المتجسد** ."

ثم يتساءل قائلاً : " **هل يُعقل أو هل سُمع قط أن مهندساً يشيد منزلاً لنفسه، ثم يسلمه لعدوه ليكون أول من يمتلكه أو يسكن فيه ؟** " (١)

وهكذا يشير القديس كيرلس إشارة واضحة إلى أن مريم ، تلك المرأة التي أعدها الله ، المهندس الأعظم لسكنى إبنه الحبيب مدة تسعة أشهر كاملة ، لم تكن قط في يوم من الأيام لحظة واحدة تحت سلطة إبليس ، أو في أسره بسبب الخطيئة الأصلية فهل من المعقول أن يخلق الله العذراء مريم ، قمة إبداعه ، ثم يُسكن في نفسها الطاهرة ألد أعداءه وهو الشيطان أو الخطيئة ؟ .

ثم يبتهل إلى العذراء قائلاً:

نحييكِ يا أم الله ، يا كنز المعمورة كلها ، أنت هي المصباح الذي لا ينطفيء ، إكليل البتولية ، صولجان الإيمان المستقيم ، الهيكل الذي لا يقبل الفساد ، بك قد أعطينا من هو فوق الكل ، الذي أتى باسم الرب ، بك الثالوث يُمجّد ، والصليب يُعظّم في المسكونة كلها ، بك السموات تتهلل فرحاً والملائكة تبتهج ، **بك هوى من السماء المجرب إبليس ، وعادت الخليقة إلى مكانتها الأولى** . (٢)

(١) العدد السادس من أعمال المجمع الأفسسي .

(٢) حياة مريم أم يسوع للأب فرنسيس قندلا اليسوعي ص ٦١ .

- **وفي مجمع أفسس** سنة ٤٣١م قام حبران جليلان من أحبار الشرق ، هما **القديس بروكليوس** بطريرك القسطنطينية ، **وثيودوسيوس** أسقف مدينة أنسير ، وأشهرا معارضتهما لبدعة نسطور الذي أنكر على البتول مريم لقب " أم الله " وطفقا يعددان صفات مريم والإمتيازات التي إنفردت بها دون نساء العالم مرددين صدى معتقد الأجيال السالفة .

- **أما القديس بروكليوس** (St. Proclius) تلميذ القديس يوحنا فم الذهب الذي خلفه على كرسي القسطنطينية (٤٣٤ - ٤٤٦) يردد أمجاد مريم قائلاً :

" إن نفسها نقية وبريئة من كل دنس خطيئة " (١) . ثم قرر أن حواء الثانية إتحدت مع إبنها الإلهي في مقاتلة عدو الجنس البشري (إبليس) فوضع على لسان الأبالسة العبارة التالية : " أنحارب ضد حواء الثانية الكلية الطهارة ؟ **أنلتزم بالقتال ضد إمرأة لا وصمة فيها** ؟ إنها محميّة ومصونه وتؤيدها يد السماء ، فهل نمتنع عن نصب المكايد لها بسبب الحماية الإلهية التي تحوطها ؟ هل نعدل عن كراهيتنا لها بسبب الإتحاد السماوي الذي يحميها ؟ **إن الخطأ لم يتطرق إليها** ، والطغمة الشيطانية لا تستطيع أن تزعزع سور بتوليتها ، **إنها فُلك مذهّب من الداخل والخارج ، مقدّسة في النفس والجسد** ." (٢)

تلك عبارات ذات معنى ومغزى عميقين ولا يمكن أن يكون قائلها إلا معتقداً بنقاء العذراء من كل خطأ منذ لحظة بدء كيانها .

ثم تطرّقَ القديس بروكليوس إلى الحديث عن القديس يوسف الذي إضطرب إذ رأى خطيبته حُبلى فقال " لم يكن يوسف ليذكر أن (مريم) **التي صُنعت من تربة طاهرة** كانت مُعدة لأن تصير هيكلاً لله ، فهي التي سوف يتجسد منها آدم الثاني . (٣)

ويُصرِّح في موضع آخر أنها مَقدس العصمة من الخطيئة وهيكل الله الأقدس، والقديسة جسداً ونفساً ، والأم السماوية للخليقة الجديدة التي تحمل شمس العدل المُشع على الدوام " . (٤)

---

(١) موسوعة الآباء اليونانيين MG مجلد ٦٥ عمود ٧١٧ ، D.T.C. tome 7 col.908 .

(٢) راجع عظته السادسة عن العذراء عدد ١ ، ١٦ ، ١٧ .

راجع أيضاً موسوعة الآباء اليونانيين MG مجلد ٦٥ عمود ٧٥١ ، ٧٥٤ ، ٧٥٦ ، ٧٥٧ .

(٣) موسوعة الآباء اليونانيين MG مجلد ٦٥ عمود ٧٣٣ .

(٤) موسوعة الآباء اليونانيين MG مجلد ٦٦ عمود ٧٥٣ - ٧٥٧ .

- ثيودوسيوس أسقف مدينة أنقرة (Ancyre) (٤٣٠ - ٤٣٩)

شهد بنقاء العذراء من كل وصمة خطيئة فقال : " لقد إختار لنا الله عوضاً عن حواء التي صارت أداة موت ، عذراء ممتلئة نعمة ، نالت حُظوة في عينيه لترد لنا الحياة ، عذراء صُنعت بطبيعة المرأة ، ولكن بدون خطيئة المرأة ، **عذراء طاهرة بريئة من كل عيب ، كاملة الطُهر ، منزّهة عن كل خطيئة ، قديسة نفساً وجسداً** ، نَبتت كالزنبقة وسط الأشواك ، عذراء **ملتحفة بالنعمة الإلهية** ، نفسها مفعمة بالحكمة الإلهية ، هي عروس الله بالقلب . (١) . . .

هي المغمورة بالنور ، بها تلاشت كآبة حواء .. من القديسة وُلد إبن القدوس، **الكاملة ولدت الكامل** ، ومن التي تفوق الوصف وُلد الفائق الوصف . (٢)

تلك هي المرأة الخليقة بالله ، التي أهدتنا إياها العناية الربانية ، والتي بواسطتها يفيض الله علينا جزيل نعمه ، إنها عذراء تفوق فردوس عدن، ناجية من أميال حواء . (٣)

ونسطور نفسه الذي أنكر على البتول لقب " أم الله " وحُرم في مجمع أفسس يقرر : " إن حواء منيت بالعذاب والنواح ثمرة الخطيئة ، أما مريم فازدانت بالفرح ثمرة النعمة التي كانت ممتلئة بها " . (٤)

- القديس أبيفانيوس (في القرن الخامس) أسقف مدينة كونستانسيا في جزيرة قبرص يقول : " إن آدم الأول خُلق وجُبل من أرض طاهرة ، لذا كان يجب على آدم الثاني أن يُولد من عذراء طاهرة وبريئة من كل عيب " ثم يقابل بين الأرض والعذراء ، فكلاهما طاهرين، نقيين ، **وكما كانت الأرض طاهرة قبل أن تتدنس بخطيئة آدم ، كذلك فإن مريم لم تخضع للعنة الإلهية لأنها تسمو على جميع الخلائق ، وتتنزه عن كل عيب .**

ثم يتخطى المقابلة بينهما إلى ما هو أبعد وأعمق ، فيستنتج صفات مريم من المهمة

---

(١) موسوعة الآباء الشرقيين MG مجلد ١٩ صفحة ٣٢٩ - ٣٣١ .

(٢) موسوعة الآباء الشرقيين MG مجلد ١٩ صفحة ٣٣١ .

(٣) الميمر السادس عن أم الله وولادة المسيح ، الميمر الأول عن ولادة المخلص .
راجع أيضاً موسوعة الآباء اليونانيين MG مجلد ٧٧ عمود ١٣٩٧ ، ١٣٨١ .

(٤) Loofs Nestoriana349 .

التي أسندت إليها ، ويقارن بينها وبين حواء قائلاً : " إن العذراء هي حواء الجديدة لأنها أم الأحياء ، أما المرأة الأولى (حواء) فقد أعطيت هذا اللقب باعتبارها أم الحياة الجسدية والمادية فقط ، فالجنس البشري كله منحدر حقيقة منها ، أما مريم فقد أدخلت إلى العالم الحياة الحقيقية لأنها ولدت لنا الحي الذي لا يموت ولذا دُعيت حواء الثانية أم الأحياء . [١]

ثم يقابل بين حواء ومريم ، ويرى أن **" مريم قد عُصمت من الموت ، والعصمة من الموت تقتضي حتماً العصمة من سبب الموت أي الخطيئة الأصلية "** . [٢]

والقديس أبيفانيوس يفترض إمتلاء العذراء من النعمة والقداسة عندما يقدمها لنا كمسكن وهيكل مُعَد لسُكنى الكلمة المتجسد ، أما عن إعدادها لهذه المهمة فهو أعجوبة مذهلة وهِبه من عند الله . [٣]

وهـو يلقب العـذراء مـريم بصـفات جميلة نقتطف منها أنها " ممتلئة نعمة من كل وجه " [٤] ثم يبتهل قائلاً : بكِ أيتها العذراء القديسة دُمّر جدار التفرقة ، بك مُنح العالم سلام السماء ، بك أصبح البشر ملائكة ، بك أشرق الصليب على الأرض كلها ، بك بَطُلَ الموت ، وهَوَت الأوثان ، وإنتشرت العقائد السماوية ، بك أخيراً عرفنا إبن الله الوحيد الذي ولدتيه أيتها العذراء القديسة ، وهو ربنا يسوع المسيح الذي تسجد له الملائكة والبشر . [٥]

- ثيودوسيوس بطريرك الإسكندرية (+٥٦٥)

يتحدث عن موت العذراء مريم ويقارنه مع موت المسيح وموتنا فيقول :

" إن سبب موت المسيح لم يكن الخطيئة الأصلية التي لم يرثها ، كما هو الحال بالنسبة لنا ، لذلك فإن المسيح قام من بين الأموات بعد ثلاثة أيام ممجداً ، أما نحن فسنقوم في نهاية العالم . وسبب موت العذراء مريم يقترب في الشبه من موت المسيح ، أكثر مما لنا ، لذلك فهي أيضاً إنتقلت إلى السماء مثل المسيح .

(١) موسوعة الآباء اليونانيين MG مجلد ٤٢ عمود ٧٢٨ .
(٢) موسوعة الآباء اليونانيين MG مجلد ٤٢ عمود ٧٢٩ .
(٣) موسوعة الآباء اليونانيين MG مجلد ٤٢ عمود ٧٤٣ .
(٤) موسوعة الآباء اليونانيين MG مجلد ٤٢ عمود ٧٣٧ .
(٥) حياة مريم أم يسوع للأب فرنسيس قندلا اليسوعي ص ٥٩ .

ويعقب القديس ثيودوسيوس على ذلك مخاطباً جسد العذراء في ميمره عن رقادها قائلاً :-

" قم أيها الجسد المقدس واتحد بالنفس السعيدة وأنا أعطيك القيامة قبل كل الخليقة " (١)

لذلك أصبح الموت بالنسبة للمسيح والعذراء مريم ، **نظراً لبراءتهما من الخطيئة الأصلية**، ليس عقاباً على خطيئة ، أو نتيجة لخطيئة ، بل إنما هو شيء طبيعي بإعتباره من خصائص الطبيعة البشرية . (٢)

- القديس صفرونيوس أسقف مدينة أورشليم (٦٣٣ - ٦٤٤)

في رسالته إلى سرجيوس وفي عظته المشهورة عن " بشارة الملاك للعذراء مريم " يُؤكد ويُثبت لاهوت السيد المسيح مع وجود طبيعتين متميزتين فيه ، وقد اتخذ من بتولية مريم ومن أمومتها الإلهية أساساً لتدليله ، فمن واقعة بتولية مريم أثبت لاهوت المولود منها قائلاً : إن الذي في إستطاعته أن يجعل أماً تلد مع دوام بتوليتها لابد أن يكون إلهاً .

ومن الأمومة الإلهية توصل إلى إثبات الطبيعة البشرية في المسيح ، لأن المسيح هو إبن طبيعي للعذراء ، ولا يمكن أن يكون إبناً طبيعياً لها إلا إذا حاز على طبيعة البشر ، ولذلك يقرر : " إن بتولية العذراء دليل على ألوهية المسيح ، وصفة الأمومة في العذراء دليل على بشريته ، فهو الإله المتأنس ." (٣)

وقد أبدع صفرونيوس في وصف ما تحلّت به البتول من القداسة والطهارة ، مما جعلها أهلاً لتأدية رسالتها العظيمة وهي الإشتراك مع إبنها في فداء الجنس البشري فيتغنى بالفادي الذي " **ولج أحشاء مريم المتألقة طهراً ، المعصومة من كل خطيئة في النفس والجسد والعقل ، البريئة من كل دنس ، التي بطهارتها إستحقت أن يتجسد منها** " (٤)

---

(١) ميمر ثيودوسيوس بطريرك الإسكندرية عن رقاد وانتقال العذراء إلى السماء .
Revue Orient Chretien ser. 39 (1933 - 34)P.312

(٢) لودفيج اوت مختصر اللاهوت النظري جزء ٢ صفحة ١٣٨ .

(٣) موسوعة الآباد اليونانيين MG مجلد ٨٧ عمود ٣١٦٠ .

(٤) موسوعة الآباء اليونانيين MG مجلد ٨٧ عمود ٣١٦٢ .

ومن أجمل ما قاله القديس صفرونيوس في عظته عن بشارة الملاك للعذراء :

" إنك زيّنتِ الطبيعة البشرية ، ورُفِعت فوق صفوف الملائكة .. وسَمَوْتِ فوق كل خليقة لأنك أضأتِ بالطهارة إذ حملتِ في أحشائك خالق جميع الخلائق .

السلام عليكِ يا ممتلئة نعمة ، الرب معك ، أي نعمة توازي النعمة التي منحك إياها الله ؟ أي بهاء يفوق بهائك ؟، لا شيء أعجب مما أنت عليه، لا أحد بين العظماء إلا ويشغل المركز الثاني إذا قوبل بك ، أنت مباركة بين النساء لأنك حوّلت لعنة حواء إلى بركة ، لا تخافي يا مريم فإنك قد وجدت عند الله نعمة لا تُفقد ، نعمة تفوق كل النعم ، وقد طوّبك الجميع من أجلها .. **لقد وُجد قديسون كثيرون لكن لم يُملأ أحد من النعمة كما مُلئت ، ولم يُطوب أحد كما طُوبت ، ولم يُرفع أحد كما رُفعت** " . (١)

يؤكد صفرونيوس أن الروح القدس بحلوله على العذراء دعّم قداستها ومنحها نعمة الخصب " . (٢)

فقد عُصمت مريم من حالة الخطيئة الأصلية تمهيداً لتجسد الكلمة ، لذلك يقول : " إن **آدم الثاني يتخذ له جسداً من تُربة نقية** ويقيم للبشرية بداية جديدة " . (٣)

والتربة النقية التي لم يعترها قط أي فساد أو دنس أو لعنة هي العذراء مريم .

- جرمانوس الأول بطريرك القسطنطينية (+ ٧٣٣)

كان هذا البطريرك في علاقة وثيقة مع أمه العذراء مريم فيخاطبها قائلاً : " كل ما يمت إليك بِصلة ، يا والدة الإله ، خارق ، كل شيء يفوق الطبيعة ، كل شيء فيكِ يفوق كلامنا وقوانا " . (٤)

إن قداسة مريم العذراء تتجلى قبل البشارة ، إذ أن الملاك وّجدها " **بجملتها وفي كل شيء طاهرة ولا عيب فيها** " . (٥)

---

(١) موسوعة الآباء اليونانيين MG مجلد ٨٧ عمود ٣٢٤٦ ، ٣٢٤٧ .

(٢) موسوعة الآباء اليونانيين MG مجلد ٨٧ عمود ٣٢٧٣ .

(٣) موسوعة الآباء اليونانيين MG مجلد ٨٧ عمود ٣٢٨٥ .

(٤) موسوعة الآباء اليونانيين MG مجلد ٩٨ عمود ٣٨١ .

(٥) موسوعة الآباء اليونانيين MG مجلد ٩٨ عمود ٣٢٨ .

بل سوم قُدمت إلى الهيكل " قُدمت للرب كهبة مقدسة متألقة بالجمال الإلهي " [١]
" لا لكي تقدسها الهيكل بل لكي تُقدس هي قُدس الأقداس " [٢] لأنها أرفع من السموات وأعظم من الشاروبيم، بل هي" الحمامة التي تحمل رسالة الخلاص " .

ويهتف البطريرك بلسان يواقيم وحنّة في عيد التقدمة قائلاً :

" تقبل أيها السيد تلك التي أعطيتنا إياها .. **تقبل تلك التي إصطفيتها وإخترتها من قَبْل** ، وقدستها ، تلك التي إنتزعتها من حضيض حقارتنا ، كما تُنتزع الزنبقة من بين الأشواك " .

وإذا كان الشوك في نظر الآباء القديسين رمزاً للأهواء والخطيئة ، فانتزاع العذراء منه دليل على عصمتها من كل خطيئة .

وإذ يتكلم البطريرك على رقاد العذراء يقول: إن رقادها لم يكن لها عقاباً على الخطيئة الجدِّية (التي من الجدّين الأولين) بل لأسباب من نظام أسمى وأرفع ، منها وحدة المصير بين الأم وإبنها في فعل الفداء المشترك ، **وإن كان جسدها الطاهر قد دُفن و " لم تمتد إليه يد الإنحلال فلأنه كامل الطهارة** ولأن منه إتخذ يسوع جسده ، الذي به صار تجديد آدم " [٣]

وهذا هو تصميم الله لكي يتخذ الإله المتجسد من العذراء جسداً كامل الطُهر، خالياً من كل شوائب الخطيئة ليخلص به العالم .

ويوالي الآباء من بعده تصريحاتهم القوية بأن العذراء " مَلِئَتْ نعمة إلى أقصى حد ممكن " " وأنها المقدِسُ الذي صنعه الله بنفسه ، وهي " الباب الشرقي الذي لم يجد إليه الشر منفذاً " . [٤]

- القديس إندراوس **أسقف جزيرة كريت** (+٧٤٦)

يوضح رأيه جلياً في موضوع الحبل بمريم منزهة من الخطيئة الأصلية فيدعوها : " **باكورة طبيعتنا ، وأرضاً طاهرة لا عيب فيها** " ، أخذ منها آدم الجديد جسده ..إن فادي الجنس

(١) موسوعة الآباء اليونانيين MG مجلد ٩٨ عمود ٣٢٩ .
(٢) موسوعة الآباء اليونانيين MG مجلد ٩٨ عمود ٣٠١ .
(٣) موسوعة الآباء اليونانيين MG مجلد ٩٨ عمود ٣٤٥ ، ٣٧٦ ، ٣٦١ ، ٢٥٧ .
(٤) موسوعة الآباء اليونانيين MG مجلد ٨٦ عمود ٣٢٨٠ ، ٣٢٨٤ ، ٣٣٠٥ .

البشري الذي كوَّن آدم الأول من تراب أرض عذراء وغير ممسوسة ، لما أراد أن يستبدل هذا التكوين الأول بتكوين جديد وخليقة جديدة ، ويُهيء لتجسده الذاتي .. " **إختار من كل الطبيعة هذه العذراء الطاهرة الفائقة النقاوة المأخوذة من بيننا** " . (١)

وقد خطا القديس إندراوس - في توضيح الإمتياز المريمي - خطوات واسعة النطاق ، فله ثمانية ميامر للعذراء ، أربعة منها عن ولادتها ، وواحد لبشارتها ، وثلاثة عن رقادها . وحذا حذو صفرونيوس فأشرك البتول مع إبنها في عمل الفداء إذ قال :

" إن الله بتدبير إلهي قرر فداء العالم بالكلمة المتجسد ، **ورغب أيضاً أن تشاركه في عمل الفداء هذا ، عذراء نقية خالية من كل خطيئة ، لذلك أراد أن يتكوَّن آدم الثاني من طين أرض بكر ونقيه** " . (٢)

فكما أن آدم خُلق منذ البدء وصُنع من طين أرض بكر ، هكذا الآن يدعو الله العذراء لتكون الأرض الطاهرة التي منها سيأخذ جسداً ، وهكذا اختار الله مريم من بين سائر البشر ليتم سر الفداء العجيب ، وفهمت مريم مقاصد الرب فأجابت : " ها أنا أمة للرب فليكن لي بحسب قولك " .

وفي خطابه الثالث عن ميلاد العذراء أشار إلى نقاء مريم في ميلادها ، ودعا هذا النقاء : " التهيئة البعيدة لحلول ابن الله فيها " (٣)

" فكما أن الرجل الأول خُلق وصُنع من طين أرض بكر وبلا دنس ، كذلك وجب أن يُولد الرجل الكامل (آدم الثاني) من عذراء وبلا دنس " (٤)

ويدعو القديس اندراوس العذراء بأسمى الألقاب ويقرر أنها " **بدون أدنى دنس أو خطيئة ، فهي طاهرة من كل الوجوه ، دائماً وفي كل حين ، كلية القداسة والطهارة** . (٥)

ويتلخص تعليم القديس اندراوس الكريتي عن قداسة العذراء الجذرية في نقاط أربع :

---

(١) الميمر الأول في ميلاد أم الله موسوعة الآباء اليونانيين MG مجلد ٩٧ عمود ٨٦٦، ١٠٦٨.
(٢) الميمر الأول في ميلاد أم الله موسوعة الآباء اليونانيين MG مجلد ٩٧ عمود ١٣١٦ وما يليه .
(٣) موسوعة الآباء اليونانيين MG مجلد ٩٧ عمود ١٠٨١ .
(٤) موسوعة الآباء اليونانيين MG مجلد ٩٧ عمود ١٠٦٨ ، ١٣١٢ .
(٥) موسوعة الآباء اليونانيين MG مجلد ٩٧ عمود ٨٣٢ في ميلاد العذراء .

١- الحبل بأم الله وميلادها مقدسان ، وإن جرى كلاهما حسب الناموس الطبيعي .

٢- مريم هي إبنة الله Θεοναιζ على وجه خاص ، لأن الله هو مصدر الأمومة الإلهية، فهي منه قبل أن يكون هو منها ، لذلك يهيمن الله على الحبل بها .

٣- إن مريم هي باكورة البشرية المجددة ، فزانها الله بالجمال الأول .

٤- سبب وفاة مريم يختلف عن السبب الذي يحتم الموت على جميع البشر .

ومن أقواله البليغة تصريحه بأن " حَبَل حِنَّة مقدس " . [١] ، و " أن مريم هي إبنة الله، لأنها إبنة الموعد ، وثمرة قدرة الله التي أخصبت عقم الشيخوخة ، بل لأنها الخزف الذي يجبله الفنان الإلهي جبلة إلهية ، والخميرة المقدسة التي سَرَت فيها الحياة الإلهية " . [٢]

وهي " باكورة طبيعتنا ، بها تستعيد البشرية وإمتيازاتها القديمة .. وبها يبدأ تجديد طبيعتنا " . [٣] لأن " جسدها " هو التربة التي إعتجنها الله بنفسه ، **ولأنها الصورة المماثلة للجمال الأول** " . [٤] وسبب هذه الإمتيازات التي تجعلها كاملة الجمال ، هو أن " قصر الملك السماوي يُعد ، والقمط الملكية تُنسج إستعداداً لتقبل الطفل الإلهي في لحظة ميلاده " [٥].

ولما قرر فادي جنسنا أن يُولد ميلاداً جديداً ليخلصنا من الخطيئة ، **إختار** من الطبيعة كلها **هذه العذراء المنزهة تماماً عن كل دنس** ، ليحقق تجسده الخاص على مثال ما اتخذ من تربة نقية ليصنع آدم الأول " . [٦]

وإن كانت العذراء قد رقدت فلأنه " كان من اللائق أن يُرتب الإبن الإلهي مصير أمه على غرار مصيره الخاص " . [٧]

وبعد هذه التصريحات القوية نستطيع أن نُدرك جيداً مفهوم طهارة مريم في ذهن

---

(١) موسوعة الآباء اليونانيين MG مجلد ٩٧ عمود ١٣٠٩ .

(٢) موسوعة الآباء اليونانيين MG مجلد ٩٧ عمود ٨١٢ .

(٣) موسوعة الآباء اليونانيين MG مجلد ٩٧ عمود ٨٦٠ .

(٤) موسوعة الآباء اليونانيين MG مجلد ٩٧ عمود ١٠٦٧ .

(٥) موسوعة الآباء اليونانيين MG مجلد ٩٧ عمود ٨٦٠ .

(٦) موسوعة الآباء اليونانيين MG مجلد ٩٧ عمود ٨١٣ - ٨١٤ .

(٧) موسوعة الآباء اليونانيين MG مجلد ٩٧ عمود ١٠٨١ .

القديس إندراوس الكريتي فهو يؤكد " إن مريم هي القديسة الفريدة " ويخاطبها : " **أنت كاملة الجمال ، يا خليلتي ، وليس فيك ما يعاب البتة** " ... " لقد حظيتِ لدى الله بالنعمة التي خسرتها حواء " ...

- القديس يوحنا الدمشقي : معلم الكنيسة (+٧٤٩)

تكلم عن البتول في أربعة ميامر : في الميمر الأول عن ميلادها ، وفي الثلاثة الآخرين عن رقادها وقد اعتبر أن جميع الإمتيازات التي حازت عليها العذراء كانت بسبب تهيئتها للأمومة الإلهية ، وهو يدعوها " النَبْت (النسل) المقدس " ثم يخاطبها قائلاً :

" إنك منذ البدء حاصلة على حياة فاقت كل حياة ، **وأنت في إتحاد دائم مع الله الذي دعاكِ للدخول إلى العالم** ، لتكوني معه شريكة في الخلاص .. بتجسد الكلمة في أحشائك ، تنازل وأخذ منك الطبيعة البشرية ، لنصير نحن شركاء في الطبيعة الإلهية " [١]

" أيها المغبوط يواقيم الذي خرج منه هذا النسل الفائق الطُهر ، يا حِجر حنّه المجيد الذي أعطى للعالم هذه الإبنة الكلية القداسة " . [٢]

وبعد أن بيّن سمو مقام العذراء ونزاهتها عن كل شر يخاطبها قائلاً :

" أيتها الإبنة الجزيلة القداسة ، إبنة يواقيم وحنّة ، التي **نجت من قوات الشر ومن قيود الشيطان** ، وعاشت في منازل الروح القدس ، **وحُفِظت بلا عيب** حتى تكون عروساً لله ..

أيتها الإبنة اللائقة بالله . . **أنتِ جمال الطبيعة البشرية التي أصلحتِ زلّة حواء أمنا** ". [٣]

ثم يسترسل القديس يوحنا الدمشقي فيرفع العذراء فوق كل خليقة ، حتى الملائكية . ولا يمكن أن ترتفع العذراء وتسمو على الطغمات الملائكية إلا إذا كانت طبيعتها بريئة من كل خطيئة أصلية أو فعلية ، لذا يحييها الدمشقي بلقب " الدائمة البتولية " فإنها وحدها : بتول في النفس والجسد والروح . [٤]

---

(١) العظة الأولى على ميلاد أم الله موسوعة الآباء اليونانيين MG مجلد ٩٦ عمود ٦٧٦ .

(٢) المرجع السابق مجلد ٩٦ عمود ٦٦٩ ، ٦٧٢ .

(٣) نفس المرجع السابق مجلد ٩٦ عمود ٦٦٩ ، ٦٧٢ .

(٤) موسوعة الآباء اليونانيين MG مجلد ٩٦ عمود ٦٦٨ .

" **وبها نجونا من اللعنة** " [١] ، " إنها المختارة من الله منذ الأزل ، هو الذي ولّدها قبل كل الأزمنة دون أن ينفصل عنها ، وفي الأزمنة الأخيرة ولدته لحماً من لحمها " . [٢]

ثم يُعلن أن مريم قديسة وطاهرة قبل بشارة الملاك لها فيقول : " إنها حرصت على نقاوة النفس لأنها كانت مُعدة لتقتبل الله في أحشائها ، وإعتصمت بالقداسة لأنها مُزمعة أن تصير هيكلاً حياً جديراً بالله العلي . " [٣]

ثم يُبين أن اختيار مريم للأمومة الإلهية قد دعا الله إلى عصمتها من حالة الخطيئة الأصلية فيقول : " إن الله العالم بكل شيء ، إذ رآكِ جديرة به ، أحبك وإذ أحبك ، إختارك منذ الأزل ، ولما أتت ساعة ميلادك ، ساقك إلى الوجود ليجعل منك أماً ومغذية للكلمة إبنه " . [٤]

وإذ يتساءل عن السبب الذي من أجله وُلدت مريم من عاقر يجيب : " إن النعمة غلبت الطبيعة ، وكان من المقرر أن تُولد أم الله من حنِّة ، فلم تتجاسر الطبيعة أن تتعدى على النعمة ، فظلّت عاقراً إلى أن أنجبت النعمة ثمرتها ... **فيا لغبطة يواقيم الذي ألقى زرعاً طاهراً ! ويا لعظمة حنة التي نمت في أحشائها ، إبنة كاملة القداسة** " . [٥]

إنَّ في هذا التصريح الواقعي : " ألقى زرعاً طاهراً " يتجلى مضمون العقيدة ومعناها الحقيقي .

ويواصل القديس يوحنا الدمشقي مديحه في العذراء مريم قائلاً :

" لم تقوَ سهام العدو النارية على النفاذ إليها " و " لا شهوة الخطيئة وجدت إليها سبيلاً " و " الموت لم يكن ليقوَ عليها ، ولئن كانت قد تجرعت كأسه فلأن مصيرها لا يتميز عن مصير إبنها " . [٦]

---

(١) عظته عن البشارة .

(٢) موسوعة الآباء اليونانيين MG مجلد ٩٦ عمود ٦٧٢ (العظة الأولى في ميلاد أم الله) .

(٣) موسوعة الآباء اليونانيين MG مجلد ٩٤ عمود ١١٦٠ .

(٤) موسوعة الآباء اليونانيين MG مجلد ٩٦ عمود ٦٧٢ .

(٥) موسوعة الآباء اليونانيين MG مجلد ٩٦ عمود ٦٦٤ ، ٦٦٥ .

(٦) موسوعة الآباء اليونانيين MG مجلد ٩٦ عمود ٧١٣ ، ٧٣٣ ، ٧٢٥ ، ٧٢٨ .

وإن كان القديس يوحنا الدمشقي قد تكلم مثل القديس إغريغوريوس النزينزي على تطهير جرى لمريم قبل أن تصير أماً لله ، فلا يمكن أن يُفهم من ذلك أنها تدنست بالخطيئة ثم تطهَّرت منها بعد شهادة كل هؤلاء الآباء بأنها طاهرة وقديسة منذ البدء ليأخذ القدوس من أحشائها جسده الطاهر ، وما هذا التطهير سوى زيادة النعمة والقداسة فيها إستعداداً للأمومة الإلهية ، وهذا واضح جلياً من النصوص التي سبق ذكرها ومن نصوص أخرى عديدة سيأتي ذكرها فيما بعد .

- يوحنا أسقف أوبى في بلاد اليونان (+٧٥٠) Eubée يقول :

" إن المسيح إبن الله ورأس الزاوية ، قد إبتنى لنفسه برضى الله الآب ، ومساهمة الروح القدس المحيي هذا الهيكل (أي مريم) لسكناه الخاص .. إن الخالق بنفسه إصطنع من التراب القديم سماء جديدة ، وعرشاً يتحدى ألسنة اللهيب ، فتهللي أيتها الأرض لأن عدو طبيعتنا قد قُهِرَ .. وقصر الملك السماوي قد شُيِّد بغير أيدي بشر " . [١]

والقديس تراسيوس بطريرك القسطنطينية (+٨٠٦) يسمي العذراء: " إبنة الله المُثلى " [٢] وهذه البنوة لله لها معنى خاص وعميق في التشبه بالله في الطهارة والقداسة من المنبع .

والقديس تاودورس الأستوذيتي (+٨٢٦) يُعقب على ذلك قائلاً :

" إن مريم لم تنبت فيها البتة أشواك الخطيئة ، إنها أرض لم تُطلق عليها اللعنة البتة ، ولم تشترك في الأرض الأولى الخصبة بالشوك ، فهي العود الغير فاسد الذي لم يجد إليه دود الفساد منفذاً [٣] .

(١) موسوعة الآباء اليونانيين مجلد ٩٦ عمود B ١٥٠٠، B ١٤٩٦ ، ١٤٧٧B، ١٤٨٥، ١٤٨٦.
(٢) موسوعة الآباء اليونانيين MG مجلد ٩٨ عمود A ١٤٩٧ ، D ١٤٩٢ .
(٣) موسوعة الآباء اليونانيين MG مجلد ٩٦ عمود B ٦٨٤ ، AD ٦٨٥ ، B ٦٨٩، E ٦٩٣.

القديس ميتوديوس (+٨٨٥) يخاطب العذراء قائلاً :

إن اسمك يا أم الله ممتليء نعماً وبركات إلهية ، لقد فهمتِ ما لا يصل إليه إدراك ، وحَوَيتِ مَنْ لا حدَّ له ، في مكان محدود ، أنتِ أم الخالق ، ومغذية مغذي الكل ، قد حملتِ مَنْ بكلمته يحمل الكل ، أنت بئر بيت لحم الذي اشتاق داود أن يرتوي من مائه ، بك نلنا شراب عدم الموت ، أنت الغشاء الذهبي الذي به ظهر الله للبشر لما اتخذ طبيعتنا الإنسانية ، أنت الحُلّة النقية للذي اشتمل بالنور كما برداء ، لقد أقرضت الله الذي لا يعوزه شيء ، جسداً لم يكن له ، ليظهر به للبشر ، هو القادر على كل شيء ، الذي رضي أن يصير إنساناً .

هل من أمر أعظم وأشرف من هذا : أن يرضى الله أن يصير فقيراً فيحتاج إليكِ؟ إنك قد أقرضت الله كساء جسد لم يكن له قبلاً .

إبتهجي يا أم الله وآمته ، فإن دائن الخليقة كلها صار بالحقيقة مديناً لكِ .." **إن الذي قال أكرم أباك وأمك قد غمر أمه نعمةً وشرفاً لأنها ولدته ميلاداً جديداً** " . (١)

- فوثيوس بطريرك القسطنطينية : قبل الإنشقاق (+٨٩٧؟) يقول :

" إن مريم هي التُحفة العظيمة التي نحتها الله بيده الخاصة .. استولى عليها الحب الإلهي بجملتها .. وقد اختارها الله قبل مولدها لتكون أماً للكلمة .. هي العذراء بلا عيب ، إبـنة جنسـنا ، المنزهة عن كل خطيئة .. هي التي لم تعرف لنزعات الشهوة غير المرتبة موضعاً .. بل كانت نفسها سائدة على جسدها سيادة كاملة على حد ما كان عليه الإنسان في حالة البرارة الأولى . (٢)

ويُنزِّه فوثيوس العذراء عن كل ذلّة في حياتها ، وكل خطيئة فعلية مهما كانت خفيفة ويُلحُّ كثيراً على توضيح هذه الفكرة : " إن مريم إستحقت بقداستها أن يختارها الله لشرف الأمومة الإلهية " ، **ويصرِّح أكثر من مرة أن الله قدّس مريم قداسة كاملة ، منذ كانت في الأحشاء الوالدية لتكون هيكله الحي ."**

---

(١) حياة مريم أم يسوع للأب فرنسيس قندلا اليسوعي ص ٦٠ .

(٢) نجد هذا التعليم في مجموعة اريستاركيس المجلد الثاني صفحة ٣٧٢ - ٣٨٠ .

" **تقدست مريم تمام القداسة من أحشاء أمها ، لتكون هيكلاً حياً لربها** " . [١]

ويعترف فوثيوس بمساهمة العذراء مريم في عمل الفداء في تعبيرات قوية تجعله شاهداً لهذه الحقيقة فيقول :

" إن مريم رمَّمت ما تَصدَّع بالسقطة الأصلية [٢]، بها غُلب الشيطان وتُم إذلاله تحت الأقدام ، ورُفع عن الجنس البشري الحكم المرير الذي كان قد صدر عليه " . [٣]

ثم يُعلن في صراحة أن " مريم قد **إمتازت بطهارة النفس والجسد والفكر مما جعل ملك الكون يختارها ، ليجدد صورة الله التي تشوَّهت في البشر** " . [٤]

كل هذه النصوص الجميلة توضح مفهوم فوثيوس وتعليمه عن العذراء مريم ، فهي قديسة منذ لحظة وجودها في الحشا الوالدي ، وهذا هو مضمون عقيدة الحبل بمريم مُنزهة عن الخطيئة الأصلية .

- چورج النيقوميدي : يمدح العذراء قائلاً :

" جميلة هي العذراء ناجية من كل لوم **ومُنزَّهة من كل عَيب** " [٥]

ثم يضع الكلام على لسان الملائكة مخاطبين العذراء قائلين :

" أيتها الإناء المملوء نعمة .. **إن طهارتك تفوق الوصف** ، **وبرارتك لا قياس لها** ، ولا يمكن أن تُقابل مع برارتنا ، فنحن لا نستطيع أن نَقترب من سمو قداستك التي تفوق كل وصف " . [٦]

فإذا كانت طهارة مريم تفوق طهارة الملائكة الذين لم يتدنسوا بأي خطيئة ، يلزم القول بأن العذراء هي منزهة عن حالة الخطيئة الأصلية .

(١) نجد هذا التعليم في مجموعة اريستاركيس المجلد الثاني صفحة ٢٣٦ .
(٢) نجد هذا التعليم في مجموعة اريستاركيس المجلد الثاني صفحة ٢٤٤ .
(٣) نجد هذا التعليم في مجموعة اريستاركيس المجلد الثاني صفحة ٣٧٨ .
(٤) نجد هذا التعليم في مجموعة اريستاركيس المجلد الثاني صفحة ٣٣٨ .
(٥) الميمر على ميلاد العذراء، الميمر على بشارة أم الله .
(٦) الميمر على تقدمة أم الله .

- الطوباوي يوحنا المهندس :

يتحدث عن الحبل الطاهر بالعذراء قائلاً :

" إن الله قد اختار إمرأة ثانية بدلاً من المرأة الأولى .

إختار العذراء أم الحياة بدلاً من حواء معطية الحياة .

إختار عذراء وخَصَّها بنعمته عوضاً عن المرأة التي أضلّها الشيطان .

إختار من اقتنعت بكلام الملاك ، بدلاً من غواية الشيطان .

إختار شجرة الحياة بدلاً من شجرة معرفة الخير والشر " . (١)

ثم يسترسل قائلاً : " السلام عليكَ أيها الجسد (جسد مريم) المتكون في أعالي السماء ، **إنك جسد تلك التي لم يَسرِ إليها شيء من خطيئة البشر** " . (٢)

وفي هذه الحقبة ظهر في الشرق بعض القديسين أمثال القديس يوسف صاحب الإبتهالات والقديس أفتيميوس بطريرك القسطنطينية وغيرهم ممن أشادوا بعصمة مريم من الخطيئة ، ولا نترك هذه الفرصة تمر دون أن نتذوّق شيئاً من جمال إبتهالاتهم فهم يرددون في ميامر نياحتها قائلين :

- " **إنك ترقدين بقوة ناموس لم يوضع لك قط ، يا مَن هي وحدها طاهرة** " . (٣)
- " إنها جميلة من طبيعتها ، **فلا موضع للتلوث فيها البتة ، إن صفاء نقاوتها لا يحتوي على أقل أثر للوحل الأصلي** " . (٤)
- " لأنها كانت خالصة من كل شائبة خطيئة ، أجازها الله من الموت إلى الحياة، **ورفعها جسماً ونفساً إلى الهيكل السماوي** " . (٥)

---

(١) عظته على بشارة أم الله .

(٢) نشيده الثالث على أم الله .

(٣) موسوعة الآباء اليونانيين مجلد ١٠٥ عمود ١٠٠٠ .

(٤) دنزنجر رقم ١٤٢٥ ، راجع أيضاً موسوعة الآباء اليونانيين MG مجلد ١٠٠ .

(٥) Comfebis novum auctarium II P.791 .

– " تهتف الطبيعة البشرية بلسان القديسة حِنَّة قائلة : **أشكرك أيها الرب لأنك شئت أن تولد مني الآن وردة ، هي مريم ، التي تنزع عني ثوب الفساد** ، ورائحتها الطيبة تملؤني بَهجة وغِبطة " (١)

– " السلام عليكَ أيها الجسد العذري الذي **أبدعه الله بيده الإلهية . السلام عليكَ أيها الجسد الكامل الطُهر الذي إجتمع فيه كل جمال السماء والأرض . السلام عليكِ أيتها العذراء التي لم يتسرب إليها شيء من خطيئة المحكوم عليهم بالموت.** " (٢)

– " لم يتم سر الفداء المقرر مُنذ الأزل إلا بعد أن نطقت مريم معلنة :

" ها أنا أمة للرب " ، **هي الجزيلة الطُهر التي كانت نفساً وجسداً منزهة عن كل دنس ،** قَبلت أن تضع حداً لطُغيان اللعنة الأولى ، بتجسد الكلمة في أحشائها ." (٣)

– **ميخائيل بسلوس** (+ ١٠٥٣) وهو معاصر لصديقه ميخائيل كيرولاوس، ونجد فكرته في تفسيره سلام الملاك إذ يقول : بعد أن نطق الملاك بالتحية " السلام عليك " نعتها في الحال بقوله : " يا ممتلئة نعمة " أو " يا ممتلئة فرحاً " للدلالة على الفرح الحاضر نتيجة الشعور بالنعمة في الماضي ، **فإنها منذ عهد بعيد قد مُلئت نعمة لإتحادها الكامل بالله** .. ثم تضيف اليصابات : مباركة أنت في النساء ، والبركة هنا تناقض اللعنة . لأن العذراء حلّت محل حواء ، كما حلَّ المسيح محل آدم .

وكما أن اللعنة نَتِجَت عن العصيان ، كذلك البركة صدرت عن الطاعة ، **مباركة أنت في النساء لأنك لم تتذوقي طعم شجرة المعرفة** ... ولم تخالفي الوصية ولم تنقضي العهد ... قدَّسك الله أولى خلائقه فقدست جنسنا " (٤)

ثم يسهب في مديحها قائلاً : " إذا كانت السماء قد صُنعت من زهرة العناصر الأولى ومن ثم فهي طاهرة وممتنعة عن الفساد ، **فكم بالحري جسد هذه العذراء وقد صُنع من أطهر**

(١) موسوعة الآباء اليونانيين MG مجلد ١٠٤ عمود ١٣٦٠ .

(٢) موسوعة الآباء اليونانيين MG مجلد ١٠٦ عمود ٨٦١ .

(٣) موسوعة الآباء الشرقيين P.O مجلد ١٦ صفحة ٥٥٢ – ٥٥٤ .

(٤) موسوعة الآباء الشرقيين P.O مجلد ١٦ صفحة ٥٢٢ .

جوهر للعناصر كلها لكي يكون مقدّساً ولائقاً لمثل هذه النفس " . [1]

فمريم إذن لم تشترك في اللعنة العامة التي سَرَت على الجنس البشري بأسره .

- المجمع اللاتراني الأول :

وبعد أن إنتشر هذا التعـليم في ربوع الكنيسة وأصبحت عبارة " الحبل بلا دنس " مألوفة لدى المؤمنين ، يستعملها آباء المجمع اللاتراني الأول سنة ١١٢٣ للتدليل على نقاء مريم ، فقد جاء في قانونه الثالث ما نصه :

" من لا يؤمن حقيقة أن أم الله القديسة والدائمة البتولية **مريم البريئة من الدنس** قد حَبِلت من الروح القدس بدون زرع بشري بالإله الكلمة المولود من الآب قبل كل الدهور وولدته بلا فساد وبقيت دائماً بتولاً بعد الولادة فليكن محروماً . " [2]

- ثيودورس بروذرومس (Theodore Prodrome) في القرن الثاني عشر يقول :" **من المحال أن نفترض أو نتصور في مريم أقل أثر للخطيئة** " . [3]

- العلاّمة يوحنا الموصلي ، **في أوائل القرن الثالث عشر** يقول :

" من يستطيع أن يتخيّل في عقله ، أو يصف بلسانه هذه الطاهرة العفيفة ، المقدسة ، البارة ، العذراء ، الدائمة البتولية ، **التي تَبرَّرت مُنذ الحبل بها ، وتقدّست منذ كانت في البطن** " ؟ . [4]

- جرمانوس الثاني بطريرك القسطنطينية : في القرن الثالث عشر:

تعقيباً على تساؤل العذراء للملاك : " كيف يكون هذا وأنا لا أعرف رجلاً " ؟ يقول :

---

(١) موسوعة الآباء الشرقيين P.O مجلد ١٦ صفحة ٥٢٠ ، ٥٢١ .

(٢) دنزنجر رقم ٥٠٣ .

(٣) Commentarii in Carmina Sacra Nelodorum Cosmaé Hieroljmitani et Joannis Dsm . Roma 1888 P.62

(٤) راجع كتابه المرشد الروحي صفحة ٢٥٢ ، ٢٥٧ .

" كونك لا تعرفين رجلاً فإن ذلك يعبِّر عن طهارة نفسك إلى أسمى الحدود ، إنك فردوس غرسه الله ، ومنذ أن حُبِل بكِ بحسب سُنة التناسل ، **إنفردتِ بمميزات خاصة بكِ ، أمر الشاروبيم** أن ينتظموا بشكل دائرة ويحركوا سيوفهم النارية **ليحموكِ من كل جانب من فخاخ ومكايد الحيَّة الخبيثة** " .[1]

ويقول أيضاً :

" إن حواء قد لُعنت ، أما مريم فقد مُلئت من النعمة، **الأصل مُر ، أما الثمرة فأحلى من العسل ، الأصل دُفن في التراب ، أما الثمرة فتُحلّق في رحاب السماء بسبب عدم الفساد** الذي تستمده من القداسة ، لأنه حيث القداسة هناك عدم الفساد" .[2]

ثم يقابل بين حالة البشرية الساقطة ومريم العذراء قائلاً :

" إن البشرية شجرة إنغرست جذورها في الخطيئة ، ومريم هي الثمرة العديمة الفساد .. فإذا كانت حواء قد لُعنت وإنتقلت اللعنة إلى ذريتها بأجمعها ، **فمريم لم يصبها شيء من جريرة هذه اللعنة** " .[3]

ثم يهتف نحوها قائلاً : " يا حمامة الطوفان الروحانية **التي لم تتلوث قط بحمأة الوحل والخطيئة** . "

- **غريغوريوس بلاماس**: رئيس أساقفة تسالونيكي (١٢٩٦- ١٣٥٩)

وهو لاهوتي بيزنطي مرموق ، في خطبته عن نسب المسيح يتكلم عن سريان الخطيئة الأصلية فيقول :

" إن كل إنسان يُولد من أب بشري يخضع حتماً لسُنَّة الخطيئة الأصلية ، ولو فرضنا أن المسيح نفسه ينحدر من صُلب بشري لما نجا من سيطرة هذه السُنَّة ، ولكن بإعتباره فادي البشر، وقد وُلد في الزمن دون أن يكون له أب من جنس البشر ، فقد كان بمعزل شرعاً وقانوناً عن الخضوع لهذا الحكم الشامل .

---

(١) Sylloge monumentorum II p.370-371 .

(٢) Sylloge monumentorum II p.307 .

(٣) Sylloge monumentorum II P. 308-310 .

أما مريم فباعتبارها مُنحدرة من أبوين بشريين لذلك كانت خاضعة حتماً لهذه الشريعة، ولكن الله لما شاء أن يعيد إلى الإنسان النعمة والبنوّة الإلهية بالتجسد الإلهي ، **كان لابد له أن يختار إناء لائقاً وأهلاً لتجسد الكلمة ، وهذا الإناء المختار كان إبنة الله العذراء مريم ، لذلك حيّاها الملاك بقوله " يا ممتلئة نعمة "** للدلالة على أنها مختارة المختارين ، **والإناء الخالي من كل عيب** ، والجديرة بأن تساهم في التجسد الإلهي ، وتقبل في أحشائها الأقنوم المتأنس .. فهذه العذراء **قد إختارها الله واحتفظ بها لنفسه طاهرة .. جاعلاً إيّاها من قبل مولدها قديسة القديسين** " . [١]

ثم يبين بلاماس قوام هذا الإختيار بالنسبة لمريم فيقول : " إن الله عزّ وجلّ كان يهيء لها منذ البدء أجداداً جديرين بها ، بحيث يَنبت في المنتهى فرع طاهر ، هو العذراء إبنة الله ، **التي صارت أهلاً بطهارتها أن تكون أمّاً له** " . [٢]

" إذ ما من شيء مستحيل على الله إلا أن يتحد بما هو غير طاهر .. ومن ثم **كان من الضروري أن توجد عذراء جزيلة الطهارة مُنزهة عن كل خطيئة** " .[٣] وهذه العذراء هي التي " قدّمتْ له من جوهرها الخاص طبيعة بشرية خالصة من كل شائبة " . [٤]

لذلك فإنه وإن كانت مريم قد خضعت لناموس الخطيئة الأصلية لانحدارها من أبوين بشريين ، فإن الله قد تدخل بوجه خاص بنعمته حتى لا تتسرب هذه الخطيئة إلى من أعدّها وإصطفاها لتكون أماً لإبنه الحبيب الكلمة المتجسد .

ولما كانت مريم إبنة الله ، طاهرة منذ لحظة الحبل بها ، فقد شبّهها بلاماس بآدم قبل السقطة ، ثم يدعوها " عَالماً جديداً " و " صورة غير كاذبة لنُبل البشرية الأولى " لأنها " **خرجت من يد الله مزيجاً من الكمالات الإلهية والملائكية والبشرية ، مُتمتعة بجمال سام ، يرتفع عن الأرض حتى السماء بل ويتجاوز السماء أيضاً** " . [٥]

---

(١) موسوعة الآباء اليونانيين MG مجلد ١٥١ عمود ٢١٤ خطبته في نسب يسوع .

(٢) موسوعة الآباء اليونانيين MG مجلد ١٥١ عمود ٢١٦ .

(٣) موسوعة الآباء اليونانيين MG مجلد ١٥١ عمود ٢٢٣ .

(٤) موسوعة الآباء اليونانيين MG مجلد ١٥١ عمود ٢٢٧ .

(٥) موسوعة الآباء اليونانيين MG مجلد ١٥١ عمود ٤٦٤ ، ٤٦٨ ، ٤٧٣ .

فإن مريم وحدها قد نالت جميع المواهب بغير قياس ، وفي يدها جعل الله مقاليد كل شيء ، فهي مُستقَر جميع النعم وكمال الجود والصلاح . (١)

ويتكلم بلاماس عن البشارة مخاطباً العذراء قائلاً :

" إنك قديسة ومملوءة نعمة أيتها العذراء ، الروح القدس يحل عليكِ حاملاً لكِ زيادة القداسة كتهيئة للسر الإلهي الموشك أن يتم فيكِ " . (٢)

وعلى تقدمتها إلى الهيكل يعقب قائلاً : كانت **العذراء ممتلئة من النعم الإلهية، مُتمتعة بكامل المواهب التي كانت حاصلة عليها قبل مولدها** " . (٣)

ثم يكمل : " إن العذراء مريم الخاضعة شرعاً لناموس الخطيئة الأصلية ، **قد عصمتها نعمة الله من هذه الخطيئة لكي تكون أماً تليق بإبنها** ، إذ كان لابد لمن كانت مُعدَّة لتلد الإله المتأنس ، أن تكون شبيهة بإبنها في كل شيء " . (٤)

- نيكوفورس كسانثوبولس (+ ١٣٣٥) يقول :

" لقد وُجدَتْ الطوباوية مريم العذراء أهلاً لأن تكون مسكناً لله الكلمة ، ذلك لأنها قد **تقدست لله قبل ميلادها** ، وأقبلت على الوجود كثمرة موهوبة من الله .. (٥)

وفي موضع آخر يقول : " كيف أجرؤ أنا المدنس أن أخاطب بلساني تلك التي عُصمت من كل دنس .. " ؛ (٦)

- ثيوفان الثالث : متروبوليت مدينة نيقيه (+ ١٣٨١) لاهوتي بيزنطي مرموق يقول : " **منذ البدء** (أي منذ بدء وجودها) **كانت مريم متحدة بالروح القدس المحيي** ولم تمر

---

(١) موسوعة الآباء اليونانيين MG مجلد ١٥١ عمود ٤٧٢ .

(٢) موسوعة الآباء اليونانيين مجلد ١٥١ عمود ١٧٥ .

(٣) موسوعة الآباء اليونانيين مجلد ١٥١ عمود ١٤٤ ، ١٤٥ .

(٤) موسوعة الآباء اليونانيين مجلد ١٥١ عمود ١٤٢ ، ١٤٣ .

(٥) نيكوفورس التاريخ الكنسي ١ : ٧ .

(٦) نيكوفورس التاريخ الكنسي ٢ : ٢١ .

عليها لحظة من لحظات حياتها وهي مُنفصلة عنه ، **فإن هذا الإتحاد في الروح ، بات لها إشتراكاً في الوجود ، والحبل بها بالنعمة كان تمهيداً للحبل بإبنها** " [١]

– نيقولاوس كبازيلاس : كاتب بيزنطي مشهور عاش في نهاية القرن الرابع عشر ، له ثلاث خطب في مديح مريم العذراء هي عبارة عن أبحاث لاهوتية قوية التعبير، والفكرة الأساسية فيها تدور حول قداسة العذراء الكاملة والجذرية فإن مريم : " هي المثال الأعلى للبشرية ، وهي وحدها التي حققت مفهوم الإنسان كما أراده الله في تصميمه الأزلي فكانت من ثمَّ " الإنسان الكامل " .

وإليك بعض المقاطع من أقوال كبازيلاس التي تؤيد هذه الحقيقة :

" لم يكن في مريم شيء مما يبعث الكُره أو السُخط . فإن الله كان قد خلقها على نحو ما خلق الإنسان الأول ، **فهي المخلوق الوحيد الذي ظهر في طبيعة بشرية كاملة ، كما كان يجب أن تكون بحسب التصميم والقصد الإلهي** . " [٢] .. " لقد كانت بمفردها المختارة من بين جميع الذين عاشوا من قبل ، وسيعيشون من بعد ، **لأنها وحدها حافظت على الصورة الكاملة للطبيعة البشرية ، وقد نجت من كل شائبة ، بينما ليس سواها من البشر من هو بريء من الدنس، فهي التحفة الفريدة التي تُثير إعجاب الملائكة والبشر ، لأنها وحدها وُجدت منزَّهة عن الوباء العام** " . [٣]

وهكذا تجمعت في مريم جميع الإمتيازات والكمالات التي تمتع بها الإنسان الأول في لحظة خروجه من يد الله ، والتي كان بإمكانه أن يحافظ عليها ، لو أنه جاهد دون السقوط من ذُروة نُبله " . [٤]

وقد شَبَّه كبازيلاس العذراء مريم " بسفينة نوح " التي تنجو بمفردها من الغرق الشامل والأكيد الذي إنتاب البشرية جمعاء قائلاً : " إنها لم تكن في حاجة إلى المصالحة مع الله ..

---

(١). Sermo in Sanctissimam Dei Param IV (ed. Jugie18-22)

(٢) موسوعة الآباء الشرقيين P.O مجلد ١٩ صفحة ٤٦٩ .

(٣) موسوعة الآباء الشرقيين P.O مجلد ١٩ صفحة ٤٧١ – ٤٧٢ .

(٤) موسوعة الآباء الشرقيين P.O مجلد ١٩ صفحة ٤٨٢ .

لأن نفسها البريئة ظلّت دائماً وأبداً الحصن المنيع الذي لم يجد إليه الشر منفذاً ، ولم يقوَ عليها الطوفان الذي جرف الجميع في تيّاره المهلك ، ولكنه حاد عنها بصفة خاصة . " (١)

ثم يصف العذراء قائلاً : " إنها تُشبه الأرض لأنها من هذا العالم ، ولكنها أرض جديدة لأنها لم ترثْ شيئاً من الخمير العتيق . " (٢)

" إنها عروس نشيد الأناشيد الكلية الجمال ، لأنها بمفردها مُنزهة عن كل خطيئة، ولها وحدها أرسل الله رسالة الفرح والسلام ، وأعلن أنها مباركة وممتلئة نعمة ، فقد تنزّهت من كل ما يتعلق بالطبيعة البشرية المذنبة " . (٣)

أما عن تبريرها فيقول : " إن مريم كانت طاهرة قبل بشارة الملاك لها ، وإن كان بعض الآباء القديسين قالوا بأن الروح القدس طهّرها فهم لا يعنون بذلك سوى زيادة النعمة فيها ، بدليل أنهم في كلامهم عن الملائكة يقولون بتطهيرهم وليس فيهم شيء من الشر " . (٤)

فمريم إذن " لم تكن في وقت من الأوقات في حاجة إلى تطهير البتة ، لأن الـروح القـدس كان يسكن فيها على وجه مُستمر ، وقد غيّر من أجلها ناموس الطبيعة . " (٥)

وقد ارتكن كبازيلاس على نقاط ثلاث تفترض براءتها من كل خطيئة :

١ - الأمومة الإلهية : فقال : " **إن أمومة مريم لله تَفرض على الإبن المتجسد فيها ومنها أن يُزينها بكل نعمة، ويعصمها من كل شائبة** . . ولو أنه وجد فيها أقل علاقة بأية خطيئة لما كان قط تجسد منها . " (٦)

لذلك فإن الـذي كان ساخطاً على البشر بسبب الخطيئة ، صار بشراً بسبب مريم . " (٧)

٢ - شرف الله : فقال : " إن الله كان يحمل في ذهنه فكرة الإنسان الكامل ، أي

---

(١) موسوعة الآباء الشرقيين P.O. مجلد ١٩ صفحة ٤٨٦ .

(٢) موسوعة الآباء الشرقيين P.O. مجلد ١٩ صفحة ٤٩٨ .

(٣) موسوعة الآباء الشرقيين P.O. مجلد ١٩ صفحة ٥٠٢ .

(٤) موسوعة الآباء الشرقيين P.O. مجلد ١٩ صفحة ٤٧٦ ، ٤٧٧ .

(٥) موسوعة الآباء الشرقيين P.O. مجلد ١٩ صفحة ٥٠٦ .

(٦) موسوعة الآباء الشرقيين P.O مجلد ١٩ صفحة ٤٧٦ .

(٧) موسوعة الآباء الشرقيين P.O مجلد ١٩ صفحة ٤٨٦ .

الإنسان المطابق لمقاصده الأزلية ، فإنه لما خَلق آدم ، خلقه تحقيقاً لهذا المثال الأعلى، إلا أن الخطيئة حالت دون هذا التحقيق ، **ومن ثم كان لابد له** حتى يتمجد الله في خليقته ، **من أن يُطلق إلى الوجود ، ولو خليقة بشرية واحدة ، تُعبِّر عن فكرته الإلهية متجسدة بكل كمالها وبهائها ، وهذه الخليقة هي مريم** " [١]

٣ - الملابسة بين الطبيعتين : قال : " من المحتم للطبيعتين الإلهية والبشرية قبل أن يتحدا في أقنوم الكلمة من أن تظهرا كل واحدة منفصلة ، بكل كمالها الخاص بها ، **فكان على مريم أن تُظهر في ذاتها الإنسان الكامل** ، كما كان على الكلمة أن يُظهر في ذاته الإله الكامل . " [٢]

وهذا ما تحقق فعلاً، فإن مريم قد أُعِدَّتْ للمخلص منذ اللحظة الأولى من وجودها، مسكناً خليقاً به . [٣]

ولما تعرَّض كبازيلاس لرقاد العذراء وتجشمها العذابات في حياتها ، لم يرَ في ذلك إلا خضوعاً منها ، لا لسُنَّة العقاب الناجم عن الخطيئة الأصلية ، بل لسُنَّة وحدة المصير والغاية مع إبنها الإلهي : تعذب هو ومات ، فكان على الأم أيضاً أن تتعذب وتموت ، " وإن لم تكن قد ورثت شيئاً من الخمير العتيق " .

- إيسيذورس غلافاس (رئيس أساقفة تسالونيكي) (+ ١٣٩٧) قال :

إن محبة الله لمريم هي السبب الأول والوحيد لحديثها مع الملاك ، **وبسبب محبة الله وقدرته ، نجت مريم من الخطيئة . . .**

ثم يكمل : لقد خلق الله مريم على مثاله ليهيء لها بهذه المماثلة أن تُشاركه في خلاص الإنسان [٤]

ثم يضع الكلام على لسان مريم قائلة : **لم يُحبل بي بالخطيئة ، إني الإنسان الوحيد**

---

(١) موسوعة الآباء الشرقيين P.O مجلد ١٩ صفحة ٤٨٠ - ٤٨٢ .

(٢) موسوعة الآباء الشرقيين P.O مجلد ١٩ صفحة ٤٨٢ .

(٣) موسوعة الآباء الشرقيين P.O مجلد ١٩ صفحة ٤٨٧ .

(٤) Ballerini Sylloge Vol. 2 P .428-429.

الذي لم تَحْبَلْ بـه أمـه بالخطيئة وذلك من جملة العظائم التي صنعها الله فيَّ. [1]

ثم يسترسل في مديح العذراء قائلاً :

" إن الرب معكِ ، لقد كان معكِ قبل وجودكِ ، وفي اللحظة التي فيها كوِّنكِ ، وقبل تحية الملاك وأثنائها وبعدها ، **وإذ كنتِ بمفردكِ أقدسَ من الملائكة ، كان لابد لكِ وحدكِ من النجاة من الكارثة العامة** ، ولا تشاركي البشر البتة في ما لا يستحق المديح . [2]

كلام صريح وواضح للتعبير على براءة مريم العذراء من حالة الخطيئة الأصلية التي عمَّت سائر البشر .

– ديمتريوس كيذونيس (Dimitrio Cydones) + ١٣٩٧ وهو لاهوتي بيزنطي مرموق يقول : " إن كان الله قد قدَّس أرميا منذ كان في بطن أمه ، وملأ يوحنا (المعمدان) من الروح القدس، وكان بعد جنيناً ، مع أنه لم يكن عازماً على السكنى فيهما إلا بنعمته ، **فكم كان عليه بالحري أن يفيض القداسة في هيكله الخاص، في العذراء الطاهرة ، التي كان عازماً على السُكنى فيها جسدياً ، واتخاذ جسد من جوهرها بمأمن من كل خطيئة** . " [3]

– جاورجيوس سخولاريوس بطريرك القسطنطينية (١٤٧٢) وهو أكبر لاهوتي بيزنطي في عصره وقد علَّم عقيدة تنزيه مريم العذراء من الخطيئة الأصلية بصراحة ما بعدها صراحة في ثلاث خطب مريمية [4] :

والجدير بالذكر أننا لا نجد عنده أقل تلسيح عن الخلاف الناشب إذ ذاك في الغرب حول هذه العقيدة مما يدل على أن الشرق جميعه كان يمجد العذراء ويُبجلها باعتبارها " الكلية القداسة " دون الإهتمام بالألفاظ والألقاب التي يمكن أن تنشأ بسببها الخلافات . وإليك بعض أقواله :

" **إن ما أحدثه الحبل العذري في مولودها** (مولود العذراء هو يسوع) **أحدثته النعمة**

---

(١) Ballerini Sylloge Vol. 1 P .443-445 .

(٢) Bellerini Sylloge Vol. 1 P.240-247.

(٣) Codex Parisinus graecus 12 / 3 F. 340 r.

(٤) نشرها الأب جورجي بين سنتي ١٩٢٨ ، ١٩٣٦ .

الإلهية فيها ، مع أنها وُلدت بحسب الطريقة الطبيعية ، ومن ثمَّ ففي كليهما تتجلى طهارة عجيبة ، أما طهارة الإبن فهي أبهى لأن طبيعته معصومة بذات جوهرها من كل دنس ، **أما طهارة الأم فمعصومة بفعل النعمة** .

وإن كانت مريم خاضعة شرعاً لشريعة الخطيئة الأصلية ، هي التي كانت مهيأة لتكون أماً لكامل الطهارة ، لذا **كان لابد أن تكون هي أيضاً كاملة الطهارة منذ اللحظة الأولى من الحبل بها** . ففي حياة هذه الأم كان كل شيء على أكمل إنسجام مع الطهارة الطوباوية التي لم يحظ بها أحد من بني البشر سوى مريم " . (١)

أما تعليم سخولاريوس فواضح وجلي :

" كل إنسان منحدر من صُلب بشر هو حتماً واقع تحت ناموس الخطيئة الأصلية ، ولما كان المسيح ليس من صُلب بشر فقد حُبل به بقدرة الله مباشرة ولا يخضع لهذا الناموس العام، أما مريم فهي منحدرة من أبوين بشريّين ولذا فقد كانت شرعاً مثل كل إنسان خاضعة لشريعة الخطيئة الأصلية ، ولكن لأنها كانت مهيأة لتكون أمّاً لله ، فقد كان لابد أن تخرج عن نطاق هذا الناموس الشامل ، فإن نعمته تعالى قد عَصَمتها من تسرب الخطيئة الوراثية إليها .

وفي تفسيره السلام الملائكي : لعبارة " مباركة أنت في النساء " يقول : " **كيف لا تكونين مباركة ، أنتِ التي عُصمتِ عصمة كاملة من أدران اللعنة الأولى** وقد أنقذتِ الآخرين منها ؟ إنك حقاً مباركة في النساء، لا لأنك قد حَظيتِ بعظائم النعم ، **بل لأنكِ عُصمتِ من اللعنة . . .**

وكما أن عار اللعنة قد نتج عن إمرأة وتسبب في تدمير طبيعتنا كذلك الآن كنز النعم يُمنح أيضاً بواسطة إمرأة تكون مصدراً لحياة جديدة . " (٢)

وفي غروب حياته يصرح بالشهادة نفسها قائلاً :

" لم تكن العذراء الكاملة القداسة - بإعتبارها مولودة ميلاداً طبيعياً - في حاجة إلى النجاة من الخطيئة الأصلية ، لأن نعمة الله قد عَصَمتها منها مُسبقاً ؛ وقد **كان الحبل بها قد**

---

(١) G. scholarios (oeuvres completes) 1, p202,203 .

(٢) G. Scholarios (Oeuvres complétes Vol I) P.40.

تم على وجه شبه عذري ، **لكي تُقدّم للكلمة الإلهي جسداً** كامل الطُهر ، فهي النفس الوحيدة التي لم تُدركها البتة غيوم الأفكار الشريرة ، **إنها المقدس الإلهي نفساً وجسداً** " (١)

- وبعد قرنين من الزمن أصدر البابا ألكسندروس السابع بياناً بشأن " عيد الحبل بالعذراء مريم منزهة من الخطيئة الأصلية " في ٨ ديسمبر سنة ١٦٦١ . (٢)

وفي سنة ١٦٦٣ أوفد قداسته الأب بسّون اليسوعي لإستطلاع رأي البطاركة الكاثوليك في الشرق فيما يختص بهذه العقيدة ، فقام بجولة زار فيها البطاركة الشرقيين ، وكتب كل بطريرك معبراً عن رأيه في كتاب بخط يده ومذيل بتوقيعه . (٣)

وهذه الوثائق محفوظة في مكتبة الفاتيكان . (٤)

وإليك نصوص إعترافات البطاركة الشرقيين فيما يختص بعقيدة تنزيه مريم العذراء عن الخطيئة الأصلية :

١ - البطريرك أغناطيوس إندراوس بطريرك السريان قال :

" أنا الفقير أغناطيوس إندراوس البطريرك الإنطاكي على السريان أثبت ما عرضه عليّ الأب بسّون اليسوعي في أمر براءة مريم الكلية الطهارة من الخطيئة الأصلية ، وأقر أنه موافق للتعليم الأرثوذكسي ، كما علّمه كثيرون من الآباء الأقدمين من ملافنة الكنيسة الشرقية " .

البطريرك أغناطيوس إندراوس

(توقيع)

٢ - البطريرك اسطفان الدويهي بطريرك الكنيسة المارونية قال : " أقر أن سيدتنا الكوكب اللامع ، والطهر الساطع ، كانت مُنزّهة من كل خطيئة حاليّة أو أصلية ، بل أنها لم تلطخ بها البتة ، بنعمة خصوصية من إبنها ، كما ورد في كتب طائفتنا المارونية والصلوات

---

(١) G. Scholarios (Oeuvres complétes Vol I) P.501.

(٢) راجع دنزنجر رقم ٢٠١٥ ، ٢٠١٦ ، ٢٠١٧ .

(٣) Dictionnaire d'histoire et de Géographie ecclesiastique tome huiti`eme colonne 1215, : BESSON (Joseph).

(٤) راجع مجلة المشرق سنة ١٩٠٤ صفحة ٤٠١ .

السريانية التي ألفها الآباء القديسون والملافنة المختارون ."

البطريرك اسطفان الدويهي

(توقيع)

٣ - البطريرك مكاريوس الثالث بطريرك الكنيسة البيزنطية قال :

" أنا الفقير مكاريوس الثالث بطريرك مدينة الله أنطاكيا العظمى أقر صحة هذا التعليم الذي أوضحه الأب يوسف بسّون اليسوعي عن سيدتنا مريم الكلية القداسة ، أعني أنها بريئة ومُنزّهة من الخطيئة الأصلية ، كما فسّر عدد وافر من الآباء القديسين ومعلمي الكنيسة الشرقية الأقدمين . "

البطريرك مكاريوس الثالث

(توقيع)

٤ - البطريرك كتشدور بطريرك الأرمن قال :

" أنا كتشدور بطريرك الأرمن وجميع طائفتنا تقر بأن أم الله مريم وُجدت طاهرة ومصونة تماماً من كل خطيئة أصلية أو فعلية ، وهذا ما إستفدناه من أقدم معلمي كنيستنا " (١) .

البطريرك كتشدور

(توقيع)

---

(١) وقد عقبت مجلة la civiltà Cattolica سنة ١٨٧٦ على المخطوط الأصلي الذي شمل كل هذه الإعترافات ما نصّه : "إنها جاءت موقعة بشهادة إثنين من الرهبان هم من رؤساء الأديرة الكاثوليكية في الشرق ومذيلة أيضاً بترقيع قنصل فرنسا السيد / بارون تصديقاً على الترقيمات والأختام".
وإليك النص كما ورد في هذه المجلة :
" il foglio originale in cui si leggono tutti queste testimonianze é sottoscritto da due testimoni Europei, Fra Silvestro di Sant' ignaz, Cappucino, e fra Gio pietro della Meri, Carmelitano scalzo, Ambedue Superiori delle missioni del loro ordine in oriente; e infine vi ha l'attestato del console di Francia il Sig. Baron, il quale fa fede della vérita delle sottoscrizione e dei sigilli."
Cfr. La civilta Cattolica 9 Serie, T. XII (12) 1876 page546.

الفصل الثالث

إعلان العقيدة وتعليم الكنيسة

وبعد أن تأصلت عقيدة الحبل بمريم مُنزهة عن وصمة الخطيئة الأصلية في أذهان المؤمنين لم يتردد البابا بيوس التاسع في إعلانها إلى العالم بأسره كعقيدة إيمانية محددة ، مستنداً في ذلك على كافة البراهين والشواهد الإلهية والبشرية المتصلة حلقاتها حتى عصر الرسل، والمؤيدة بتعاليم عموم الآباء القديسين ومعلمي الكنيسة عبر الأجيال ، وإجماع كلمة الشعب المسيحي شرقاً وغرباً .

ففي اليوم الثامن من شهر ديسمبر ١٨٥٤ أعلن البابا بيوس التاسع (١) بسلطانه السامي هذه العقيدة الإيمانية كتعليم موحى به من الله في براءته التي مطلعها " الإله الذي لا يوصف " INEFFABILIS DEUS حيث قال : " بسلطان السيد المسيح ، والطوباويين بطرس وبولس ، وسلطاننا ، نُعلن ونُحدد أن الطوباوية مريم العذراء حُفظت مصونة من الخطيئة الأصلية وعُصمت منها منذ اللحظة الأولى من الحبل بها ، وذلك بنعمة وإنعام فريدين من الله القدير بالنظر إلى إستحقاقات يسوع المسيح فادي الجنس البشري ، وهذا التعليم عقيدة إيمانية موحى بها من الله ، ومن ثمَّ يجب على جميع المؤمنين الإيمان به . (٢)

ومن الطريف أن تؤيد البتول هذه الحقيقة عينها في سنة ١٨٥٨ أي بعد أربعة أعوام بعد إعلان العقيدة ، بظهورها في مدينة لورد بفرنسا للراعية الصغيرة برناديت ، معلنة بالمعجزات الخارقة التي لا تزال تفيضها بسخاء حتى يومنا هذا، إنها حقاً العذراء أم الله التي حُبِل بها منزهة عن الخطيئة الأصلية .

---

(١) في إحتفال مُهيب تحيط به هالة سنية مؤلفة من ٥٦ كاردينالاً و ١٤٠ أسقفاً وعدد غفير من الكهنة والرهبان والراهبات والألوف المؤلفة من المؤمنين .

(٢) دنزنجر رقم ١٦٤١ .

ويواصل البابوات اللاحقون نفس التعليم :

١- البابا لاون الثالث عشر (١٨٩٠) يخاطب العذراء قائلاً :

" **لقد نِلتِ منذ الحبل بكِ كمال النعمة** لتصيري أهلاً لتكوني أم الله " [١]

٢- والبابا بيوس الحادي عشر (١٩٣٣) يناديها قائلاً :

" أيتها الممجدة ، لقد حُبل بكِ بلا خطيئة أصلية ، إذ انتخبك الله وقدسكِ لتكوني أم المسيح وتصيري شريكته في خلاص الإنسان " [٢]

وفي رسالته العامة عن الشيوعية الإلحادية سنة ١٩٣٧ يحث المؤمنين على العكوف على الصلاة وأعمال التوبة قائلاً : " إننا نتوجه بنوع خاص إلى أفراد الرهبانيات المنعكفة رجالاً ونساء أن يزيدوا صلواتهم وتقشفاتهم مستمدين من الله لكنيسته عوناً وقوة تساندها جهادها الحاضر **بشفاعة العذراء المنزهة عن دنس الخطيئة الأصلية ، التي سحقت رأس الحية القديمة ، ولا زالت للمسيحيين ملجأ أميناً . وحصناً منيعاً** " [٣]

٣- البابا بيوس الثاني عشر : في مستهل حبريته سنة ١٩٤٢ كرّس العالم بأسره لقلب مريم العذراء البريء من كل دنس ، وفي سنة ١٩٤٣ أعلن في رسالته العامة "جسد يسوع السري " (Mistici Corporis) مؤكداً أن العذراء منزهة عن كل خطيئة ، شخصية أو أصلية ، هي المتحدة بإبنها دوماً أوثق إتحاد ، فحق لها أن تقدمه على جبل الجلجلة للآب السماوي ، مشفوعاً بمحرقات حقوقها ومحبتها الوالدية، بإعتبارها حواء الجديدة من أجل أبناء آدم جميعهم المدنسين بالخطيئة الأصلية . "

ومن أجمل تعبيراته عن نقاء العذراء من كل خطيئة قوله :

" **إن الحَبَل بك الطاهر هو بدء أمجادك ، وإمتياز هذا مقداره ، إذ لا فرق أن يُقال " مريم " أو أن يُقال " الطاهرة التي حُبل بها بلا دنس "** وفي هذه النقاوة فجر الخلاص . . . إن

---

(١) أعمال الكرسي الرسولي مجلد ١١١ صفحة ١٤٢ .

(٢) أعمال الكرسي الرسولي سنة ١٩٣٣ مجلد ٢٥ صفحة ٨٠ .

(٣) رسالة عامة "الشيوعية الإلحادية" ترجمة عربية المطبعة الكاثوليكية بيروت سنة ١٩٣٧ ص ٤٢.

نفس مريم عُصمت من كل خطيئة فعلية أو وراثية ." (١)

وبعد عشر سنوات يراجع البابا بيوس الثاني عشر التعليم عينه في رسالته العامة التي مطلعها " التاج المشع " (Fulgens Corona) سنة ١٩٥٣ قائلاً :

" إن إنتصار مريم على الشيطان ما كان ليتم كاملاً لو أن مريم كانت يوماً تحت سلطانه، وبالتالي كان عليها أن تدخل إلى هذا العالم منزهة عن الخطيئة الأصلية " .

ومع بداية عام ١٩٥٤ أعلن أن هذا العام عاماً مريمياً بمناسبة الذكرى المئوية الأولى لتحديد عقيدة الحبل بالعذراء مريم منزهة عن الخطيئة الأصلية ، كما أعلن أيضاً بداية عام مريمي جديد إعتباراً من ١١ فبراير ١٩٥٨ بمناسبة الذكرى المئوية الأولى لظهورات العذراء مريم للقديسة برناديت في لورد بفرنسا .

٤ - البابا يوحنا الثالث والعشرون : سنة ١٩٦٣

دعا إلى عقد المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني وقد جاء ضمن الوثائق المجمعية نصوص عديدة تؤكد قداسة العذراء الفريدة منذ لحظة الحَبَل بها ، نقتطف منها :

- " **إن مريم هي الأولى** بين ودعاء الرب ومساكينه الذين يرجون **وينالون منه الخلاص بثقة** " . (٢)

- " **وقد تزينت منذ أول لحظة من الحَبَل بها بضياء قداسة فريدة ، فقد حياها الملاك المُرسل من قِبل الله بأنها ممتلئة نعمة** " . (٣)

- " وقد نالت مريم الفداء بطريقة سامية نظراً لإستحقاقات ابنها . . وبالتالي **أصبحت الإبنة المفضلة وهيكل الروح القدس ، وفاقت بموهبة هذه النعمة الخارقة جميع الخلائق السماوية والأرضية** " . (٤)

---

(١) Cfr. Barbetto, maria nel Dogma Cattolico, Torino 1950 p.305 .
A.A.S. 35 / 1943 p. 247-8 .

(٢) وثائق المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني الطبعة الثانية سنة ١٩٧٩ .
دستور عقائدي "في الكنيسة" مريم في سر المسيح والكنيسة فقرة ٥٥ ص ٣٣٦ .

(٣) نفس المرجع فقرة ٥٦ ص ٣٧٧ .

(٤) نفس المرجع فقرة ٥٣ ص ٣٧٥ .

– " فالعذراء الطوباوية ، بموجب هبة الأمومة الإلهية ومهمتها التي تربطها بإبنها الفادي ، وبموجب النعم التي نالتها ومهامها الفريدة تتحد أيضاً بالكنيسة إتحاداً وثيقاً ... فهي تُدعى بحق أماً وبتولاً معاً وتأتي في المقام الأول قدوة سامية وفريدة للأم وللعذراء " . (١)

ثم حثَّ المجمع المقدس أبناء الكنيسة أن يعضدوا تكريم الطوباوية مريم ، وأن يقدروا ما يمارسه المؤمنون من أعمال التقوى إكراماً لها . . . وأن يحفظوا بورع ما تقرر في العصور السابقة حول تكريم صور المسيح والعذراء والقديسين " . (٢)

٥ – البابا بولس السادس : سنة ١٩٦٤ وَجَّهَ إلى العالم رسالة عامة " في كنيسة المسيح " يؤكد فيها :

" إن العذراء مريم هي أعجوبة البشرية الحقيقية ، فإن إكرامها في كنيسة اليوم مزدهر ، ويسعدنا أن نعود إليه بفكرنا ، لنُحَيي في العذراء القديسة أم المسيح ، مثال الكمال الحقيقي ، ومرآة الفضائل ، **الخاليه من كل عيب ، أعجوبة البشرية الحقيقية ، إنها الطوباوية الكلية العذوبة والوداعة ، البريئة من الدنس** ، إذا شئنا أن نتعلم المثال الحقيقي للمسيحية الصحيحة ." (٣)

– وفي التوجيه الرسولي المؤرخ ١٩٧٤/٢/٢ يعلِّم البابا بولس السادس :

" إن قداسة العذراء كانت كاملة **منذ لحظة الحَبَل بها منزَّهة عن الخطيئة الأصلية** . " (٤)

لذلك تحتفل الكنيسة بانتقال مريم بالنفس والجسد إلى السماء ويُعتبر هذا العيد عيد مصيرها في الكمال والغبطة ، **وتمجيد نفسها البريئة من الخطيئة الأصلية وجسدها العذري** ." (٥)

---

(١) نفس المرجع فقرة ٦٣ ص ٣٨٠ .

(٢) نفس المرجع فقرة ٦٧ ص ٣٨٢ .

(٣) رسالة عامة " في كنيسة المسيح " ١٦ أغسطس سنة ١٩٦٤، ترجمة عربية طُبعت في لبنان بإذن الرؤساء صفحة ٢٦.

(٤) توجيه رسولي مؤرخ ٢ فبراير سنة ١٩٧٤ صفحة ٥٤ ، ٥٥ .

(٥) نفس المرجع صفحة ١٠ .

ثم يتابع : أمّا عن علاقة مريم بالكنيسة ، فقد تضمنت النصوص الطقسية في القداس، عبارات تشير إلى جمال العلاقة المتوفرة بين أم المسيح (العذراء) وبين الكنيسة :

وفي هذه النصوص يبرز تنزيه مريم عن الخطيئة الأصلية منذ لحظة الحَبَل بها ، وتَبرز أيضاً الكنيسة باعتبارها عروس المسيح المنزهة عن كل شائبة . [1]

٦- البابا يوحنا بولس الثاني : في ٢٥ مارس سنة ١٩٨٧

وجّه رسالة عامة عن الطوباوية مريم العذراء ودورها في حياة الكنيسة في مسيرتها عبر التاريخ مطلعها " أم الفادي " (Mater redemptoris) وهي دراسة عميقة وبحث لاهوتي مستفيض، لدور العذراء مريم في حياة الكنيسة ورسالتها في عالم اليوم على ضوء توجيهات المجمع الفاتيكاني الثاني، نقتطف منها فقط العبارات التي تُدَعِّم ما نحن بصدده لإثبات عقيدة تنزيه العذراء مريم من كل دنس خطيئة .

١- " **إن مريم العذراء هي الممتلئة نعمة** . . ويتجلى مجد النعمة وكمالها في والدة الإله **لكونها أُفتديت بشكل فائق وإستثنائي** " . [2]

مشيراً بذلك إلى ما حدده البابا بيوس التاسع في براءته " الإله الذي لا يوصف " السابق ذكرها ، وما أيده المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني في الدستور العقائدي في الكنيسة نور الأمم عدد ٥٣ .

٢- " فبقوة غنى نعمة الإبن الحبيب ، وإعتباراً لثمار الفداء ، **حُفظت مريم من إرث الخطيئة الأصلية** ، وبالتالي فهي منذ اللحظة الأولى التي حُبل بها ، أي منذ اللحظة الأولى لوجودها ، خاصة المسيح ، وتشترك معه في النعمة التي تخلص وتقدس " . [3]

وهو يشير بذلك إلى تعاليم آباء الكنيسة وباباواتها عبر الأزمان والأجيال وإصرارهم

---

(١) نفس المرجع صفحة ١٣ ، ١٤ .

(٢) رسالة عامة في الطوباوية مريم العذراء " أم الفادي " الترجمة العربية التي نُشرت بعناية مجمع الكنائس الشرقية صفحة ١٩ .

(٣) نفس المرجع صفحة ٢٠ .

راجع أيضاً القديس اندراوس الأقرشطي في موسوعة الآباء اليونانين MG مجلد ٩٧ عمود ٨١١ ، ٨١٢ ، ١٠٦٧، ١٠٦٨، ١٣٢١، ١٣٢٢ .

على هذا المعتقد .

٣- " **إن العذراء الطاهرة التي صانعها الله ، لم تمسها الخطيئة الأصلية** ، فقد رُفعت جسداً ونفساً بعد أن إنتهت مسيرة حياتها على الأرض إلى مجد السماء ، وقد عظّمها الرب كملكة على الكون لتكون بذلك أكثر تشبهاً بإبنها ملك الملوك ورب الأرباب قاهر الموت والخطيئة " . (١)

وهو نفس تعليم البابا بيوس الثاني عشر في براءته " الله الكلي الجودة " (Munificentissimus Deus) (٢) والمؤيد من المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني في الدستور العقائدي في الكنيسة نور الأمم عدد ٥٩ .

٤ - ويذكرنا البابا يوحنا بولس الثاني بتصريحات المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني مؤكداً في رسالته " كرامة المرأة " أن " مريم الناصرة " هي في سُلّم القداسة رمز الكنيسة ، إنها تسبقنا جميعاً على درب القداسة ، **ففي شخصها تبلغ الكنيسة الكمال الذي يقيها من كل شائبة وتغضن** ، وإنطلاقاً من هذا المفهوم يمكن القول أن الكنيسة هي مريمية كما أنها رسولية .(٣)

وتعلق جريدة ال Osservatore Romano على هذا التصريح قائلة : " إن هذا المظهر المريمي هو أساسي ومميز لكنيسة المسيح ، لأنه وإن كانت الكنيسة تدعى رسولية ، فإنها تُدعى أيضاً بحق مريمية لأنها مؤسسة على العذراء مريم التي يدعوها اللاهوتيون المعاصرون " سلطانة الرسل " . (٤)

---

(١) رسالة عامة " أم الفادي " صفحة ٧٧ .

(٢) راجع أعمال الكرسي الرسولي سنة ١٩٥٠ مجلد ٤٢ صفحة ٧٦٩ - ٧٧١ .

(٣) رسالة رسولية للحبر الأعظم البابا يوحنا بولس الثاني في مناسبة السنة المريمية في كرامة المرأة ودعوتها. ترجمة عربية نشرت بعناية المجمع المقدس للكنائس الشرقية بالفاتيكان في ١٥ أغسطس سنة ١٩٨٨ صفحة ١٠٨ .

- راجع أيضاً المجمع الفاتيكاني الثاني. دستور عقائدي في الكنيسة نور الأمم عدد ٦٣، ٦٥ وكذلك البراءة البابوية أم الفادي عدد ٢ - ٦ .

(٤) جريدة ال Osservatore Romano ٢٣ ديسمبر سنة ١٩٨٧ .

الباب الخامس

شهادة النصوص الطقسية القديمة
في مختلف الكنائس الشرقية

الفصل الأول

صوت الكنيسة البيزنطية

إمتاز الآباء اليونان ومؤلفو صلوات الكنيسة البزنطية بتعبيراتهم البليغة عن العذراء مريم ، فقد جاءت شهاداتهم عن براءتها من حالة الخطيئة الأصلية أسطع دليل على قِدم معتقدهم بهذه الحقيقة .

ومن أجمل النعوت والأوصاف التي يُلقبون بها العذراء :

- أرض جديدة أُخذ منها آدم الجديد جسده .
- بستان سماوي غرسه الله نفسه ، أفضل من فردوس عدن .
- وردة متفتحة بين أشواك الطبيعة الفاسدة .
- قصر الملك السماوي الذي شيده الله بغير أيادي البشر .
- سحابة منيرة وسماء عقلية .
- حمامة طاهرة ، إبنة الله ، أم الحياة .
- برفيرة ملوكية لا عيب فيها .
- عود ممتنع الفساد ، لا تدنو منه أرض الخطيئة .

وقد إشتمل كتاب الميناون [1] الذي تستعمله الكنيسة البيزنطية ، على تعبيرات قوية

(١) والميناون كتاب طقسي يشتمل على خدمة الأعياد السيدية وأعياد العذراء والقديسين على مدار السنة ، وهو مستعمل في الكنيستين البيزنطية الكاثوليكية والبيزنطية الأرثوذكسية .

تُشير إلى براءة مريم العذراء ونزاهتها من كل خطيئة ، فيمدحها في أوصاف بديعة ورائعة نقتطف منه :

أنها دائماً مباركة ، كلية الطهارة ، كلية النقاوة، الفائقة العَجَب ، باب به جدَّد الله طينة البشر ، فهي باب الحياة الحقيقية [١] ، وهي التي تنقض بمولدها لعنة آدم[٢] ، هي النقية والدة الإله [٣] ، البريئة من كل العيوب [٤] ، علّة حياتنا وإضمحلال اللعنة [٥] ، زيتونة حسنة الثمر [٦] ، المنارة النيرة والعرش الناري [٧] .

الطاهرة النقية والدة الإله ، التي بلا عيب ، البريئة من الأدناس [٨] ، هي النقية التي تقدست لله قبل الحبل بها [٩] ، التي لم يُشتم منها رائحة الفساد [١٠] ، ثمرة مقدسة ، ومولدها مقدس بما أنها قُدس القديسين [١١] ، بها تجدَّدت جبلتنا من الفساد [١٢] ، إنها أم

---

(١) كتاب الميناون اليوم التاسع من كانون أول صلاة السحر : الأودية الثالثة كانين .

(٢) اليوم السابع من أيلول كيريه غروب قطعة ٣ .

(٣) اليوم التاسع من كانون أول قانون أوديه ١ - ٢ .

(٤) اليوم الثامن من أيلول أبوستيخن قطعة ٣ ، صلاة السحر .

راجع أيضاً اليوم الحادي والعشرين من تشرين ثان أوديه ٤-٩ .

راجع أيضاً اليوم التاسع من كانون أول قانون أوديه ٣-١ .

(٥) اليوم الثامن من أيلول أبوستيخن قطعة ٢ .

(٦) اليوم التاسع من كانون أول أبوستيخن قطعة ٢ .

(٧) اليوم الخامس عشر من كانون ثان صلاة المساء الكانين لوالدة الإله .

(٨) اليوم الثامن عشر من كانون ثان قانون ١ أفشين نوم الصغرى .

راجع أيضاً اليوم التاسع من كانون أول قانون أودية ١-٢ .

(٩) اليوم التاسع من كانون أول قانون ثان ١-٤ .

(١٠) اليوم الخامس عشر من آب قانون أودية ٦-٢ .

(١١) اليوم الحادي والعشرون من تشرين ثان - صلاة السحر .

راجع أيضاً اليوم الثامن من أيلول الأودية السادسة .

(١٢) اليوم التاسع من كانون أول غروب كانين .

الحياة التي أعادت الحياة إلى آدم وذريته [١] ، فهي الأرض الخصبة التي تثمر سنبلة الحياة [٢] ، إنها ينبوع عدم الفساد التي وجِّهت إلى حواء الدعوة للعتق من الفساد [٣] ، إنها خلاص آدم ونجاة حواء ، وبها نجونا من اللعنة [٤]، وهي تجديد آدم وإبتهاج حواء [٥] ، هي إناء للطهارة ، وجددت بميلادها الطبيعة معتقة حواء من اللعنة [٦] ، إنها فتاة الله المهيأة لسكنى ملك الدهور لتجديد جبلة جنسنا [٧] ، المصباح الإلهي الحامل الضوء [٨] ، إن ولادتك تسمو على طور العقول أيتها الأم المباركة الكلية النقاوة [٩] ، إنها السماء الجديدة، سماء الله التي وُلدت على الأرض [١٠] فهي السماء العقلية البريئة من كل العيوب .

إنها أكرم من الشاروبيم وأمجد بدون قياس من السارافيم وأرحب من السموات وأرفع سمواً من جميع المخلوقات [١١] ، أنت الأم المباركة الكلية النقاوة لأن فيك حلّت قداسة الفضائل كلها [١٢] ، أيتها النقية لقد تقدستِ لله قبل الحبل بك [١٣] ، أيتها الكلية الطهارة إن ولادتك عجيبة وطريقة نموِّك بديعة وكل أحوالك باهرة ، فائقة الوصف لدى البشر [١٤] .

---

(١) اليوم الثامن من أيلول الأودية السابعة .
(٢) اليوم التاسع من كانون أول غروب قطعة ٢ .
(٣) اليوم الثامن من أيلول الأودية السابعة كانين، صلاة السحر .
(٤) اليوم الحادي والعشرون من تشرين ثان الأودية التاسعة .
راجع أيضاً اليوم الثامن من أيلول صلاة السحر .
(٥) اليوم التاسع من كانون أول صلاة السحر. كاتسما أولى كانين .
(٦) اليوم الثامن من أيلول الأودية السابعة كانين .
(٧) اليوم التاسع من كانون أول غروب كانين .
(٨) اليوم الحادي والعشرين من تشرين ثان صلاة السحر.
(٩) اليوم السادس من كانون ثان الأودية التاسعة .
(١٠) اليوم التاسع من كانون أول قانون -١ أودية .
راجع أيضاً اليوم الثامن من أيلول صلاة السحر .
(١١) كتاب الميناون اليوم الحادي والعشرون من تشرين ثان أودية ٩-٢ .
راجع أيضاً اليوم الثامن عشر من كانون ثان الأودية الثالثة .
(١٢) كتاب الميناون اليوم السادس من كانون ثان الأودية التاسعة .
(١٣) كتاب الميناون اليوم الحادي والعشرون من تشرين ثان صلاة السحر، كاتسما ثانية .
(١٤) كتاب الميناون اليوم العشرون من تشرين ثان قانون ٥-٦ .

الطاهرة ظفرت وحدها وسمت فوق كل الخليقة [١] ، أيتها العذراء والدة الإله بما أنك تابوت الله الحي فلا تلمسك يد مدنسة [٢] ، إفرحي يا مريم البريئة من كل العيوب يا من بها نجونا من اللعنة القديمة [٣]، إنها الثمرة التي سوف تفتح باب الفردوس بالنعمة [٤] ، إن ميلادها كلي الطهارة بريئ من كل العيوب ، والحبل بها غير موصوف فهي البتول البريئة من العيب التي ليس فيها وصمة دنس البتة [٥] ، إن طغمات الملائكة إنذهلوا من مولدك العجيب [٦] أيتها المبخرة الذهبية الفائقة النقاوة مريم ، أنت في الحقيقة المستودع الذي إرتضى به الآب ، وحل فيه الإبن، وظلله الروح القدس ، فجعلكِ يا فتاة أماً لله " .[٧]

جاء يواكيم وحنّة وقدّموا للرب المولودة منهما عفيفة بريئة من كل العيوب ، اليوم البتول البريئة من كل العيوب تُقدَّم إلى الهيكل ، اليوم الكلية القداسة والكاملة الطهر تدخل إلى قدس الأقداس فلنهتف لها : إفرحي يا من أنت وحدك مباركة في النساء [٨] ، إن البريئة من الأدناس ، الخدر الغيرفاسد ، مريم والدة الإله تدخل بسرور إلى بيت الله بحال مستغربة ، مزفوفة بإيمان من ملائكة الله، والمؤمنين بأسرهم يغبطونها دائماً هاتفين نحوها بشكر : أنت هي مجدنا وخلاصنا يا بريئة من كل العيوب [٩] ، أشرقتْ كالصبح في ليل الحياة ، من أجل طهارتها صارت هيكلاً حياً لله ، وعاشت مريم في الهيكل محرقة طاهرة وقدساً مجيداً ، إن الكلمة وجدها بين الأشواك كسوسنة طاهرة كلية النقاوة ، الجالس مع الآب إختارها منذ الأزل ليتكيء في أحضانها ، لقد ظهرت بالحقيقة فردوساً نضراً مغروساً فيه عود الحياة " [١٠]

---

(١) كتاب الميناون اليوم الحادي والعشرون من تشرين ثان الأودية التاسعة .

(٢) كتاب الميناون اليوم الحادي والعشرون من تشرين ثان الأودية التاسعة .

(٣) كتاب الميناون اليوم الحادي والعشرون من تشرين ثان الأودية التاسعة .
راجع أيضاً اليوم الثامن من أيلول صلاة السحر .

(٤) كتاب الميناون اليوم التاسع من كانون أول أودية ٣-٢ .

(٥) كتاب الميناون اليوم الثامن من أيلول صلاة السحر، أودية ٥-٢ .

(٦) كتاب الميناون اليوم الحادي عشر من كانون ثان الأودية الثالثة .
راجع أيضاً اليوم الرابع من كانون أول الأودية الثالثة .

(٧) كتاب الميناون اليوم السابع والعشرون من تشرين ثان صلاة السحر .

(٨) كتاب الميناون اليوم الخامس والعشرون من تشرين ثان الأودية التاسعة .

(٩) كتاب الميناون اليوم الحادي والعشرون من تشرين ثان الأودية الثالثة .

(١٠) كتاب الميناون اليوم الخامس من كانون أول الأودية الرابعة .

" إن حنَّة هتفت قائلة : " ها أنا أقتبل في بطني ثم ألد الفتاة التي سبق داود فدعاها الملكة ، المزمعة أن تلد المسيح الملك " .

إن الأرض التي سكنها خالق الكل ، الصولجان المقدس ، التابوت الجديد ، قسط المن إبتدأت تنبت في حشا والدتها .

إن العليقة غير المحترقة ، المنارة الذهبية ، خدر الرب الإله ، قد إبتدأت تنشأ في حشا والدتها . " (١)

كل هذه النعوت والأوصاف تنطق ببراءة مريم وطهارتها من كل خطيئة ، فهي الخليقة الوحيدة التي لا عيب فيها ، ولم يلحق بها أصلاً أي ظل للخطيئة ، وكيف توصف العذراء بأنها وحدها كلية الطُهر ، وأنها وحدها البريئة من كل العيوب ، وأنها تنقض لعنة آدم ، وبها تجددت جبلتنا من الفساد ، وأنها ينبوع عدم الفساد ، وأنها أقدس كل الخليقة ، وأعلى من الشاروبيم والساروفيم ، وأنها سماء جديدة وأرفع من الملائكة والقديسين ، وأنها تقدست لله قبل الحَبَل بها . . . إلخ . . . إلخ . . . لو كانت قد أحصيت في عداد الذين تلطخوا بالخطيئة الأصلية .

وتعبيراً عن هذا المعتقد العريق في القدم في الكنيسة البيزنطية ، فإن البيزنطيين يحتفلون بعيد الحَبَل بمريم منذ القرن الخامس الميلادي ويسمونه " عيد حَبَل حنَّة ، وله رتبة خصوصية وطقوس بهيه وصلوات مجيدة تقال في اليوم التاسع من شهر كانون أول (ديسمبر) من كل عام ، ثم إنتشر العيد في الكنيسة اللاتينية في الغرب، وبدأ الغربيون يحتفلون به منذ أوائل القرن الثامن الميلادي .

ونتساءل هنا : إن كان الحبل بمريم حبلاً إعتيادياً ، أي ممزوجاً بحالة الخطيئة الأصلية فلماذا تحتفل الكنيسة بعيد الحبل بمريم وعيد ميلاد مريم ؟ لابد أن يكون هناك حادث قَدْ وخارق للعادة جعل الكنيسة تتمسك بالإحتفال بهذا العيد عبر القرون والأزمان .

هذا الحادث الخارق هو الحَبَل بمريم منزهة عن الخطيئة الأصلية ، ويتضح ذلك من الصلوات المثبتة في كتاب " الميناون " والتي تضعها الكنيسة كإكليل ذهبي على رأس العذراء في عيد الحَبَل بها ، نقتطف منه :

---

(١) كتاب الميناون اليوم التاسع من كانون أول صلاة السحر الأودية الثامنة .

- " إن أقوال الأنبياء قد تمت ، لأن **الحبل المقدس يستقر في الحشا** ، والسلّم الإلهي ينتصب ، والعرش العظيم للملك يُهيأ ، ومكان إجتياز الإله يُعد ، والعَوسجة الغير مُحترقة قد أخذت في الإفراع ، وخزانة طيب التقديس تفيض الآن أنهاراً " . [١]

إن هذا التعبير الجميل " **الحبل المقدس يستقر في الحشا** " يُشير إلى الحبل بمريم ، وتكوينها في أحشاء والدتها القديسة حنّة ، **وهو حَبَل مقدس** ، ولا يمكن أن يكون الحَبَل مقدساً ، إلا إذا كان مُنزهاً عن كل خطيئة ، فإن مريم هي العوسجة غير المحترقة ، وفي سموها وطهارتها كانت منذ أول لحظة من كيانها خزانة طيب التقديس.

وقد تغنى الأنبياء والقديسون بالعذراء مريم لأنها دخلت إلى الوجود وأصبحت الخليقة الجديدة التي صدرت من يد الله الخالق بنوع عجيب .

- **إن السر المستغرب** المرموز إليه منذ الدهور ، الذي لا تُدرك عظمته لدى الملائكة والبشر ، اليوم يظهر طفلاً في أحضان حِنّة العفيفة ، أعني بها مريم فتاة الله ، مهيأة لسكنى ملك الدهور لتجديد جبلة جنسنا " [٢] .

" **أيتها العذراء الطاهرة إن الحَبَل بكِ مستغرب** ، وولادتك غريبة ، تسمو على طور العقول " . [٣] ولا يقوم السر المستغرب في أن حِنّة كانت عاقراً وحبلت ، لكنه يقوم في شخص مريم المتكون في أحشاء حِنّة بنوع فائق ، ويقوم أيضاً في طريقة ظهور مريم ودخولها إلى العالم على خلاف عادة المولودين ، فإن مريم هي فتاة الله المهيأة لسكنى ملك الدهور .

وكيف يمكن أن يكون الحَبَل بالعذراء غريباً لو كانت مريم خاضعة كسائر البشر لسريان الخطيئة الأصلية ؟ **إذن يجب أن يكون دخولها إلى العالم بنوع فائق وبقداسة سامية** . وكيف تكون مريم فتاة الله ، مهيأة لسكنى ملك الدهور لتجديد جبلة جنسنا ، إلا إذا كانت كاملة القداسة ومُنزهة عن كل خطيئة .

- " **يا حنة** ، إنك ستصيرين **زيتونة حسنة الثمر** ، **مفرعة غُصناً جميلاً** ، أعني به

---

(١) اليوم التاسع من كانون أول صلاة الغروب قطعة ٣

(٢) اليوم التاسع من كانون أول غروب كانين .

(٣) اليوم العشرين من تشرين ثان الأودية الخامسة .

البتول التي ستزهر الزهرة : المسيح بالجسد . " (١)

هذا الغصن يرمز إلى شخصية مريم ، وجماله يتمثل في جمال نفسها الفريد ، ويقوم في نقاوتها من كل خطيئة ، وخصوصاً براءتها من الخطيئة الأصلية .

- " إن الزوجين الموقرين قد أثمرا بالعناية الإلهية حمل الله الذي يُذبح عن العالم **فلنطوبها بقلوب مبتهجة بحبل المولودة منهما بحال إلهية أم إلهنا .** " (٢)

ولا يمكن أن يُحبل بمريم بحال إلهية إلا إذا كان الحبل بها مُنزهاً من كل خطيئة .

- " اليوم نشأ من جذر داود برفيرة ملوكية ، وأخذت تنبت من نسل يسى الزهرة السرية التي أزهر منها المسيح مخلص نفوسنا " (٣)

" اليوم تقام في بطن حِنَّة - بإلهام الله مبدع الكل - السماء الجديدة التي أشرقت منها شمس لا تغرب " (٤) ففي هذا التعبير الجميل " **سماء جديدة تقام في بطن حنة** " دلالة صريحة وواضحة على قداسة مريم وبالتالي على براءتها من كل خطيئة منذ لحظة الحبل بها .

- لقد حبلتِ يا حِنَّة المتألهة اللب بالينبوع المقتبل الحياة، فافرحي الآن طرباً، باقتبالك داخل أحشائك الهيكل المقدس، بينما أشرق عليك نور البر . (٥)

- إن مصاف الأنبياء قد سبق فأنبأ قديماً **عن النقية والبريئة من العيوب** ، الإبنة فتاة الله ، التي حبلت بها حِنَّة وهي عقيمة ، عادمة الثمر ، فلنطوبها اليوم بقلوب مبتهجة لأنها **وحدها بريئة من كل العيوب** . (٦)

وفي هذا التعبير نجد صدى خاص للإنعام الفريد الذي أُعطيَ لمريم ، وهو براءتها من الخطيئة الأصلية ، فمريم وحدها ، هي التي وُجدت منذ أول لحظة من كيانها معصومة من هذا النقص الأدبي ومن كل العيوب .

---

(١) اليوم التاسع من كانون أول صلاة المساء أبوستيخن على اللحن الخامس .

(٢) اليوم التاسع من كانون أول صلاة المساء أبوستيخن على اللحن الخامس .

(٣) اليوم التاسع من كانون أول صلاة المساء كانين أبوستيخن .

(٤) اليوم التاسع من كانون أول صلاة السحر كاتسما أولى .

(٥) اليوم التاسع من كانون أول صلاة السحر الأودية التاسعة .

(٦) اليوم التاسع من كانون أول صلاة السحر دوكصا كانين .

- يا آدم تجدد ويا حواء إبتهجي، لأن الأرض القاحلة الجدباء (حنَّة) قد أخصبت **فأثمرت ثمرة فائقة النضارة** ، الفتاة التي أزهرت للعالم سنبلة الخلود . (١)

ونتساءل كيف يمكن أن تكون مريم ثمراً حسن النضارة ، إذا كانت الخطيئة قد أفسدته؟ وكيف تُزهر سنبلة الخلود وقد خضعت لحكم الموت ؟

وكيف " **تزيل بميلادها اللعنة التي وجبت علينا** " (٢) بسبب آدم لو أنها خضعت مثل آدم لحكم اللعنة ؟؟؟

ومدلول الصلوات في الليتورجية البيزنطية ينطق بنقاء مريم وقداستها ، لذا يهتف جميع البشر قائلين : " أيتها الفائقة القداسة والدة الإله خلصينا ".

- لقد قيلت فيك التماجيد في أجيال الأجيال ، يا والدة الإله مريم ، يا من سعتِ في حشاك الإله الكلمة ، ولبثت عذراء نقية ، فلذلك نبجلك كلنا يا حمايتنا بعد الله . (٣)
وقداسة العذراء السامية تترنم بها الكنيسة منذ القدم : " أيتها السيدة **النقية، الطاهرة ، العذراء ، العادمة العيب ، البريئة من الأدناس** " . (٤)

- أيتها البريئة من كل عيب ، إن الخليقة بأسرها تصرخ للرب بالتسبيح الواجب ، وتهتف إليك مع جبرائيل الملاك قائلة : إفرحي يا أم الإله ، **التي بها نجونا من اللعنة القديمة ، ونلنا عدم الفساد** . (٥)

- " أيتها الطاهرة ، إن الكلمة الخالق لما رآك **مُنزهة وحدك عن كل عيب** ، سكن في حشاك ، صانعاً لنا خلاصاً بالنعمة لأجل رحمته " (٦)

وهكذا تظل العذراء ، دائماً ممتلئة نعمة، منذ لحظة الحبل بها فهي " العطر الزكي التي

---

(١) اليوم التاسع من كانون أول صلاة السحر كاتسما أولى كانين .
(٢) اليوم السابع من شهر أيلول كيرية غروب القطعة الثالثة .
(٣) اليوم الثامن عشر من شهر كانون ثان القانون الأول .
(٤) أنشين نوم الصغرى .
(٥) اليوم الحادي والعشرون من تشرين ثان الأودية التاسعة .
(٦) اليوم الحادي والعشرون من تشرين ثان الأودية الرابعة .

تقبلت طيب الحياة (١) ، **ولم يُشتم منها رائحة الفساد** (٢) ، فإنها الملكة، **البريئة من العيب** " . (٣)

– يا حنَّة إننا نعيد اليوم لحبَلك . . إستجاب الله لإبتهال جدَّيك القديسين ومنحهما ثمراً . . إن حنَّة المجيدة الآن **تحبل بالنقية** والدة الإله " . (٤)

– " **أيتها النقية إنك تقدستِ لله قبل الحَبَل بك** . يا والدة الإله الدائمة البتولية وحدها ليفرح يواكيم وحنَّة لأنه ظهر منهما ثمر مقدس هو مريم ، المصباح الإلهي الحامل النور " (٥) وهكذا تبدو مريم نقية منذ الحبل بها ، وبالتالي فهي مُنزَّهة عن حالة الخطيئة الأصلية منذ أول لحظة من كيانها .

– " إن يواقيم وحنَّة الشريفين اللذين كانا عقيمين ، صليا إلى الله الواهب العطايا طالبَين نسلاً ، فاستجاب الله لصلاتهما ، ورزقهما الفتاة القديسة ، التي هي باب الحياة الحقيقية ، فلنكرم الحبل بها المقدس " . (٦)

ونحن لا نرى أي فرق أو خلاف في المعنى المقصود من التعبيرين :

الحبل المقدس – في الكنيسة البيزنطية الأرثوذكسية

الحبل بلا دنس – في الكنيسة الكاثوليكية .

فكلاهما يؤدي نفس المعنى، وهما متلازمان، ويشيران إلى طهارة مريم وبرارتها التامة، مما يستوجب معه نقاؤها من كل خطيئة أصلية أو فعلية .

ويمكن تصنيف وتجميع النصوص الطقسية في الليتورجية البيزنطية في ثلاث نقاط تتكامل فيما بينها فتجعل للعيد موضوعاً شاملاً :

---

(١) اليوم التاسع من كانون أول قانون ٧ – ٣ .

(٢) اليوم الخامس عشر من شهر آب قانون أودية ٦ – ٢ .

(٣) اليوم الثامن من شهر أيلول أبوستيخن قطعة ٣ .

(٤) اليوم التاسع من كانون أول صلاة السحر الأودية الأولى .

(٥) اليوم الحادي والعشرون من تشرين ثان صلاة السحر .

راجع أيضاً اليوم الثالث والعشرون من تشرين ثان ، صلاة السحر، كاتسما على اللحن الرابع .

(٦) اليوم التاسع من كانون أول، صلاة السحر، الأودية الثالثة كانين .

١- البشارة :

- جاء ملاك الله إلى يواكيم وحنّة وبشرهما باستجابة صلواتهما " أيها الرب الإله لقد إستجبت طلبة جديك الصديقين ، وأتممت رغبتهما المقدسة ومنحتهما ثمرة ، هي والدتك النقية " . (١)

- " إن حنة العفيفة إذا كانت تصلي بإيمان سَمعت صوت الملاك محققاً لها إستجابة طلبتها فخاطبها علانية : إن طلبتك قد بَلغت الرب ، فلا تحزني بل كفكفي الدموع لأنك ستصيرين زيتونة حسنة الثمر ، مخرجة غصناً بهياً " . (٢)

٢- أعجوبة الحبل الذي تمّ في حشا عقيم :

- " إن حنة هتفت قديماً وهي تصلي من أجل ولد ، صارخة نحو خالق الكل : يا أدوناي الصباؤوت ، أنت عارف عار العقم ، فأزل ألم قلبي ، وافتح مسالك أحشائي، واجعل العادمة الثمر مثمرة " . (٣)

وهكذا يكون موضوع هذا العيد تقديم آيات الشكر لله على المعجزة التي صنعها مع يواكيم وحنّة ، فتردد الكنيسة معهما صدى هذه الأعجوبة قائلة : " **إن الذي أخرج من الصخرة ماء ، قد منح جوفك يا حنّة ثمرة** ، هي السيدة الدائمة البتولية التي سيأتي منها الخلاص . . فلا تكونين بعد كأرض عادمة الثمر ، لأنك **ستلدين أرضاً تثمر سنبلة الحياة** " . (٤)

وتعبّر حنّة عن شعورها العميق بالشكر لله على جزيل نعمه قائلة :

إفرحوا معي يا جميع قبائل إسرائيل ، لأني **حملت في أحشائي السماء الجديدة** التي عما قليل يَبزغ منها كوكب الخلاص أعني يسوع الواهب الضياء . (٥)

٣- نتيجة الحَبَل المقدس هي ولادة مريم بطريقة مقدسة وبحال فائقة :

والحَبَل بوالدة الإله وميلادها قد شغل المقام الأول في فكر الآباء ، فأنشدوا لحَبَل حنّة لأنها حبلت بثمرة **سوف تفتح باب الفردوس بالنعمة** " . (٦)

(١) اليوم التاسع من شهر كانون أول قانون أودية ١ - ٢ .

(٢) اليوم التاسع من شهر كانون أول أبوستيخن قطعة ٢ .

(٣) اليوم التاسع من شهر كانون أول أبوستيخن قطعة ١ .

(٤) اليوم التاسع من شهر كانون أول غروب قطعة ثانية .

(٥) اليوم التاسع من شهر كانون أول قانون ٨ - ١ أودية ٣ . ٤ .

(٦) اليوم التاسع من شهر كانون أول قانون أوديه ٣ - ٢ .

ولما كان باب الفردوس قد أغلق بسبب الخطيئة الأصلية ، فإن مريم هي التي تفتحه بالنعمة لأنها تسمو على كل خطيئة .

والنصوص التي تمجد مريم في الحبل بها وفي ولادتها العجيبة عديدة ومتنوعة نذكر منها :

- . . أيتها الطاهرة إننا نعيِّد ونسجد **بإيمان لميلادك المقدس** الصائر بوعد الذي خلّصنا من شجب آدم القديم . (١)

- أيتها البتول مريم أنتِ وحدكِ ولدتِ الإله، **وجدّدت بميلادكِ الطبيعة معتقة حواء من اللعنة** يا أم الإله الطاهرة . (٢)

- لتبتهج السماء ولتفرح الأرض لأن **سماء الله قد وُلدت حسب الموعد** . . ومنها نَبُتَ المسيح الزهرة من أصل داود . (٣)

- يا والدة **الإله البريئة من كل العيوب** ، لقد أظهرك إبنك أعلى سموأ وأرفع شأناً من كل الخليقة معظّماً مولدكِ من حنّة ومُفعماً الجميع إبتهاجاً . " (٤)

- أيتها البتول الطاهرة ، **إن ميـــلادك كـلي الطهارة** ، **والحَبَل بك غير موصوف** . . إن حواء قد أُعتِقَتْ بميلادك من الحكم ، **وآدم إنحلَّ من اللعنة** القديمة صارخاً : **بك يا طاهرة قد نجونا من الفساد** . (٥)

- **ما أعظم عجائب ولادتك التي تسمو على طور العقول** ، أيتها الأم المباركة الكلية النقاوة (٦) !

- . . يا كلية النقاوة إن طغمات الملائكة **قد إندهلت من مَولدك العجيب** ، وعقول الآنام قد إندهشت فلذلك نعتقد بإيمان إنك والدة الإله . (٧)

---

(١) اليوم الثامن من شهر أيلول الأودية السابعة .

(٢) اليوم الثامن من شهر أيلول الأودية السابعة كانين .

(٣) اليوم الثامن من شهر أيلول صلاة السحر.

(٤) ، (٥) اليوم الثامن من شهر أيلول صلاة السحر .

(٦) اليوم السادس من شهر كانون ثان الأودية التاسعة .

(٧) اليوم الحادي عشر من شهركانون ثان الأودية الثالثة .

- أيتها البتول " **إننا نكرم مولدك المقدس، أيتها البريئة من العيب** ، بما أنك قُدس القديسين .[1]

- " **يا حنَّة لقد شرع ينسج في جوفك برفيرة ملوكية** التي إذ تسربل بها الإله ملك الكل يظهر للآنام ويقهر الأعداء . . **يا حنَّه لقد حَمَلتِ في جوفكِ العِطرَ الذكي العرف** " .[2]

- أيتها البتول النقية ، اليوم تُكتَبُ في بيت الله بروح القدس إشارات صيرورتك أمّاً لله **وميلادك الفائق العقول** .[3]

- " **إن ميلادك بريءٌ من العيب** ، أيتها البتول البريئة من العيب **والحَبَل بك غير موصوف** " .[4]

وفي مضمون هذا النص شهادة واضحة، تعبِّر في صراحة وعُمق عن مُعتقد الكنيسة البيزنطية عبر الأجيال ، فإن العذراء إذ تبررت وتقدَّست منذ اللحظة الأولى لكيانها ، كانت دائماً مباركة ، فهي " **البريئة من كل العيوب أم إلهنا** " ولا يمكن أن نفترض فيها أدنى عيب أو أقل دنس في النفس أو الجسد فإنها " **علَّة حياتنا وإضمحلال اللعنة** " .[5]

وكيف تكون إضمحلال اللعنة لو كانت قد تلوَّثت لحظة واحدة بالخطيئة ؟

وكيف تكون تجديد آدم وحواء وهي تحتاج إلى تجديد ؟

- ثم يكمل النص مؤكداً إختيارها منذ الأزل لتكون في الزمن أمّاً للإله المتجسد :

" اليوم تهتف حنِّة قائلة : يارب لقد سمعتَ صلاتي ، ومَنَحتني ثمرة الموعد ، التي هي **والدتك الطاهرة النقية ، السابق تحديدها بين سائر النساء قبل جميع الأجيال.**[6] والكنيسة في صلواتها تدعو المؤمنين ليكرموا " الحبل بمريم المقدس "، فإنها قد تمتعت **بالحبل العجيب**

---

(١) اليوم الثامن من شهر أيلول الأودية السادسة .

(٢) اليوم التاسع من شهر كانون أول الأودية ٧ - ٢ .

(٣) اليوم الحادي والعشرون من تشرين ثان الأودية الخامسة .

(٤) قانون القديس إندراوس الأقريشطي ٨ أيلول أودية ٥-٢ .

(٥) اليوم الثامن من شهر أيلول أبوستيخن قطعة ٢ .

(٦) قانون القديس إندراوس الأقريشطي ٨ أيلول أودية ٤-٣ .

الذي صار من قبل الله وتم **بحال إلهية** ، فلنكرم الجبل بها المقدس " .[١]

والطقس البيزنطي يتمتع بكثير من الصلوات التي تسمو بالعذراء مريم فوق طغمات الملائكة ، فهي " أكرم من الشاروبيم وأرفع مجداً بغير قياس من السارافيم " ومهما تسامت هذه الطغمات في الطهر والنقاء فإن مريم تفوقها جميعاً .

- " أيتها البتول لقد **ظهرتِ أسمى من الشاروبيم** ، **وأرفع من السارافيم** ، وأرحب من السموات وأرفع سمواً من جميع المخلوقات . "[٢]

- " لقد ظهرتِ **أرفع من الشاروبيم والسارافيم** يا والدة الإله النقية ، **البريئة من الأدناس** ، فإنك أنت وحدك إقتبلتِ في حشاكِ الإله الغير محدود في مكان ، فلذلك نطوبك نحن المؤمنين جميعاً بالتسبيح " .[٣]

- " أيتها النقية ، **إنك أنت تابوت الله الحي ، الذي لا تلمسه يد مدنسة** ، إن شفاه المؤمنين تمدحك يا أم الإله بغير فتور هاتفة قائلة : أيتها النقية **إنك بالحقيقة أرفع سمواً من جميع المخلوقات** . "[٤]

وتبتهج الكنيسة مرنمة " لنضرب القيثار الروحي في موسمنا هذا البهي لأن فيه قد وُلدت أم الحياة فأزالت الظلام بما أنها ينبوع عدم الفساد ، وتجديد آدم وحواء التي بها تألهنا ونجونا من الموت . "[٥]

- السلام عليكِ يا كوكباً يسطع كالشمس، السلام عليك يا ينبوع كل الخيرات.
- السلام عليكِ **أيتها الفتاة البريئة من كل العيوب** ،
- السلام عليكِ يا من وسعت الإله الغير المحدودْ وأنبتتْ سنبلة الخلود .
- السلام عليكِ أيتها المركبة الإلهية والباب النير المضيئ .

---

(١) كانين بعد الأودية الثالثة .

(٢) اليوم الحادي والعشرون من تشرين ثان أودية ٩-٢ .

(٣) اليوم الثامن عشر من كانون ثان الأودية الثالثة .

(٤) اليوم الحادي والعشرون من تشرين ثان الأودية التاسعة .

(٥) اليوم الحادي والعشرون من تشرين ثان كانين .

- السلام عليكِ يا **ناقضة لعنتنا الجدّيه** وجالبة الخيرات .
- السلام عليكِ أيتها السيدة ، **يا مصباحاً أبهى نوراً من أشعة الشمس ،**
- السلام عليكِ أيتها السيدة الطاهرة ، **يا حِل البشر من اللعنة القديمة** ، ورجاء اليائسين ، وتجديد جبلة جنسنا .
- السلام عليكِ يا بلاط ملك الكل البهي الفاخر والجبل الأمين الذي برز منه فادينا .
- السلام عليكِ يا مصباح كلمة الإله .
- السلام عليكِ أيتها المنارة النيِّرة ، السلام عليك أيتها العرش الناري . [١]

وهكذا تبدو مريم مُبَدِّدةً لظلام الخطيئة ، وفاتحة لينبوع عدم الفساد ، ينبوع النعم والبركات ، فهي الممتلئة نعمة كقول الملاك لها " السلام لك يا ممتلئةً نعمةً ، الرب معك . (لو ١ : ٢٨)

ولو كانت العذراء قد تلوثت بالخطيئة الأصلية لما إستطاعت أن تكون تجديد آدم وحواء وعلة حياتنا ، فهي إذن " **النقية التي تقدست لله قبل الحَبَل بها** . " [٢]

وبذلك يمكنها أن " تسحق رأس الحية ولا تلمسها يد مدنسة " [٣] ، هذه العذراء التي لا تمتد إليها الخطيئة هي " **السيدة التي وحدها تعلو على الجميع** . " [٤]

وهكذا يبدو واضحاً من الرمز والإشارة والإستنتاج ومقارنة النصوص ببعضها ، أن الحَبَل بمريم كان بريئاً من كل دنس ، ومنزّهاً عن كل عيب ، جدير بالتمجيد فتترنم لها الكنيسة " **أيتها النقية إنني أمجد الحبل بك وأعظم مولدك الفائق الوصف** " . [٥]

لِمَ هذا التمجيد للحَبَل بالعذراء ؟ وكيف يكون مَولدها فائق الوصف لو كانت قد وُلِدَتْ بالخطيئة الأصلية مثل سائر البشر ؟

---

(١) اليوم الخامس عشر من شهر كانون ثان صلاة المساء الكانين لوالدة الإله .

(٢) اليوم الحادي والعشرون من تشرين ثان كاتسما ثانية .

(٣) اليوم الحادي والعشرون من تشرين ثان تاسعة - ١ .

(٤) اليوم التاسع من كانون أول قانون ثان ١-٤ .

(٥) اليوم العشرون من تشرين ثان قانون ٥ - ٦ .

والنتيجة إذن :

ان مريم العذراء هي الفريدة بين النساء المغمورة بالنعم الإلهية ، فإنها ينبوع النعم وموزعتها ، ولا يمكن أن تكون مريم ينبوع النعم والبركات إذا كانت الخطيئة الأصلية قد إقتربت من نفسها أو جسدها ولو للحظة ما . فإن محبة الله لأمه جعلته يتدخل بنوع خاص ، وبوسيلة فريدة ليُقدِّس الحَبَل بها لأنها مُزمعة أن تكون بالحقيقة أم الله .

فقد هيأها مسكناً لائقاً به ، وأصبحت مريم حسب التعبير الطقسي : " إبنة الله، الكلية القداسة ، الفردوس الذي غرسه الله نفسه، الخدر الكلي الجمال ، عرش الله العلي الذي إستقر فيه بالجسد . "

الفصل الثاني

صوت الكنيسة السريانية

كانت الكنيسة السريانية تحتفل قديماً بعيدي ميلاد العذراء مريم وبراءتها من الخطيئة الأصلية في يوم واحد ، لذلك فإنك تجد في الصلوات الطقسية التي تُتلى في ذكرى ميلاد العذراء ما ينطق صراحة ببراءتها من كل خطيئة ومثال ذلك :

" إن صلاتها (صلاة حِنّه) طارت إلى السماء ، **وللحال حَبلت حِنّه بمريم بالبر بعد زمن** العقر " .

وفي أدعية القديس يواكيم يقال : " ورأى الله الرحيم بؤس يواكيم ولبى دعاءه، **وللحال حَبِلت حِنّه الصالحة بمريم البتول الطاهرة البارة** .

ولآباء الكنيسة السريانية تصريحات قوية عن عظمة مريم وشرف بهائها فقد صرحوا :

بأنها " **أكرم من الشاروبيم والساروفيم** وأرفع سمواً من جميع الطغمات السماوية " .

وأنها لؤلؤة يتيمة **لا درن فيها أصلاً** .

وأنها **هيكل طاهر** نقي إستقر فيه يسوع إبنها ، رب القداسة.

وأنها **تابوت العهد وجزّة جدعون** ، **وعرش الله العلي** .

وأنها **أم الحياة والخلاص** ، **السماء الثانية** التي حلّ فيها رب السموات .

وأنها **ينبوع القداسة الفيّاض** ، لأنها محت لعنة آدم وحواء، وأعادت إليهما وذريتهما البرارة الأولى .

ومن أجمل ما قيل في مديح العذراء البريئة من الخطيئة الأصلية ما تغنى به آباء هذه الكنيسة :

١ - القديس إفرام السرياني كنّارة الروح القدس (+٣٧٣)

يوجه كلامه إلى العذراء البريئة من كل خطيئة قائلاً :

" طوبى لكِ إذ قد زالت بكِ اللعنة التي ألحقتها حواء بالإناث . " [1]

" فليبكت إبليس خزياً إذ أن فساده معدوم في مستودعك " . [2]

وفي باكورة قصائده المشهورة بقصائد نصيبين [3] يخاطب المسيح والعذراء قائلاً :

" إنكَ أنتَ وأمكَ وحدكما تسموان حُسناً وتفوقان الجميع ، إذ لا عيب فيكَ ، **ولا شائبة في أمكَ** . "

ثم يكمل : " نسجت مريم حُلة المجد ووشحت بها أباها الذي تَعرّى بين الأشجار ، وسَترت عُريه ، حواء إمرأته أسقطته ، **والعذراء إبنته أنهضته** ، فانتصب فرحاً مسروراً "

ثم إستطرد : " فيكَ يا ربي وفي أمك إجتمعت الكمالات بأسرها فلا عيب فيكَ **ولا شائبة في أمك** . لقد أحرزت يا يسوع **أنت ووالدتك البهاء كلّه لأنكما وحدكما مُنزهان عن كل خطيئة** " .

- وفي مقابلة بين حواء ومريم يقول :

إثنتان طاهرتان : حواء ومريم ، فكانت الواحدة علّة موتنا والأخرى علّة حياتنا "

- وفي نشيد للعذراء يقول :

" إن مريم هي أبهى حديقة خلقها الله على الأرض ، فلم يغرس فيها شجرة معرفة الخير والشر ، ولم تَسرِ في أرجائها الحيّةُ القاتلة ، ولم تهلك حواء في رحابها ، لاح المخلص من مريم وأعاد المنفيين إلى السماء . " [4]

- وفي مديح للعذراء في عيد إنتقالها إلى السماء يقول :

" مرحباً بنفس نقية لم تتلوث قط بالخطيئة ،

---

(١) في مدارش تهنئة العذراء بميلاد الرب .

(٢) في مدارش البتولية .

(٣) هذه القصائد نشرها الأستاذ / غوستاف بيكل الألماني سنة ١٨٦٦، وصرّح في المقدمة أن أقوال مار إفرام عن الحبل بالعذراء مريم منزهة عن الخطيئة الأصلية، هي التي حملته على الإنتماء إلى الكنيسة الكاثوليكية سنة ١٨٦٥.

راجع أيضاً Opera graece et Latina, Carmina nisibina Ed Bichell p.121.

(٤) فنقيط ١ : ١٣١ ، راجع أيضاً مجلة المشرق سنة ١٩٥٤ صفحة ٢٧٢ .

مرحباً بجسد طاهر ونقي أعاد الحياة إلى آدم الشقي،

إن الروح القدس **قد أعفى مريم من لعنة آدم الأول ، لأنها لم تفتح قط باباً للخطيئة** [1] . وقد أشادت الكنيستان اليونانية والسريانية بفضائل العذراء مريم ، وإستخدمت في ذلك العبارات الذهبية التي ترنم بها القديس إفرام السرياني وأدمجوها في أنشودتهم الشهيرة : "بواجب الإستئهال حقاً نغبط . . . "

٢- القديس ربولا مطران الرها (٤١٢ - ٤٣٥) << أحد آباء مجمع أفسس>>

نظّم هذا القديس أناشيد وإبتهالات عديدة في مدائح للعذراء مريم نقطف منها ما له صلة بموضوعنا :

- أنشد في الإبتهال الأول :

" يحييكِ الجميع أيتها القديسة مريم والدة الإله ، يا كنزاً ثميناً ، ونبراساً لامعاً مضيئاً . . **يا هيكلاً طاهراً نقياً** لباري البرايا جمعاء ، لقد أذهلني رونقك الفائق البهاء . . . **لأنك فتحتِ ينبوع الخلاص** ، وإرتفعتِ أسمى من الملائكة ، وصرتِ أبهى من السماء .

- وأنشد في الإبتهال الثاني :

" عليك السلام يا مريم يا والدة الإله ، **أيتها العذراء الطهور** ، عليك السلام **ياسماء ثانية** مختارة من الآب الأزلي لتجسد الكلمة ، إننا نعظمك ، يا أم الله **المفعمة قداسة** ، وهل للسان الترابي أن يستوفي مديحك ، وقد قصَّر الملاك عينه في تعظيمك " ؟

- وأنشد في الإبتهال الثالث :

أصبحت يا مريم سبباً لخلاصنا ، ومجددة لعتقنا ، كيف يتيسَّر لنا أن نعظمك أيتها العفيفة ؟ **أنتِ وحدك فريدة في القداسة** ، **ومنك يتدفق ينبوع النعم والخيرات الذي يستقي منه جميع المؤمنين** .

- وفي الإبتهال السادس يقول :

" إن أمرك أيتها العفيفة قد أدهش الملائكة عينهم ، لأنك ولدتِ إبن الله وأنت باقية عذراء ، **إتخذ من طهارتك جسداً لينقذ آدم وذريته** .

---

(١) فنقيط ٦ : ٤٠٦ ، راجع أيضاً مجلة المشرق سنة ١٩٥٤ ص ٢٧٣ .

- وفي الإبتهال السابع يقول :

" إنحدر إبن الله إلى مستودع بنت داود فرفع رأس جنسنا ، **هو الذي محى من مريم لعنة حواء ووُلد منها** "

- وفي نشيد رائع وضعه على لسان العذراء، عبَّر فيه عن شعورها المفعم رقة وعذوبة وهي تتقدم بشكرها العميق إلى الله القدير قال :

" تتساءل العذراء قائلة : " من مثلي عزيزة ، قديرة ، حَمَلْت رب الملوك في أحشائي، ترنم بي القديسون والأنبياء الملهمون ، فكنت محور أسرارهم ومربط ألغازهم، رفعني الله أسمى من الملائكة ، وأقدس من السارافيم ، أنشأ فيَّ غصن الحياة والخلاص ، لذلك تطوبني الخليقة جمعاء . [(١)]

٣- مار إسحق السرياني الملفان (+ ٤٦٠) << أحد آباء مجمع أفسس سنة ٤٣١، ومجمع خلقيدونيا سنة ٤٥١ >> قال :

<< إستحقت السيدة العذراء كل الشرف والبهاء والجمال لأنها ترتفع على كافة الطغمات الملائكية ، اليوم يتهلل آدم رأس جنسنا **بمريم القديسة المباركة الجليلة** ، ملكة السلالة الآدمية ، **الطاهرة النقية ، التي لم يوجد في الأجيال أطهر منها جسداً أو أقدس منها نفساً.**

إن الجليلة في النساء (مريم) نالت نعمة الله بإصطفاءه إياها ليتجسد منها ، ويتأنس من قداسة دمائها ، فلم يكن في الأولين من يضاهي طهارتها ، ولا في الآخرين من يضارع قداستها ، فلنبادر إلى إكرام سيدتنا مريم ملكة طبيعتنا ، مادحين جمال طهارتها موقرين دوام بتوليتها ، مكرمين سمو قداستها قائلين :

<< يا فخر البنات ويا زينة الأمهات ، يا والدة لا زوج لها ، ويا بتول حاملة لولدها ، يا عجباً عجبت منه الأنبياء ، ومجدته الملائكة والقديسين .

إشفعي فينا يا من لا تُرَد شفاعتُها ، ولا تُمتنع طلبة من طلباتها ، **القريبة من اللاهوت الأزلي والثالوث العنصري ، الفائقة العلو على الكواكب الشاروبيمية ، والعالية السمو على**

---

(١) كتاب الفرض العمومي صفحة ٧٧ ، ١٢٧ .

الصفوف الساروفيمية ، لكي نصل بشفاعتك إلى التنعم بالخير الدائم في ملكوت السموات والسكنى في دار الحياة .>> [1]

٤- مار يعقوب النصيبي أسقف سروج (٤٥١ - ٥٢١) في أحد تسابيحه يقول :

" كيف أصف صورة البتول مريم الممتلئة من المحاسن ، إن الله قدّس جسدها ، فتشبهت بحواء أمها قبل أن تشتهي الثمرة المحرمة . "

وقال أيضاً : " قد إختار العلي لنفسه **بتولاً طاهرة سبق وحددها** ، **وصانها لذاته نقية** ، وشاء أن تكون **وحدها بلا عيب** ، **بريئة من كل دنس** ، فنزل وسكن فيها ، **هي الطوباوية المملوءة كمالاً** ، **الطاهرة بالجسد** ، المقدسة بالنفس . "

وفي قصيدة بديعة بعنوان " تمجيد العذراء الطوباوية والدة الإله " قال :

" العذراء هي السماء الثانية التي حلّ في مستودعها رب الأعالي ، ليقشع غياهب الظلام عن الأقطار، هي المباركة في النساء ، إستأصلت اللعنة من الأرض ، ووضعت حداً للعقوبة ، **هي العفيفة النقية الممتلئة محاسن** ، يعجز لساني عن التعبير عن أوصافها .

هي حواء الثانية التي **ولّدت الحياة للموتى** ، ومزّقت صكّ أمها حواء وكفّرت عنه، مدّت يدها إلى أمها العاثرة وأنهضتها من ورطة الحيّة القاتلة ، هي الإبنة التي نسجت حُلّة المجد ووشّحت بها أباها ، وتلافت عُريه بين الأشجار ، هي المقصورة البهية التي شادها الملك لنفسه وتنازل وتجسد منها . "

إني أمدح مريم متعجباً ، لا أدري إلى أي ذروة سامية إرتفعت ، هل إنحدر إليها إبن الله تكرُّماً وتفضُّلاً ، أم انها أعجبته فاصطفاها أمّاً له ؟ حقاً لقد هبط إبن الله العلي إلى الأرض تكرماً ، فرحّبت به مريم الكلية القداسة ، **فنظر إلى نقاوتها وطهارتها** وتواضعها وحل فيها .

ولو شوهدت عذراء أطهر وأنقى من مريم لحل في تلك وعدل عن مريم ، ولو وُجدت نفس أطهر وأقدس من نفس مريم لاصطفاها وأهمل مريم ، فقد نظر سبحانه إلى النساء كافة

---

(١) راجع مجلة المشرق سنة ١٩٠٤ صفحة ٢٧٥ - ٢٧٧ .

ومجلة المسرة سنة ١٩٥٤ صفحة ٢٧٥ .

وإنتقى منهن **أجملهن وأقدسهن** ، إنحدر من السماء وحلّ في **عذراء مجيدة في نفسها وفي جسدها** ، لا مثيل لها بين النساء ، عذراء متواضعة ، **مُنزهة عن كل خطيئة** ، إستحقت أن تكون أمًّا له .

رضي عزّ شأنه أن يستقر في **هيكل ينفرد بالقداسة** ، هو مستودع مريم المتلألىء بالبتولية ، فزيّنها بالمواهب الطبيعية والفائقة الطبيعة ، **فتنزّهت عن كل درن أو خطيئة ، وحُبلت منذ الحَبَل بها دون شائبة أو جريرة آدمية** .

إنها عذراء في جسدها ، قديسة في نفسها وروحها ، صارت أمًّا لإبن الله الأزلي **لأنها وحدها أطهر وأقدس من نساء العالم** .

أراد الأب الأزلي أن يختار أمًّا لإبنه الحبيب ، فاصطفى إبنة كلها محاسن ، مزيّنة من الداخل والخارج ، فريدة ومتميزة بجمال النفس والجسد .

إنفردت بتواضعها وطهارتها وإستقامتها ، فلو كانت نفسها مشوهة بأي دنس أو خطيئة لاصطفى بدلاً منها أمًّا منزّهة خالصة من كل شائبة .

إن جمال مريم يفوق كل جمال ، فلم يظهر في الدنيا بأسرها جمال أبدع وأروع منه ، **فإن الله** بواسطة روحه القدوس **جعلها طاهرة ومباركة كما كانت حواء قبل أن تخاطبها الحية** " . (١)

لقد مضى عهد البؤس والشقاء ، ولاح عهد الصلح والفداء ، فعوضاً عن حواء التي أثمَتْ بين الأشجار ، جاءت مريم وأصلحت ما أفسدته حواء ، فجدّدت البنيان الذي هدمته الحية ، ورفعت آدم من سقطته . . .

إن الحية لم تهدِ السلام لحواء لأنها لم تقصد إلا الغش والخداع ، أما جبرائيل الملاك فقد حيًا مريم بسلام الله وأبلغها بشرى الفداء والخلاص ، وبقدر ما إستوجبت حواء اللوم بسبب صمتها ، إستحقت مريم الشرف والثناء بحديثها مع الملاك .

ويختم مار يعقوب قصيدته البديعة قائلاً :

جلت مريم مثل رسالة مختومة إنطوت على أسرار الرب وغوامضه ، **فجسدها الطاهر**

---

(١) De vita et scriptis Jacobi Sarugi Lovani 1867 p.187-195 .

النقي الناصع البياض أصبح مسكناً لإبن الله ، فالإبن هو الكلمة ، والعذراء هي الرسالة التي سُجِّل فيه صك العفو والغفران لجميع المذنبين ، هنيئاً لها ، لأن جمال قداستها يفوق كل جمال، طوبى لها لأنها جدَّدتْ ذرية آدم وأنعشتها بعد سقطتها ، **سلام عليها لأن جسدها لم يتدنس قطعاً وأصلاً** . "(1)

براءة العذراء مريم والصلوات القانونية في الكنيسة السريانية :

يشمل كتاب الفرض القانوني في الكنيسة السريانية على تعبيرات تشع عذوبة وقوة في الإشادة بطهارة مريم العذراء وبراءتها من وصمة الخطيئة الأصلية نستخلص منها ما يلي :

صلاة يوم الإثنين :

" إن العذراء مريم هي حقل مبارك ، أينعت فيه سنبلة الأفراح . . **وهي لؤلؤة لا عَيبَ فيها** مدرجة في تاج الملك ، أينما توجهت لاح جمالها ، وظهر بهاؤها كالشمس ."

صلاة يوم الثلاثاء :

" إن مريم هي مقصورة الأقداس . . إنحدر إليها الملك وإستقر فيها . . إنها السماء الجديدة التي حملت الله الكلمة . . **بك يا مريم إقتلعت لعنة أمنا الأولى** . . وبك ظفرنا بالخلاص .

إنك يا مريم تضارعين عوسجة موسى . . **فالعوسجة تشير إلى جسدك الطهور ، وأوراقها التي لم تحترق تشير إلى حصانتك .**

صلاة يوم الأربعاء :

وقد خصَّصت الكنيسة السريانية يوم الأربعاء من كل أسبوع ، للإحتفاء بذكرى العذراء المجيدة ففي صلاة يوم الأربعاء يُقال :

" فليكن تذكار صالح في الأقطار الأربعة ، في الكنائس والأديرة ، للعذراء مريم الطاهرة ، الفائقة القداسة ببتوليتها ، استحسنها ملك الملوك ، وانحدر واستقر في مستودعها . . تشبه العذراء سحابة كثيفة وسماء جديدة لاح فيها شمس البرارة .

إنها مركبة لحمية حَمَلَت حامل السموات والأرض ، المجد للآب القدوس الذي أرسل إبنه

---

(1) راجع مجلة المسرة سنة ١٩٥٤ صفحة ٢٧٦ - ٢٧٧ .

القدوس **فانحدر وحلَّ بالقداسة في حشا مريم الطهور الأقدس** . هنيئاً لك أيتها المقصورة الحافلة بالمفاخر ، حملتيه وأنت بكر، ولدتيه ولبثت طاهرة نقية . . **أصبحت يا مريم سماء ثانية إستقر فيها ابن الله القدوس** . . تجسدتَ يا كلمة الله الحي بإرادتكَ من مريم المغبوطة **المنفردة بطهارة نفسها وقداسة جسدها** .

رحبًت مريم بالنعم السماوية ، وأثمرت باقة الأفراح ، وعمًت كل البرايا .

صلاة يوم الخميس : تهتف البرايا قائلة :

" السلام لك أيتها العذراء والدة الإله **المفعمة بمحاسن القداسة** ، إبتهلي إلى إبنك ليمنح الكنائس والأديره أماناً وسلاماً ،

السلام لك **يا أجمل النساء المفعمة محاسن** ، يا درراً منثوراً على البرايا .

السلام لك **أيتها البرارة التي لم تتشوه قط بوصمة الخطيئة** .

صلاة يوم الجمعة :

" لم يظهر قط بين العذارى في الأجيال بأسرها مثل مريم ،

إن جمال نقاوتها وطهارتها يفوق الذهب الإبريزي قدراً ،

سلامٌ لك **يا درًة نقية لا عيب فيها ولا دنس** ،

نظر الملك إلى **عفافك وطُهرك** فانحدر وتجسد منك ،

ليعتق آدم وذريته من عبودية الخطيئة . "

صلاة يوم السبت :

شبهك موسى بالعوسجة ، وداود بتابوت العهد ، وجدعون بالجزًة ، ويعقوب بسُلَّم ارتقى فيه البشر إلى السماء ،

لأنك أصبحت **يا مريم الباكورة التي تسلسل منها الخلاص** ،

فلنسبح الآب الذي سبق فاصطفاك منذ القِدَم أمًاً لإبنه الحبيب ،

ونشكر الإبن الذي شاء وتجسد منك ،

ونمجد الروح القدسَ الذي حلَّ عليك وإتخذ منك مسكناً له .

لاحت العذراء سماء جديدة فيها لمع شمس البرارة وأضاء المسكونة

وسحق ظلام الضلال ، تبارك الذي إتلد منها وعزز تذكارها .

وفي مديحة مريمية تتغنى بها الكنيسة السريانية :

كيف أدعوكِ يا مريم الطوباوية ، يا والدة الإله البتول ، **أيتها السحابة المتجسدة، يا سماء سطع فيها شمس البر ، يا مركبة جسدية حملت حامل السماء والأرض** . ياآمة صارت أمّاً لربنا كما شاء هو ، يعجز اللسان عن وصف أمجادك أيتها البتول القديسة مريم والدة الإله ، لقد فُقت مركبة الكاروبيم .

وكما شبّت النار في العليقة، والعليقة لم تحترق ، هكذا حلّ الله وسكن في البتول ، طاب له فوُلد منها ولم يزل ختم بكارتها .

يا تابوت الأسرار ، يا إناء روحياً إزدان بماء الحياة ، **أيتها المدينة المحصنة** التي تكلم عنها داود ، لقد أشرق الله من حشاكِ .

طوباك يا أم الله لأنك ولَدت ببتوليتك من يرتعد أمامه الكاروبيم والساروفيم ، وعلى ذراعيك حَمَلتِ من يحمل الأرض والسماء في قبضته ، وإلى صدرك تضمين طفلاً رضيعاً هو أقدم من الزمان . . طوباك يا من صرتِ سماء ثانية حلّ فيها الرب الذي منذ البدء أسّس الأرض ، ونفخ في آدم نسمة الحياة ، ومنك يا إبنة داود تجسد بسر عجيب ، طوباكِ لأنك إحتضنتِ جبار العالمين الحامل الأرض بقدرته الخفية ، طوباك يا من وضعتِ فمك الطاهر على شفتي من يحتجب الساروفيم من هيبته . . ونحن أيضاً نمجدكِ أيتها المتعالية فوق العالمين ، وبين يديك نضع إبتهالاتنا وتضرعاتنا لترتفع وتختلط بصلواتكِ الزكية ، وبتقديسات القوات الملائكية ، حتى يمنحنا الرب رحمة وحناناً وخلاصاً فنحتفل في غربتنا بأعيادك الحبيبة . . ونمجدك بالمدائح اللائقة .[1]

---

(١) فنقيط ٢ / ٥١٤ ، ٥١٥ ، ٥١٦ ، ٥١٣ .

الفصل الثالث

صوت الكنيسة الكلدانية

إن آباء هذه الكنيسة الأولين هم أنفسهم آباء الكنيسة السريانية ، أمثال القديس إفرام السرياني ، القديس ربولا مطران الرها ، ومار إسحق السرياني ومار يعقوب النصيبي أسقف سروج الذين سبق أن أوردنا شهاداتهم ، فأقوالهم حُجَّة يستشهد بها الكلدان أنفسهم فلا حاجة إلى التكرار .

وهذه بعض نصوص أخرى أوردها الكلدان في مؤلفاتهم ، نقتبس منها تسبحة القديسَيْن يواكيم وحِنَّه أبوي العذراء ، جاء في آخرها :

" إن الملاك بشر حِنَّة بميلاد العذراء **فحبِلت حَبَلاً وقف منه إبليس مبهوتاً** " . . . **لم تسقط الإبنة (مريم) في فخاخ الشيطان** ، ولم يعمل فيها مكره وخبثه ، **ولم يستطع العدو مع كل قواته أن يمس برارتها بظفره** . "

وللجاثليق إيليا الثالث المعروف بأبي الحليم بن الحديثي أوصاف عجيبة تؤكد إعتقاده بتنزيه مريم العذراء عن الخطيئة الأصلية فيقول :

" السلام عليك أيتها السماء الثانية التي لمعت في أرجاء الأجواء ، بوادر الرحمة ظهرت في أحشائك بالجاه والعز والعظمة .

السلام عليك أيتها الجزَّة السماوية التي بعبيرها عطَّرت أرجاء السماء ، ياصديقة الحكمة السماوية التي نَبَتَت على جداولها شجرة الحياة .

السلام عليك يا فردوس النعمة الروحاني التي أنجبت آدم الثاني لإتمام الخلاص .

السلام عليك يا مقصورة الرحمة .. وقُدس الأقداس .. أنتِ هيكل الهياكل الذي لم تطأه أقدام البشر ، فيكِ حلَّ الإله بالرضى والمشيئة والإنعام المبتكر .."

وفي القرن الثالث عشر ظهر مخطوط " الدليل الروحاني " للراهب يوحنا الموصلي جاء

فيه ما تعريبه :

" من يستطيع أن يُدرك بعقله ، أو يَصف بلسانه عظائم تلك **البتول الطاهرة ، العفيفة ، البارة ، القديسة ، الدائمة البتولية ، التي تبرَّرت منذ الحبل بها ، وتقدست من البطن ، واختارها الله من الرحم .** "

مباركة أنتِ يا جزّة رآها جدعون فعرف سرَّكِ ، لأن الندى الذي نزل عليكِ ، لم ينحدر على سـواكِ ، **والسَّيل الذي انصبَّ على كل الأمكنة فأفسدها ، لم ينزل عليكِ منه نقطة واحدة ..** " (١)

وفي ترنيمة كلدانية عريقة في القدم ، تترنم الكنيسة للعذراء قائلة :

" شجرة عجيبة حَمَلَتْ ثمرة يانعة
الأرض بأسرها تبجلها وترفعُها أمام الكل .
هي التابوت الحي ، حلَّ فيه آدم الحقيقي
مخلص البشرية من عبودية الشيطان .
هي الصخرة التي تفجَّر منها عين ماء ،
والشعب الأعمى الجاهل ، أغنته بكل علم
هي العوسج العجيب الذي إضطرم باللهيب
مدة تسعة أشهر كاملة حَملت الرب القدير .
هي العذراء التي تنبأ عنها أشعيا ،
أصبحت أماً للرب ابن العلي .
من لا يمدح طفولتها ؟ من لا يمدح صبوَّتها ؟
من لا يخصص نفسه عبداً لسلطانها ؟
أمامها جبرائيل إنحنى ، وبمهابة عليها سلَّم .
الويل للفم الذي لا يمدحها ، وللسان الذي لا يسبحها . "

<< من مدائح اليوم الثاني للميلاد . >>

---

(١) الدليل الروحاني المطبوع في روميه سنة ١٨٦٨ صفحة ٢٥١ ، ٢٥٧ ، ٢٦١ .
راجع أيضاً مجلة المشرق سنة ١٩٠٤ صفحة ٤٠٤ - ٤٠٥ .

الفصل الرابع

صوت الكنيسة الأرمنية

إن اعتقاد الكنيسة الأرمنية بعقيدة تنزيه العذراء مريم عن حالة الخطيئة الأصلية يظهر واضحاً وجلياً من إحتفال الأرمن بعيد الحَبَل بالعذراء مريم منذ القرن التاسع ، ومن الأوصاف البديعة التي يُكرم بها الأرمن السيدة العذراء منذ القدم ، تعبيرات جميلة إشتملتها كتبهم الطقسية ومنها كتاب التسابيح المريمية المطبوع في البندقية باللغتين الأرمنية واللاتينية سنة ١٨٧٧ نقتطف منه ما يلي :

- قال يعقوب الأول بطريرك الأرمن (+ ١٢٨٧) مادحاً العذراء في عيد ميلادها : " في هذا اليوم نبتت من حنّه تلك العوسجة أعني مريم العذراء التي اتقدتْ فيها النار الإلهية بنور لا يُدرك ، فرأى فيها موسى رمزاً عن البتول . "

- اليوم أثمر زواج يواكيم وحنّه وولدا **مريم بالنعمة** ، تلك الجزّة السماوية التي نزل عليها الندى فأمطرت النعمة وسال منها نبع الحياة . [١]

- " أنتِ هي الأرض الناطقة بالعظائم ، **والحقل الخالي من أشواك الخطيئة** ." [٢]

- ثم أردف : " أيها الكلمة الإلهي المولود من الآب قبل النور بلا والدة ، قد اخترتَ لك اليوم **أمّاً بريئة من الدنس** ، وُلِدتَ منها بلا أب . " [٣]

والقديس إغريغوريوس الثالث البطريرك (+١١٦٦) في تسابيح عيد البشارة يقول :-
" نعظمك **يا هيكل الله الطاهر من كل عيب** ، يا عوسجة غير محترقة ، حملتِ في أحشائك

---

(١) كتاب التسابيح المريمية سنة ١٨٧٧ صفحة ٢ .

(٢) كتاب التسابيح المريمية سنة ١٨٧٧ صفحة ٦ .

(٣) كتاب التسابيح المريمية سنة ١٨٧٧ صفحة ١٤ .

نار اللاهوت التي لا تُطفأ ، وأطفأت نار الرذائل في طبيعتنا البشرية . " [١]

- **أيتها الشجرة التي غرسها الله ، يا شجرة البخور** ، يا من نُقلتِ من البستان الفوّاح إلى مجرى جداول الروح القدس ، **فأثمرتِ ثمرة الخلود** .

إننا نشيد بكِ إلى الأبد ، فإن البرعم غير القابل للفساد نُقِل إلى حشاكِ ، وأصبح من جذر يسى - زهرة جميلة - بولادة بتولية .

إننا نشيد بكِ إلى الأبد لأن الذي إنبثق من كوكب النور ، قد أشعل فيكِ مصباح جسده ، فإستعاد صورته مجدداً إياها في شكل بشريته لذا كوني شفيعتنا لكي نتجدَّد معتقين من الخطيئة . [٢]

والتسابيح الطقسية في الكنيسة الأرمنيه تؤكد هذا المعتقد الراسخ فإنهم يلقبون مريم :

- السارافيم الأرضية (موسى الخوريني في القرن الخامس) . [٣]
- السارافيم المتجسدة (بطرس الأول البطريرك + ١٠٥٢) . [٤]
- بل أسمى من السارافيم :

" **يا والدة الإله المرتفعة فوق السارافيم ، أنت تابوت العهد وإناء الذهب والخباء السري** الذي نزل فيه كلمة الآب . " " موسى الخوريني . " [٥]

- **وأبهى من السموات** . (نرسي الكلاجي) . [٦]

- ومريم هي **الشجرة العطرية التي غرسها الله عينه** ، وجعلها على مجرى أنهار الروح ، فأثمرت في حينها ثمرة الخلود . " (موسى الخوريني) . [٧]

---

(١) كتاب التسابيح المريمية سنة ١٨٧٧ صفحة ٢٠ .
(٢) صلاة فرض الفجر للأحد الثالث من الصوم .
(٣) كتاب التسابيح المريمية سنة ١٨٧٧ صفحة ٦٤ .
(٤) كتاب التسابيح المريمية سنة ١٨٧٧ صفحة ١١٠ .
(٥) كتاب التسابيح المريمية سنة ١٨٧٧ صفحة ٦٤ .
(٦) كتاب التسابيح المريمية سنة ١٨٧٧ صفحة ٨٠ .
(٧) كتاب التسابيح المريمية سنة ١٨٧٧ صفحة ٧٨ .

- **هي التي أبطلت صكّ هلاكنا** ، وأقامت أمنا الخاطئة من سقطتها . [1]

وجاء على لسان أحد الكتاب الأرمن ما يزيد الأمر وضوحاً وهو غريغوريوس الناركي في القرن العاشر يتحدث عن مريم قائلاً :

" **الإبنة الطاهرة** للأم الأولى الجانية ، **الإبنة البريئة من جرثومة الخطيئة** ، والخالية من لعنة الجنس البشري " . [2]

- **يا زهرة غير ذابلة ، وذرية نقية** ، أشرقتِ من فرع يسى ، وتنبأ عنك أشعيا بأنك تقبلين نِعم الروح ذي الأنوار السبعة ، إننا نعظمك يا عذراء يا والدة الإله .

- يا أبناء صهيون رتلوا ترتيلاً جديداً في مَجد مَولد والدة الرب ، فإن التي وَلدتْ الأزلي ابن الآب ، وَلَدَتْها اليوم أحشاء عاقرة . فإن التي حَمَلت بأحشائها الذي لا يُحمَل ، بَزَغَت اليوم من فرع يسى ، باركوا التي أعطتنا النور . [3]

---

(١) كتاب التسابيح المريمية سنة ١٨٧٧ صفحة ٦٨ .

(٢) راجع مجلة المشرق سنة ١٩٠٤ صفحة ٤٠٠ .

(٣) كتاب التعليم المريمي صفحة ٣٥ .

الفصل الخامس

صوت الكنيسة المارونية

إن اعتقاد الطائفة المارونية بحَبَل مريم المنزَّه عن الخطيئة الأصلية أشهر من أن يُذكر فقد جاءت الشهادات في الكتب الطقسية مشيرة إلى قِدم هذا المعتقد في الكنيسة المارونية ، وقد تجمعت هذه النصوص في كتاب الفرض الماروني المعروف بـ " الشحيم " وفي كتاب الأعياد المعروف بـ " الفنقيط " ، وفي كتاب الخدمة المعروف بـ " التشمشت " .

أولاً: الشهادات المأخوذة من كتاب الفرض الماروني المعروف بالشحيم (١)

يخاطب الكاهن العذراء والدة الإله في صلاة ليل الأحد قائلاً :

" أيتها العروس البتول **والأم غير الدنسة** التي **بسمو محاسنها** صارت أماً لله " . (٢)

وفي ليلة الثلاثاء يقول :

" السلام عليك يا مريم بنت داود **المملوءة محاسن** . . السلام عليك **أيتها المدينة المحصَّنة التي لم تتسلط عليها الخطيئة** ، السلام عليك يا مقصورة ملك الملوك المزينة " . (٣)

وفي ليلة الخميس يقول :

" أيها الرب الذي أخلى ذاته وحلَّ بالمستودع البتولي الذي سبق فتقدَّس بالروح القدس، **مستودع الصبية التي لا عيب فيها** ، مريم القديسة والكلية المجد ، والدة الإله . . **تلك التي**

---

(١) من مؤلفي كتاب الفرض الماروني (الشحيم) القديس إفرام النصيبي السرياني (+ ٣٧٨) والقديس إسحق الكبير (٣٩٠ - ٤٦٠) والقديس يعقوب السروجي (٤٥٢-٥٢١) وغيرهم من آباء الكنيسة الذين عاشوا في هذه القرون الأولى .

(٢) صلاة العطر التي قبل باعوث القومة الأولى . (صلاة العطر أي صلاة البخور ، باعوث أي طلبة ختام الصلاة ، القومه الأولى أي الساعة الأولى . فيصير المعنى : " صلاة البخور التي قبل طلبة ختام صلاة الساعة الأولى " .)

(٣) صلاة بعد حسايه القومه الأولى (الحساي أي صلاة الغفران أو التحليل) .

تفوق السماء علاءً وارتفاعاً . " (١)

وفي ليلة الجمعة يقول :

" أيها المسيح الذي لأجل خلاصنا إتضع من علو عظمته ، **وحلّ في أحشاء البتول القديسة حلولاً لا يوصف ، تلك التي تطهّرت نفساً وجسداً** ، **وتقدّست بمنح الروح القدس** ، وتجلّتْ فوق الخلائق كلّها بالكلمة الحي الذي تجسّد منها . " (٢)

- ثم يكمل :

" الشكر للروح القدس الذي **جعلها (العذراء) مسكناً للاهوته** . " (٣)

وفي نهاية هذه الصلاة يقول :

" ونذكر بالأخص من هي فخر المسكونة بأسرها ، تلك التي صارت سماءً ثانية ، واستحقت الطوبى من جميع قبائل الأرض ، أعني بها البتول التي لا عيب فيها ، القديسة والدة الله مريم . " (٤)

ثم يردد هذا اللحن :

" نرتل للآب الذي أرسل ابنه إلى مريم ، **ونشكر الإبن الذي وُلد من نقاوتها** ، **ونسجد للروح القدس الذي حفظها بدون مضرّة . (خطيئة)** " (٥)

وفي ليلة السبت يقول :

" أيتها المباركة في النساء التي **بواسطتها استؤصلت لعنة الأرض** وحُكم اللعنة انتهى منها ، **أيتها العفيفة المملوءة من محاسن القداسة** ، التي لا يستطيع فمي الحقير أن يعطيها قدرها السامي وصفاً ، المجد للآب الذي اختار مريم من بين القبائل ، والسجود للإبن الذي

---

(١) صلاة حسايه القومه الأولى .

(٢) صلاة حسايه القومه الأولى .

(٣) في ختام باعوث القومه الأولى (أي في ختام طلبة ختام صلاة الساعة الأولى) .

وفي هذا النص دليل واضح على أنه لا وجود ولا قيام للخطيئة مع النعمة حيث مسكن اللاهوت.

(٤) الحساي الأخير في الصلاة (الحساي أي صلاة التحليل) .

(٥) بعد حسايه القومه الأولى من ليلة الجمعة .

أشرق منها ، والشكر للروح القدس الذي ملأها من غنى نعمته ووافر ثروته . "[1]

وفي ختام هذه الصلاة يقول :

" أهِّل كل هؤلاء لمراحمك ، بمحبتك للبشر ، أنعم لهم بغفران خطاياهم ، بواسطة صلوات جميع قديسيك وخاصةً تلك المباركة ، غير الدنسة ، الطوباوية ، والدة الإله مريم . "

ثانياً :الشهادات المأخوذة من كتاب الأعياد المعروف "بالفنقيط" [2]

١- جاء في حسًاية صلاة المساء لعيد ميلاد العذراء :

" ولم يحرم الله يواكيم من رجاء طلبته ، **فحَبِلت حنّه بالبرارة** ، بعد زمن العقريه... وطارت صلاة يواكيم إلى السماء ، **فحبلت حنّه بمريم بنقاوة** ."

٢- وفي اللحن الثاني من مساء عيد البشارة تُنشد الكنيسة :

" إن البتول الصبيه حواء التي أخذت من آدم ، أدخلت الموتَ على جميع القبائل بوسوسة الحية لها ، **أما البتـول مـريم فقد أدخلت الحياة الجديدة على البشرية ببشارة الملاك لها** ، فتلك (حواء) تعرَّت من مَجدِها في جنة عدن ، **ومريم نَسَجت لها حُلة المجد وستَرت عُريها** ... " .

٣- وفي صلاة الستار يقال :

" **أيتها الأرفع من الكاروبيم ، والأمجد من الساروفيم** ، أنت هي بلاط ملك الملوك المتنفس ."

---

(١) في باعوث القومه الأولى .

(٢) الكتابين المعروفين بالفنقيط الصيفي والفنقيط الشتوي هما مخطوطان عريقان في القِدم وقد طُبعا في روميه للمرة الأولى، الأول عام ١٦٥٦ والثاني عام ١٦٦٥ ، وفي كليهما صلوات تُتلى في أعياد السيد المسيح والعذراء مريم والقديسين ، ومؤلفو هذه الصلوات هم من النساك والحبساء القدماء، ويَشمل أيضاً بعض أقوال القديس أفرام وغيره من مؤلفي الفرض الأسبوعي ، وقد نُظِّم معظمها في القرن السابع غير متجاوزة القرن العاشر الميلادي .

٤- وبعد الحسّاية تُنشد الكنيسة :

" طار الملاك وانحدر وأعطى السلام لتلك النقية التي أختيرت لتكون خِدراً لخالق الكون " .

٥- وفي صلاة الليل تقول الكنيسة :

" ملاك من العُلا وصبِّية من آل آدم إلتقيا وصنعا سلاماً وأماناً ، ونقضا الحاجز المتوسط وأرضيا الآب الذي كان غاضباً على آدم ، وصالحا بين العلويين والسُفليين ، وهما ينشدان قائلين : " مبارك الذي زرع السلام في العالم . قلت : **فلو كانت العذراء تحت غضب الله لما استطاعت أن تُرضيه تعالى عن آدم وبنيه "** .

٦- وفي آخر الصلاة يرتلون :

خاطب الملاك العذراء قائلاً : " **إن حشاكِ مملوء قداسه لأنه مرسوم في اللاهوت** منذ القديم ، **والمكان المقدس عزيز جداً على الله أن يَحل به** . "

٧- وفي سوغيت [(١)] صلاة صبح عيد البشارة تترنم الكنيسة قائلة :

" كم هي **مملوءة من المحاسن** مريم لمن يتأمل فيها بتفطن ، ولما نظر الله إلى عظم طهارة نفسها ونقائها ، شاء أن يحلَّ فيها ... لقد حازت مريم قلباً نقياً ونفساً مُحبه لله ... **ومنحها تعالى جمالَ حواء قبل أن تُخطئ** ..." .

" إن الروح القدس قد اختار البتول أولاً ثم حلّ فيها كما حسُن لديه ... إن الله قد أعطى مريم مواهب الروح القدس إذ حلّ فيها . إن البتول المملوءة حُبّاً ، وُجدتْ جميلة عند الله، **وقد قدّس تعالى جسدها كما كانت حواء أمها قبل أن تَشتَهي "** .

٨- وفي حسّاي [(٢)] ستار عيد الميلاد يُقال :

" خاطب الآب الملاك جُبرائيل قائلاً : " قد تَأملتُ في النساء جميعاً ، وحَسُنَتْ مريم لديَّ أكثر منهن كافة ، **لأني رأيتها حائزة على القداسة والنقاوة والبتولية** . "

---

(١) "سوغيت" معناها أنشوده أو ترنيمة

(٢) الحساي معناها صلاة الغفران أو التحليل.

ثم يكمل :

" لذلك الذي حُبل به في الحشا الذي أتقنه باختياره ، **وحُبس في البطن (بطن العذراء) الذي خَلَقه نقياً ، وأشرق من الحُضن الذي برأه مقدساً ، ووُلد من البتول التي حفظها نقيه "** .

ثالثاً : الشهادات المأخوذة عن كتاب التشمشت [1]

أ- الشهادات الواردة في صلاة الوردية :

١- يُرنم هذا اللحن :

قد خلق الله بحكمته مريم البتول نقية ، ونظر إلى تواضعها العجيب فحل فيها ، **وملأ نفسها من المنح الإلهية والنعم المضاعفة وصنع بها العظائم وزينها بغناة** .

٢- وفي لحن آخر :

إذ شاء خالق الكون أن يَخلق خليقة تليق بعظمته ، شاء بتحننه **وخلق مريم بنت داود ، فكانت خاتمة عجائبه الخفية** " . . . **وزيَّن نفسها الكلية النقاوة بغنى النعمة** ، وبالفضائل السامية ، **وكمّلها بمَنَح الروح الإلهي ورفع مقامها فوق كل المخلوقات** . . . يا خِدر النقاوة ومَخدع اللاهوت قدِّمي عنّا الصلوات لإله الكل " .

٣- وفي السوغيت [2] هذه الأبيات :

ما أغنى قداستك بالفضائل أيتها الطوباوية **الكاملة المحاسن** ، يا بنت الآب ، وأم الإبن، وعروس الروح القدس المملوءة عجائب ، **يا كنز الخيرات والجمال ، وبحر المنَح الذي لا حدٌ له** ، قد تجمعت **كل هذه المحاسن فيكِ يا مريم** حتى أن العُلو والعُمق يستمدان الفضل منك .

٤- وفي صلاة نصف الليل تُنشد الكنيسة :

المجد لكَ يا أبا المراحم الذي اخترتَ مريم من كل البرايا **وملأتها نعماً ومواهب** ، وجعلتها سور المراحم لجميع القبائل .

---

(١) كتاب " التشمشت " أي " الخدمة " هو كتاب ضخم يحتوي على صلوات وإبتهالات للسيدة العذراء والقديسين في مناسبة أعيادهم .

(٢) السوغيت معناها أنشوده أو ترنيمة .

٥- وفي لحن آخر تهتف الكنيسة قائلة :

" يا عروس الروح القدس بَحر الحُب ، إنك أسمى من العلويين وممدوحة أكثر صفوف الملائكة لأنك صِرتِ مركبة لإبن الآب . "

٦- ثم يلحنون :

إنه لا يوجد على الأرض مَن يماثل البتول مريم ، ولا في العُلا من يُشابه والدة الإله ، لأنها مُرتفعة فوق الصفوف السمائية ، **ومباركة بين نساء العالم** ، لأنها ولَدت بأعجوبة الإله إنساناً .

٧- وفي صلاة الساعة الثالثة :

" يا مريم : إن الروح القدس قد أُعلن في نشيد الأناشيد عن الحَبَل بكِ بلا دنس، فقال : - " **كالسوسنَّة بين الأشواك كذلك خليلتي بين البنات** . " (نش ٢ : ٢)

٨- إن الله بمسرة قلبه إختارها منذ القديم ، **ورفعها فوق الملائكة ، وملأ نفسها نِعماً ومحاسن مبجَّله .**

ب - الشهادات الواردة في صلاة شرف العذراء (من كتاب التشمشت).

١- جاء في مقدمة الصلاة :

" نسجد لك أيها الآب القدوس ، يا من صوَّرت منذ الأزل إبنتك مريم النقيه ، وجعلتها سبباً لأفراحنا ، **وكوَّنتها وحَفَظتها من كل دَنَس أصلي وشرَّفتها بالمحاسن** . "

٢- **إن مريم وَحدها قَبِلت نعمة الروح القدس مُنذ وجودها في حشا أمها ، ونجَت من اللعنة العامة** التي حلَّت بنا بتجاوز الوصية الأولى بجسارة .

٣- **إن خالق الكل فضَّل البتول مريم** ، فاختارها من بين جميع النساء ، تلك التي تسامت بالفضائل على الملائكة والبشر ، لأنها ولَدت المخلص حقاً .

٤- **إن مريم نالت من إبنها الشرف والعظمة التي لا تُدرك** ، لأنها إقتربت منه أكثر من الطغمات السماوية والأرضية جميعها .

٥- وفي المرمايه [١] ورد :

" إبتهلي عنا أيتها البتول إلى عريسك السماوي **الذي خَلَقك إناءً نقياً** . "

٦- وفي فاتحة صلاة الستار جاء :

" أيها الإبن الوحيد الذي إخترت بحبك منذ البدء مريم البتول أمّاً لك **وألبستها العز والبهاء ، وحفظتها من كل دنس أصلي** ، وإتخذتَ جسداً من نقاوتها . "

٧- وفي لحن يقولون : قال أرميا النبي إن الإله الحق خَلق خليقة جديدة ، **هي القديسة مريم التقية** ، التي حملت مخلص العالم ، تجسد منها وخلصنا .

٨- وفي الباعوث [٢] جاء ما يلي :

" إن الروح القدس قد سُرَّ بكِ يا مريم بنت داود ، وتحَدَّث عنك في سفر سليمان الحكيم وهَتَف صارخاً : **كُلك جَميلة أيتها العَروس ولا عَيبَ فيكِ أنتِ وحدك بين جنس البشر** . "

٩- قد ظَهر نورك أيتها القديسة مريم ، الروح القدس المحيي رَفَعكِ إلى العلاء وكللكِ بالشرف الإلهي ، وزينك بالجمال المُبجل ، ورفعكِ على المراتب الروحية ، **وحفظكِ من كل دنس النفسوالجسد** .

١٠- نشكر الآب القدوس الذي أحبكِ من بين جميع البتولات ، ونُبَجِّل الإبن الذي وُلد منكِ بنقاوة ، **ونكرِّم الروح القدس الذي خلقكِ عروساً مُزينة** ، وشرَّفكِ على جنس الإناث اللائي تلطخن بالأدناس .

١١- وفي صلاةالصبح يلحن :

إن **معلمي الكنيسة** الذين تكلموا بالروح القدس **أثبتوا لنا أن** مريم إبنة حِنَّه لم تَتَدنس **بالخطيئة** ، وقد إنجلى هذا الرأي في تعليمهم الشريف .

١٢- فالقديس إيرونيموس بيَّن براءة القديسة مريم من الخطيئة الأولى التي تلطخ بها بنو آدم وقال : **مَن يَجسر أن يَرمي دنساً بمريم أم الله** . ؟

١٣- " إذا كان الله قد اختار لذاته شعباً من بين الشعوب وخصَّه بنفسه مُكرماً ، فماذا

---

(١) مرمايه أي صلاة تقال بين لحن وآخر .

(٢) في الباعوث أي في طلبة ختام الصلاة .

نقول إذن عن مريم التي إختارها الرب **وميَّز نفسها مُنذ الأزل ، وحَفَظها بحشا والدتها وزيَّنها بالفضائل السامية** " ؟

١٤- وفي المرماية تقول الكنيسة :

" أنظري إلينا بعين رؤوفة يا مريم الحمامة الوديعة والبتول المشرفة ، يا من ظَهَر منكِ مخلص الأجيال **ورفعكِ على الخلائق العلوية والسفلية** " .

١٥- وفي لحن تقول الكنيسة :

" **الويل لمن يكفر قائلاً : إن مريم مكثت تحت استيلاء الشرير ولو زمناً يسيراً** ، فإن الآباء قد حرَّموا هذا الرأي المرذول والمرفوض ".

١٦- إن الأحبار العظام وأغسطينوس قد أثبتوا لنا **أن حَبَل حِنَّة البارة بمريم هو طاهر وبرئ من كل دنس** .

١٧- حاشا للمُخلص أن يَترك تلك المزمعة أن تكون أمه وتحمل عظمته ، تحت سلطان خطيئة حواء التي عمَّت القبائل .

١٨- حاشا لإله البر وأصل القداسة أن يَسكن خِدراً مُدنساً بالخطايا ، إنما يختاره إناءً نقياً وجميلاً يليق لإكرام مجده .

١٩- " يا مريم التي حُفِظت من الخطيئة الأصلية ومن دنس تجاوز الوصية ، إبتهلي إلى وحيدكِ لنكون له أخداراً نقية بنعمة روحه الذي عظَّم شرفك . "

٢٠- وفي لحن جاء :

" كما أن يهوديت تزيَّنت بالصوم والإتضاع وأرضت الله بقطع رأس قائد جيش الأشوريين ، **هكذا مريم أرضت الرب بقطع رأس الشرير فور وجودها** . "

٢١- إن إله الكل **ضاعف نعمه لمريم وحَفَظها من كل إثم** بعنايته الخاصة ، التي قوَّت حواس نفسها وجسدها وأبعدت عنها الأعداء (الخطايا) بواسطة الملائكة في الملكوت .

٢٢- أيتها الكنيسة المقدسة ، يا من **أظهرتِ لمحبيكِ حقيقة براءة مريم النقية من الخطيئة الأصلية** والإثم الإختياري ، ابتهلي مع مريم إلى الإله لكي نحيا أمامه حياة مقدسة .

٢٣- " أيتها البتول مريم التي **حفظكِ سيدكِ في حشا أمك من الدنَس الأصلي**،

وحفظكِ في العالم من كل نقص وإثم إختياري ، تضرعي إليه ليمحو ذنوبنا الإراديه واللاإرادية . "

٢٤- ثم يلحنون :

" دخلتْ الهيكل **مريم غير المحتاجة للتطهير** ، لأنها أطهر من الشمس ، وأشرف من الملائكة ، وإنما دخلتْ لتكمل ناموس الرب الذي إختارها ، ولكي تتم نبوات الأنبياء عنها . "

٢٥- وفي السوغيت يقولون :

" إن البتول **مريم لم تُربط أبداً برباطات الإثم الأول** والشهوه ."

ج - الشهادات الواردة في صلاة عيد الحبل بلا دنس من كتاب التشمشت :

١- في بدء صلاة المساء :

" أيها الرب الإله الذي بمسرتك جعلت مستودع حنَّه العاقر والعقيم مخصباً ، " **فحَبِلت بالبتول مريم** بدون **الخطيئة الأصلية** التي إستولت على آدم لأنه تجاوز أمرك الإلهي "

٢- وفي الصلاة الثانية يقولون :

" اللهم اسمع صلواتنا في هذا اليوم المقدس الذي فيه حَمَلت حنِّه **بمريم القديسة بغير خطيئةأصلية** . "

٣- وفي اللحن الأول ينشدون :

إذا كان الله قد جعل الملائكة خداماً للاهوته ورتَّب طبقاتهم ، **فكم يجب أن نؤمن بالبتول سيدتهم التي زيَّنها وجمَّلها أكثر منهم جميعاً** .

٤- ثم يكملون :

إن الله تعالى في العهد القديم قدَّس أرميا النبي ، وفي العهد الجديد برَّر يوحنا المعمدان ، **فكم إذن قد أفرغ غِنى عظمته في مريم أمه ونظر إليها بمسرة قلبه " وملأ نفسها بنعمته** . "

٥- إن قلنا أنه تعالى لا يقدر أن يعصم أمَّ ربنا من الإثم والسقطة الأولى نكفر بقدرته، وإن قلنا أنه قادر على ذلك لكنه لم يشأ نَكذِب ، لأنه قد ملأها بالنعمة والمحاسن

لمجده ولخلاصنا " .

٦- لقد مدح يوحنا في رؤياه بهاء مريم فقال : إنها متشحة بشمس الحق والقمر تحت إخمصها ، والتنين ذو الرؤوس السبعة لم يستطع أن يَضُرَّها ، لأن الرب قوَّاها **حتى لا يكون للتنين إستيلاء على أمه .** " (رؤ١٣)

٧- بأمر الرب صنع موسى تابوتاً من خشب لا يفسد . . .

ومريم هي تابوت الرب الذي لم يفسد بالإثم لأنه تعالى إختارها منذ الأزل ثم حلَّ في مستودعها الطاهر .

٨- تُرى أي فاقد لُب يُفكر بأن سيِّد الأطهار الذي طهَّر خُدامه مجاناً قد ترك أمَّه تحت سلطان الخطيئة ، هي المحبوبة أكثر من الملائكة، فلنؤمن أنه زينها بالمحاسن ، ووقاها من أسر الشيطان .

٩- لم تغرق السفينة في مياه الطوفان لأن نوح البار أحكم صُنعها **وهكذا لم تفسد سفينة الحق مريم التي بناها الرب ورفعها على جميع الأبرار وجعلها ملجأ حصيناً.**

١٠- وفي المرماية تبتهل الكنيسة :

" **أيتها العذراء النقية التي تكوَّنت في حشا أمها جنَّة بدون خطيئة** ، فوطأت رأس الحية الخبيثة التي أضلَّت جنسنا . "

١١- وفي اللحن الثاني تُنشد الكنيسة :

إن أنفس بني آدم تُخلق مربوطة مذلولة ، **أما أنا تقول مريم ، فقد خلقني الله من فيض حُبه ، وزينني بالمحاسن وقال لي : ها إنكِ جميلة .**

١٢- قد وضعتك يا عروسي كالسوسنَّة بين الأشواك ، فإن سائر البشر قد تدنسوا ، **أما أنتِ بمفردكِ فقد تحررت من كل عيب وصرتِ لي أماً .**

١٣- قد مَدَحك الروح القدس يا مريم النقية قائلاً : **يا حبيبتي ، كُلك جميلة ولا عيب فيكِ .** (نش ٤:٧)

١٤- وفي السوغيت تترنم الكنيسة بقولها :

تقول مريم : " إني جئتُ إلى العالم من يد الرب وحيدة **أعماله** " .

١٥- وفي الحسّايه تُنشد :

هذه التي حَبِلت بها حِنَّة بدون الخطيئة الأصلية .

١٦- وفي السِدر [١] تقول :

إن حكمة الله الآب ، إذ رأى هلاكنا ، ترأف على جنسنا ومنحنا الخلاص **إذ خلق مريم النقية محبولاً بها في حشا حِنَّة بدون الخطيئة الأصلية** ، ولم يدع يد الحية الخبيثة أن تمسّها ، بل قال لها إني أجعل العداوة بينك وبين المرأة وبين نسلك ونسلها وهي تسحق رأسك وأنت ترصدين عقبها . (تك ٣:١٥) **ولم يستطع التنين الكثير الرؤوس أن يدنو من مريم البته .**

١٧- ثم تقول هكذا :

هـذه التي ماثلت إستير الملكة التي قال لها الملك أرتحشِشتا **إن شريعتي ليست عليكِ** (استير ١٥:١٣) ، **بل قد فاقت إستير فضلاً لأن الله قد ملأها نعماً وزينها بالفضائل .**

١٨- وفي اللحن تقول :

عصم الله نَفس مريم من كل هاجس للخطيئة ومن الآلام المقوته .

١٩- وفي المرماية تقول :

نُمجد ونمدح الله الذي **خلقك خدراً مقدساً وقت الحبل بكِ .**

٢٠- وفي الباعوث تقول الكنيسة :

إن الله بقدرته الفائقة خلق ملائكة العُلاونزههم من كل عيب ، فكم بالحري يجب علينا أن نؤمن أن **الإبن وحيد مريم قد نزّه نفس أمه من كل عيب .**

٢١- وفي فاتحة صلاة الستار نقول :

أيها الرب الإله ، يا من قبلت إبتهال حِنَّة ويواكيم ومنحتهما إبنة محبوبة ، **هي مريم التي حُبل بها بالنعمة ...**

٢٢- ثم يلحنون :

ما أعجـب أوضاعك يا مريم النقية إبنة حِنَّة المتضعة ، لأن الروح القدس تغنى بكِ

---

(١) السدر أي طلبه تتبع صلاة الغفران أو صلاة التحليل .

قائلاً : " **كلكِ جميلة وليس فيكِ عيب ممقوت البتة** " .

٢٣- أيتها السعيدة ، لقد **زينكِ الله بالمحاسن أكثر من الأجواق السماويه** ، ورفعكِ على الناطقين الأرضيين وقال " **جميلة أنت يا حبيبتي جميلة أنتِ . ولا دنس فيكِ** . " (نش ٤ : ٧)

٢٤- إن أنفس البشر تُخلق مأسورة بسبب إثم آدم رأس القبائل الذي تجاوز أمره تعالى، **أما مريم فقد برّأها الرب وحدها وزيّنها بمنحه** .

٢٥- إن موسى صنع التابوت في ذلك الزمان ووضع فيه لوحي الوصايا والمن وعصا هارون ، وصنعه مذهباً ليسكن فيه رب الصباؤوت لأجل خلاص الشعب ، **ومريم هي تابوت الرب الذي لم يعتره فساد** . . .

٢٦- إن الإله الحق قد أحب البتول أكثر من جميع المولودين **فخلقها جديدة** ، **وجعلها عروساً مزينة** ، ووضعها كالسوسنة بين الشوك ، **وحفظها من كل عيب** " .

٢٧- وفي الحسّاية يقول :

إن الإله الأزلي الذي **خلق إبنة داود وملأها من غنى نعمته** ، هذه التي **باركها الآب القدوس ، وفضّلها الإبن على جميع الخلائق ، وحفظها الروح القدس من كل فساد** إذ **حُبل بها في حشا أمها بدون الخطيئة الأصلية ، وجعلها هيكلاً مزيناً بالمنح الإلهية** .

٢٨- أيها الرب الإله الذي قضى على البشرية بأن تكون تحت الغضب لأجل خطيئة آدم يا من صوّر بعقله صورة مريم وشاء **أن تكون وحدها ناجية من هذا الحكم** ، **مُنزهة عن كل دنس، فعصمها من وصمة الخطيئة الأصلية فور إتحاد نفسها المقدسة بجسدها الطاهر** ...

٢٩- ثم يقول :

. . . **أما نحن** أولاد الكنيسة المقدسة **فنبارك حَبَل حِنَّة** بمريم قائلين : " مباركة حِنَّة بمريم **التي . . . حفظت النقاوة ، وسمت على الملائكة الروحانيين المنزهين عن الفساد** ".

٣٠- ثم يقرأ :

فلتفرح نساء الأرض في هذا اليوم المقدس بالعذراء مريم " **التي حُبل بها** من جنسهن فلاشت الغضب المحتوم عليهن ، **وسحقت الشيطان** الذي إستعبدهن " .

٣١- وفي لحن يقولون :

من قبل إنشاء العالم اختار الله مريم من بين النساء وهندم جسدها في حشا والدتها **وبرأ نفسها مقدسة وزينها بالمحاسن** ، وجعلها له خِدراً وأحبها أكثر من جميع الخلائق .

٣٢- وفي باعوث عيد مار أفرام ورد :

إن مياه الطوفان أهلكت بني البشر الأثمة ، ولم تُفسِد تلك السفينة التي صُنعت للخلاص ، **ومريم هي بالحقيقة سفينة نوح الثانية التي صنعها الرب وزيّنها بمواهبه وجعلها خلاصاً للعالم.**

٣٣- كما ارتفعت سفينة نوح البار فوق الجبال والتلال ولم يَعْترها فساد من الطوفان الذي أغرق الأرضيين ، **هكذا مريم القديسة حُفظت من بين الإناث وسَمَت على الصديقين المتسامين بالفضائل** .

٣٤- وجاء في فاتحة صلاة الصبح :

" أيها الرب الذي أزلت عقرية يواكيم وحِنّة **بواسطة مريم التي حُفظت من كل خطأ**..."

٣٥- وفي لحن تقول الكنيسة :

إن السر الذي لا يُفسَّر تسلسل إلى يواكيم وحِنّة ، **ومريم إبنتهما التي حُبل بها بحَبَل نقي في حشا أمها بدون إثم** .

٣٦- إذ صلى يواكيم البار إلى الله وقرّب له التنهدات، ظهر له الملاك وبشرّه قائلاً : قد سُمعت صلاتك أمام الرب الذي أحبك ، **وهوذا حِنّة إمرأتك تحبل بمولودة تقهر الأبالسة** .

٣٧- يا من حُبل بكِ من غير الإثم الأول اسألي ابنك الحبيب أن يمنح الغفران لمن يكرّمون باكورة أعيادك ويبعد عن شعبه كل مضرة .

٣٨- وفي المرماية جاء :

إجعلنا اللهم أواني نقية لسُكناك ، ولتكن نياتنا قرباناً مرضياً أمامك شبه مريم التي **حَبِلت بها حِنّة من غير الخطيئة الأصلية** ، وقرّبتها لله قرباناً طاهراً .

٣٩- وفي لحن :

أيتها البتول المباركة التي تسلسل نسلها من نسل إبراهيم البار ، ومذاقها العذب لذّ أقطار الدنيا متسلسلاً **إلى حِنّة التي أنجبت البتول مريم القديسة بحَبَل لم يتدنس قط** .

٤٠- يا سيدة البرايا بأجمعها، المختارة من الآب ، وأم الإبن الوحيد النقية ، وعروس الروح القدس ، **المحفوظة من الإثم الممقوت ومن الشرير** ، بصلواتك نجنا من وساوس المارد .

٤١- وفي المرماية ما نصه :

" إننا نعيد بالفضائل النقية **لحَبَل حنَّة الذي تَمَّ بدون الخطيئة الأصلية** " .

٤٢- إن حنَّة ، بمريم والدة عمانوئيل ، فاقت شرفاً على حنَّة بنت فَنوئيل ، وعلى حنَّة والدة صموئيل ، لأن الرب قد رفعها بالشرف على طغمات جبرائيل .

٤٣- أيتها المختارة التي **حَفِظكِ الإبن الوحيد في حشا حنَّة أمك ، وأبعد عنكِ الخطأ الأصلي** ، فأضحيتِ له خِدراً نقياً حقيقياً، اسألي لنا أن نَسكن معك في ذلك المكان الروحاني.

٤٤- أيتها العنقود الذي نَبُت من سلالة الملوك العظام ، ومن زرع الآباء الذين شرَّفوا الأرض ، وتسلسل منهم أبواكِ يواكيم وحنَّة ، **أنتِ يا مريم التي أخزيت الحية الخبيثة** ، ابتهلي لإبنك ليتحنن علينا .

٤٥- **يامريم التي حُفظتِ في حشا أمك حنَّه من كل دَنَس ، ولم تجسر الحية أن تُدنس نفسك** ، لأنك أم الإبن وسيدة العالم ، ابتهلي إلى إبنك ليسود السلام في العالم.

٤٦- **يامريم التي حَفِظكِ الروح القدس في حشا أمك عندما خلق نفسك واتحدها بجسدك** ، اطلبي لهذا الجمع الذي يُكرمكِ بمجد عظيم ، أن يتمتع بالجلوس عن يمين الإبن .

٤٧- وفي لحن :

أيها الباري **الذي أنشأت مريم النقية من حشا حنَّة** بنت اللاويين **بدون الخطيئة الأولى** ومجدت اسمها في الكنيسة كلها ، إرحمنا من أجل أمك الطوباوية التي أبهجتها بظهورك .

٤٨-أيتها الكنيسة المقدسة أشكري الإبن الذي قوّى بعنايته طبيعة حنَّة حتى **حَبِلت بدون إثم ، وحفظ في حشاها أمّه طاهرة ، وأخزى الشرير وسحق رأسه** .

٤٩- وفي لحن :

إن الباري تعالى الذي إفتقد بنعمته اليصابات أم يوحنا المعمدان المكرمة ، هو الذي افتقد حنَّة الوديعة **فحبلت بسيدتنا مريم العذراء من غير الإثم الممقوت والدنس** .

٥٠- من لا ينذهل بحنَّة التي **حَبِلت بمريم النقية كوعد الله لها ولم تقترب مريم من الخطيئة الأولى التي أدخلها الشرير على جنسنا** .

٥١-وفي لحن :

إن مريم إبنة يواكيم قد داست رأس التنين الذي أسر آدم رأس جنسنا . . . ونجت مريم من الشرير بواسطة يسوع المسيح الذي خلّص الإنسـان .

٥٢- أيتها البتول مريم التي حُبِل بكِ في آخر الأيام بحشا حِنّة من دون الخطيئة الأصلية ، خطية آدم أصل الشعوب ، ابتهلي إلى إبنك العلي لينجينا من وشاية الشرير رأس العيوب .

٥٣- وفي الحسّاية :

أيها الإله الذي حلَّ عُقرية يواكيم وحِنّة **فولدت مريم القديسة بحَبَل غير مدنس بالخطيئة الأصلية** وبواسطتها مَنَح جنسنا كل الخيرات .

٥٤-وفي السدر تهتف البيعة :

أيها الإله الذي أرسل الملاك الأمين إلى يواكيم وأعلمه أنه ستولد له إبنة وبشّر حِنّة **فحبلت بمريم من غير الخطيئة الأولى ، وحفظها في حشا أمها من مخالب الخبيث ، فولّى التنين الجهنمي عنها متصياً** .

٥٥- ثم يقول :

في مـثل هـذا اليوم حَبِلت حِنّة من غير خطيئة أصلية بمريم التي اختارها الرب منذ البدء . . وألبسها المجد ورفعها .

في مثل هذا اليوم حبلت حنة بدون خطيئة أصلية بمريم الجزّة الروحية ، **التي عليها وحدها نزل ندى الرِضى السماوي** ، وجفّت النقمة التي حلّت على الأرض كلها .

٥٦- ثم نقول :

في مثل هذا اليوم حَبِلت حِنّة بمريم فباركت الكنيسة حَبَلها ودافعت عنه معلنة **أن حِنّة حبلت بمريم بدون الإثم الأصلي** ، ورذلت الجاحدين براءة **الحَبَل بها** ، ونَبَذت الناقضين حقيقة هذا الحَبَل البرئ . "

٥٧- وفي لحن ورد :

السلام لكِ أيتها الفردوس الشريفة يا من أنت بجملتك جمال باهر .

٥٨- وفي سدر صلاة الصبح في عيد القديس يوسف يقال :

" إن الآب اختار لإبنه أمّاً مباركة ، **لم تتسلط عليها الخطيئة قط** وأرسل إليها يبشرها بأن إبنه سيولد منها " .

٥٩- وفي صباح عيد القديس مارون ، أول بطريرك للطائفة المارونية جاء :

قد رأى إبن يسى بعين النبوة ، المفاخر التي فازت بها مريم بنت داود ، وأخذ يُرنم بأوتار قيثارته قائلاً : **إن جمال بنت الملك كله من داخل** ليعلمنا بذلك **أنها (أي البتول) بريئة من الإثم الأصلي** .

٦٠- وجاء في مُستهل صلاة صباح الأحد في كتاب الشحيم ما نصه :

" لك المجد يا كلمة الله الحي لأنك تجسَّدتَ من مريم الطوباوية ، **التي وُجدت نقية في نفسها وجسدها** ، وقد حَمَلت بكَ بالقداسة وولدتكَ ميلاداً يعلو عن الوصف بدون زرع بشري وبحَبَل من الروح القدس .

ويجدر بنا أن نختم بباعوث قومة ليلة الثلاثاء الأولى الذي تتغنى به الكنيسة المارونية في مديح سيدتنا مريم العذراء وما تمتعت به من فضائل سامية وجمال باهر قائلة :

١- إني أمدح مريم منذهلاً مبهوراً ، إلى أية درجة إرتقت إبنة المساكين ؟ فهل النعمة أحدرت الإبن إليها ؟ أم إنها حسُنت في عينيه فصارت أمّاً لإبنه القدوس ؟

٢- غني عن البيان أن الله تعالى إنحدر إلى الأرض لخلاصنا ، **وأن مريم اقتبلته لعظم نقاوتها** ، فلما نظر إلى تواضعها حلَّ فيها لأنه يحسن في عينيه أن يحلَّ في المتضعين .

٣- قال الله إلى من أنظر إلا إلى الهادئين والمتضعين ، لذلك نَظَر إلى مريم وحلَّ فيها لأنه وَجدها متضعة أكثر من جميع المولودين وقد عبَّرت مريم عن ذلك قائلة "إنه نَظَر إلى تواضع أمته" فلذلك نمدحُها ونُمجّدها بقدر ما حَسُنتْ في عينيه .

٤- نمجد الآب الذي أرسل إبنه إلى بنت داود ، ونسجد للإبن الذي أشرق منها في آخر الأزمنة ، ونشكر **الروح القدس الذي ملأها قداسة** ، فأشرق منها كلمة الآب .(١)

(١) هذه الأبيات منقولة عن قصيدة مار يعقوب أسقف سروج (٤٥١ - ٥٢١) وقد نشرها الأب بولس بيجان وهي مدونة في الأشحيمة المارونية طبعة سنة ١٩٠٤ صفحة ١٧٢ .

الفصل السادس

صوت الكنيسة القبطية

مقدمة :

إن عقيدة الحبل بمريم منزهة عن الخطيئة الأصلية ، ليست بدعة حديثة أو مستحدثة ، في الكنيسة القبطية الكاثوليكية ولكنها إحدى العقائد الموروثة بتقليد متواصل - كما أعلن البابا بيوس التاسع - والكنيسة القبطية الإسكندرية لها من التراث ما يضاهي تراث الكنيسة الغربية في تكريم وتبجيل العذراء مريم بصفتها أم الله البريئة من كل عيب ، **فإنه في القرون الأولى وحتى القرن الخامس** كان شغلهم الشاغل إثبات أمومة العذراء مريم للمسيح الفادي ودوام بتوليتها ، ولم يخطُر ببال أحد أن يتناقش في موضوع براءة مريم وعصمتها من كل خطيئة ، فقد كان ذلك أمراً مقضياً .

وفي القرن السابع مع الفتح العربي ودخول الإسلام مصر سنة ٦٣٩م لم يكن هناك أيضاً سبب للجدال في هذا الموضوع ، فإن المسلمين أنفسهم يُعظِّمون العذراء مريم ويُبجلونها ، فهي أم المسيح (الكلمة) وهي طاهرة ومختارة ، وقد جاء في سورة آل عمران (١) " **إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله اصطفاك وطهَّرك ، واصطفاك على نساء العالمين . . .** " .

وجاء في حديث صحيح للبخاري ما نصه :

" **ما من مولود يُولد إلا والشيطان يمسه حين يُولد ، فيستهل صارخاً من مس الشيطان إياه ، إلا مريم وإبنها** " . (٢)

ومعنى هذا أن خطيئة آدم تسري إلى كل من يُولد من بني آدم ، وأن الله قد **غيَّر مجرى الطبيعة حين وُلدت مريم ووُلد إبن مريم** .

---

(١) سورة آل عمران ٤٢ .

(٢) حديث صحيح للبخاري جزء ٣ صفحة ٧٤ .

ويستفاد من ذلك أنه لم يكن هناك مجال للجدال في هذا الموضوع ، فقد كان بمثابة العقيدة الراسخة حتى عند الإخوة المسلمين .

وفي القرون الوسطى :

من الجيل العاشر حتى الرابع عشر اهتم الأقباط بالعذراء مريم فأوضحوا في كتاباتهم ثلاثة أفكار رئيسية هي :

١- طهارة مريم وقداستها السامية .

٢- استمرار مريم في هذه القداسة .

٣- زيادة القداسة والنعمة فيها استعداداً لقبول الكلمة في أحشائها .

وتبرز هذه الأفكار عند الأنبا ساويرس بن المقفع ، وابن العسال ، ويوحنا السمادوني ، وابن السباع .

١- **ساويرس بن المقفع** : (+ ٩٨٧) أسقف الأشمونين يقول :

" تجسد الكلمة من **أطهر بنات آدم جسداً** ، وأكرمهم حسباً ، وأشرفهم نسباً ، مريم البتول التي **اصطفاها وانتخبها** ونظفها من الأوساخ الدنياوية ، ولم يخطر على قلبها إرتكاب معصية أو خطيئة ثم طهّرها بحلول روح القدس عليها ، وخلق منها جسماً إتحد به ، واحتجب فيه . . . وإنما تجسد من بني آدم ولم يتجسد من الملائكة السمائيين ، لأنه إنما أتى لخلاص البشريين " . (١)

في هذا النص تتجلى قداسة مريم الشخصية ، فلم يتسرب إلى قلبها أي فكر شرير ، ولم يتعرّض الأنبا ساويرس بن المقفع إلى موضوع براءة مريم من الخطيئة الأصلية بوجه مباشر ، ولكنه أشار إلى ذلك بقوله : أنها أطهر بنات آدم جسداً ، وأكرمهم حسباً وأشرفهم نسباً ، وقد إختارها الله لتكون أماً له .

أما عن توقيت اختيار مريم وانتخابها فلم يحدده الأنبا ساويرس ، ولكن من البديهي أن يكون منذ إنشاء العالم أو على الأقل منذ كانت في أحشاء أمها ، كما كان المفهوم السائد في ذلك الوقت (في القرن العاشر الميلادي) وهذا ثابت من المدائح والترانيم التي كانت تتغنى بها الكنيسة في ذلك الحين ، نذكر منها على سبيل المثال :

---

(١) موسوعة الآباء الشرقيين graffin naw P.O. مجلد ٩ صفحة ٥٤٧ .

- يا مريم حلوٌ إسمك في كل الأفواه ، بطهارة جسمك فزنا من كل خطاة ، **وأنت في بطن أمك اختارك الإله** ، وأنا أقبِّل قدميكِ يا جوهر مكنون . (١)

- **مختارة من بطن امك** بحلول روح الله الجبار ، المولود منكِ قدوس ، تسجد له الرؤساء والأجناد . (٢)

- طوباك يا مريم العذراء لأنك اشتملتِ **بالطُهر منذ كنتِ في الأحشاء** . (٣)

أما عن طهارتها بحلول روح القدس عليها ، فهو لا يشير إلى بدء قداستها ، بدليل اعترافه أنها أطهر بنات آدم جسداً وهو لا يقصد إلا زيادة القداسة فيها ، لتهيئتها للأمومة الإلهية . لأنه مع كونها إناء طاهراً ، في بتولية تامة ، وممتلئة قداسة ونعمة منذ نعومة أظافرها في الهيكل ، " إلا أنه يعتقد أن ذلك لا يكفي حتى تحمل مريم سر الأسرار العجيب دون أن يساندها الروح القدس وتظللها قوة الله العلي " .(٤)

فالعذراء إذن هي قديسة ومملوءة مجداً منذ لحظة اختيار الله لها ، ويؤكد هذا المعنى ما ورد في كتاب الإبصلمودية الكيهكية : " حقاً بالحقيقة ، مريم العروس الحقيقية ، أنتِ هي جنس الأبرار وأصل الأنبياء . . فلهذا إختارها وقدسها لكي يَسكن فيها كلمة الآب " . (٥)

٢- **الأسعد هبة الله أبو الفرج بن العسال** من مشاهير الأقباط (عاش في النصف الأول من القرن الثالث عشر) .

يروي حادث دخول العــذراء مريــم إلى الهيكل وبقائها فيه عشر سنوات ثم يقول : " وقضت العذراء مريم هذه المدة في عواطف روحية ومعجزات إلهية . . في هذه الأضواء الروحانية ، **في هذا التدرج في القداسة** ، كان الله يقودها لمجد الأمومة الإلهية " . (٦)

---

(١) الإبصلمودية الكيهكية طبعة إقلاديوس لبيب سنة ١٩١١ صفحة ٩١٥ .

(٢) نفس المرجع السابق ص ٣٩٤ تذاكية عربي واطس مرتبة علي تذاكية يوم الأربعاء .

(٣) كتاب دورة عيدي الصليب وطروحات الصوم الكبير والخمسين ، طبعة القمص أرسانيوس عطالله المحرقي سنة ١٩٥٩ طرح واطس في ٢١ من كل شهر .

(٤) القمص سمعان السرياني - روحانية قراءات شهر كيهك سنة ١٩٧٦ صفحة ٥٥ .

(٥) الإبصلمودية الكيهكية طبعة ١٩١١ ص ٧٩ - ٨٠ عشية ليالي شهر كيهك . التفسيرالبحيري .

(٦) راجع القمص عبدالمسيح سليمان اللآلىء السنية في الميامروالعجائب المريمية طبعة س٢٧ ص ٨.

راجع أيضاً الطبعة الثانية لمكتبة المحبة سنة ١٩٤٧ ص ٢١ - ٣٣ ميمر القديس كيرلس أسقف أورشليم عن دخول السيدة العذراء إلى الهيكل .

راجع أيضاً ميخائيل شحاته : مريم العذراء القاهرة سنة ١٩٣٤ ص ٤٧ - ٥٠ .

٣- **يوحنا السمادوني** : من مشاهير الأقباط (عاش في النصف الثاني من القرن الثالث عشر)

في تفسيره للسلام الملائكي يتساءل عن معنى عبارة " مملوءة نعمة " ثم يجيب:

" **إن العذراء هي حقاً " مملوءة نعمة " لأن الخطيئة لم تلحق بها قط** ، لأنها حائزة على كل الفضائل وكل مواهب الروح القدس ، **ولأنها أتمت أفعالاً كانت مقبولة أمام الله** فإستحقت أن تصعد إلى السماء بالنفس والجسد متسامية على الأمجاد الملائكية " .(١)

٤- **يوحنا بن أبي زكريا بن السباع** (عاش في القرن الرابع عشر) .

يسمي الخطيئة الأصلية : " مرضاً " أو " علّة الطبيعة البشرية " فيقول :

" اعتلّت الطبيعة فأرسل إليها الحكماء والأنبياء ليداووها ويُرجعوها إلى عالمها الذي برزت عنه فلم يستطيعوا . . ثم ظهر الطبيب الحقيقي لمداواة هذه الطبيعة من علّتها " . (٢)

وخلاصة القول فإننا لا نجد أحداً من مشاهير الأقباط في القرون الوسطى قد تعرَّض لموضوع تنزيه مريم العذراء من الخطيئة الأصلية بوجه مباشر ، وإضطرَّه الأمر إلى تحديد موقفه منها بالإيجاب أو السلب وهكذا وقفت الكنيسة الأسكندرية في القرون الوسطى موقف المتفرج على المجادلات التي جَرَت في الغرب بين الكاثوليك بهذا الشأن ، ووقفت موقف الكنيسة المحافظة على التراث الروحي والتقليد الكنسي ، فعاشت حتى القرن التاسع عشر محافظة على تقليد القرن السادس الميلادي .

لذلك فإنك تجد أنه بينما تُعبر الكنيسة الغربية عن مفهوم العقيدة بتعبير سلبي أي : " الحبل بلا دنس " تجد أن الكنيسة الشرقية تستعمل تعبيرات إيجابية للتدليل على المعتقد نفسه فيلقبون مريم : " ν αγια Παρθενοζ أي العذراء القديسة " القديسة في كل شيء (٣) الكلية القداسة ، وحدها مباركة ، شبيهة بحواء قبل الخطيئة ، كوَّنها الله بيده من

---

(١) Giamberardini, il Culto Mariano in Egitto vol III p.175 .

(٢) موسوعة الآباء الشرقيين p.o. جزء ١٦ ص ٦٤٧ .

راجع أيضاً الجوهرة النفيسة طبعة الأب منصور مستريح ، المركز الفرنسيسكاني بالموسكي سنة ١٩٦٦ ص ٥٣ - ٥٤

(٣) المرجع السابق صفحة ١٢٢ - ١٢٣ .

راجع أيضاً Giamberardini, il Culto Mariano in Egitto vol III p.183

تُربة طاهرة ، وما إلى ذلك من التعبيرات التي تُشير في وضوح وجلاء إلى نقاء مريم .

ولا تتردد الكنيسة القبطية الأسكندرية في أن تُسند أهمية كبرى إلى امتلاء مريم من النعمة على الدوام ، بحيث تجعل منه العلامة المميزة والخاصة بمريم وحدها ، وتظهر علامات هذا الإمتلاء الدائم من النعمة في أنها " القديسة في كل شئ " . (١)

فإن قداستها ظلّت دائماً ملازمة لها ومستمرة فيها على الدوام فتمجدها الكنيسة قائلة: " السلام لك ، نسألك أيتها القديسة الممتلئة مجداً ، العذراء كل حين ، والدة الإله ، أم المسيح ، أصعدي صلواتنا إلى إبنك الحبيب ليغفر لنا خطايانا " . (٢)

ففي هذا التعبير يظهر بوضوح وجلاء الإعتراف الصريح بقداسة مريم المتسامية والمتزايدة ، هذه القداسة التي لم تتغير أو تتبدل ولم يطرأ عليها أي نقصان .

وهكذا نستطيع أن نقول أنه لا توجد فترة زمنية في حياة مريم ، مهما كانت قصيرة ، تناقصت فيها قداستها ، فهي المخلوقة الوحيدة التي وُجدت على وجه البسيطة بدون عيب أو دنس خطيئة " .

" يا غبريال الملاك . . بشّرتَ **مريم العذراء الغير دنسة قائلاً** : إفرحي يا ممتلئة نعمة الرب معك " . (٣) لذلك فهي غير دنسة وممتلئة نعمة قبل بشارة الملاك لها .

وفي النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، ما أن حدّد البابا بيوس التاسع العقيدة سنة ١٨٥٤ حتى اعتبرها الأقباط الأرثوذكس مشكلة ، وبدأوا يحاربونها بشكل مباشر لمجرد إسمها : " الحبل بلا دنس " .

ويرجع رفض الأقباط لهذه العقيدة إلى أسباب عديدة أهمها :

- عدم إستيعاب ما يقصده الكاثوليك بالعقيدة فالبعض يتساءلون : كيف يمكن أن يكون هناك حَبَل بدون دنس ؟

---

(١) وهذا اللقب متداول في الكنيسة الأسكندرية المصرية منذ القرن الثالث الميلادي .
راجع Giamberardini, Marie dans la liturgie Copte 1956 p.78-81.

(٢) صلاة باكر ، صلاة بعد الثلاثة تقديسات وقبل مقدمة قانون الإيمان .

(٣) الإبصلمودية السنوية طبعة ١٩٠٨ صفحة ١٦٩ ثاودوكية الأربعاء (٤) .

- وإن كانت العذراء مريم قد وُلدت بالطريقة الطبيعية التي رسمها الله لنمو الجنس البشري ، وجب أن يكون هناك دَنَس (فعل زواجي) .

- البعض الآخر توهموا أن الكاثوليك قالوا أنه قد حُبل بمريم بدون زرع بشري وبدون تدخل رجل ، أي كما حَبِلتْ هي بيسوع .

- البعض توهم أيضاً أن هذه العقيدة جاءت نتيجة لظهور العذراء في مدينة لورد بفرنسا سنة ١٨٥٨ ، في حين أن البابا أعلن العقيدة سنة ١٨٥٤ أي قبل ظهور العذراء في لورد بأربع سنوات .

- البعض لا يستطيع أن يُدرك كيفية فداء مريم ، ويقول أنه بهذه الطريقة تكون مريم غير مفتداه من المسيح .

- البعض يتمسك بضرورة شمول الخطيئة الأصلية إلى الجنس البشري أجمع ، ومن بينهم مريم .

- البعض يتهم الكنيسة الكاثوليكية بالتجديد في دستور الإيمان .

- السيد/ ميخائيل شحاته يقول : البابويون يعتقدون أن العذراء قد حُبل بها بدون خطيئة ، بينما العذراء نفسها بتحريك من روح الله قالت : تبتهج روحي بالله مخلصي ، فمن نُصدق من الإثنين : الروح القدس أم البابا ؟ (١)

جميع هذه الإعتراضات ليست بجديدة على الأذهان ، وقد سبق أن أثيرت داخل الكنيسة الكاثوليكية نفسها ، وقد تخطت الكنيسة الكاثوليكية هذه المرحلة ، بفضل رجاحة فكر لاهوتييها الذين إستطاعوا أن يوضحوا مفهوم هذه العقيدة المتضمن في الكتاب المقدس والتقليد الكنسي ، فأيدتهم الكنيسة بما لها من سلطان تعليمي في تحديد وحسم الأمور .

وسبق أن أوضحنا جميع هذه الآراء والرد عليها بما فيه الكفاية .

وربما كان السبب الرئيسي للخلافات هو مجرد تحديد العقيدة في الكنيسة الكاثوليكية بصورة قاطعة ، فإنه وإن كان الأساس العقائدي موجود في الكتب الطقسية في الكنيسة القبطية الأرثوذكسية وكل الشواهد وألقاب مريم تُشير إلى ذلك، إلا أنه يجب أن نَضع في

(١) ميخائيل شحاته : مريم العذراء القاهرة سنة ١٩٣٦ صفحة ١٤ .

الإعتبار أن الكنيسة الأرثوذكسية لا تتعرض إلى تحديد شيء في العقيدة لأنها تَعتبر أن العقيدة هي وديعة الإيمان ، وهي غير قابلة للزيادة أو النقصان .

والكنيسة الكاثوليكية بإعلانها رسمياً هذه العقيدة لم تَضف إلى وديعة الإيمان عقيدة جديدة ، ولكنها فقط أعلنت وأبرزت حقيقة موجودة ، حتى يأخذها المؤمنون بعين الإعتبار .

وقد إعتادت الكنيسة منذ مَهدها أن تُبرز للمؤمنين العقائد الإيمانية وتحددها ، كما سبق أن حددت في مجمع أفسس سنة ٤٣١ عقيدة أمومة العذراء مريم للمسيح الفادي ، وهذا لا يعني أن الكنيسة قبل مجمع أفسس لم تكن تؤمن بهذه العقيدة ، ولا يمكن القول أيضاً أن الكنيسة في مجمع أفسس قد إبتدعت هذه العقيدة .

وهكذا قل على عقيدة تنزيه مريم العذراء عن الخطيئة الأصلية .

وعلى ذلك يمكننا أن نقول أن مجمع أفسس بتحديده رسمياً عقيدة أمومة العذراء مريم للمسيح الفادي Θεοτοκοζ قد شمل بطريقة أوسع كل العقائد الممهدة للأمومة الإلهية أو تلك التي تتطلبها الأمومة الإلهية ، ومن البديهي أن الأمومة الإلهية تقتضي حتماً القداسة الدائمة والعِصمة من كل خطيئة .

وقد رسم مجمع أفسس بكل حق وصواب الطريق الذي سلكته الكنيسة عبر الأجيال سواء في تحديد حقيقة دوام بتولية العذراء مريم مع القديس إيرونيموس أو في تحديد حقيقة براءتها من الخطيئة الأصلية سنة ١٨٥٤ أو في تحديد حقيقة إنتقالها بالنفس والجسد إلى السماء سنة ١٩٥٠ .

وقد أسهب آباء الكنيسة الشرقية منذ القرون الأولى للمسيحية في مديح وتكريم مريم العذراء المنزهة عن الخطيئة الأصلية كما أسلفنا في تقليد الكنيسة الشرقية ، كما أسهبوا في تمجيدها في ميامرهم عن رقادها وانتقالها إلى السماء . هذا وتحتفل الكنيسة القبطية الإسكندرية منذ القِدم بعيد إنتقال سيدتنا مريم العذراء بالنفس والجسد إلى السماء في اليوم السادس عشر من شهر مسرى من كل عام كما هو وارد بكتاب السنكسار .

النصوص الطقسية في كتب الكنيسة الإسكندرية [١]

إن النصوص الطقسية في كتب الكنيسة القبطية الإسكندرية قد إمتازت بإكرام مريم وتبجيلها ، فقد خصصت لمديحها شهراً كاملاً متواصلاً هو شهر كيهك المبارك ، (وهو الشهر الأخير لحَبَل مريم ، وفيه تستعد الكنيسة لميلاد المخلص) فتمجد المسيح وهو لا يزال جنيناً في أحشاء أمه ، كما تعظم أيضاً أمه القديسة مريم في أوصاف غاية في الجمال والرقة ، في صلوات ومدائح عريقة في القدم ، كانت تقليداً شفهياً تتوارثه الأجيال قبل أن يدّون في الكتب، وإن دلَّ على شيء فهو يدل على قِدم مُعتقد الكنيسة الشرقية وبالأخص الكنيسة القبطية الاسكندرية في حقيقة تنزيه مريم العذراء من الخطيئة الأصلية ، فإن النصوص الطقسية إنما هي التعبير الصادق والأمين على معتقدات الكنيسة عبر الأجيال .

ولا يخفى ما لهذه النصوص من حُجج قاطعة لأنها تحتوي على المعتقدات الشعبية المتداولة في الكنيسة منذ مهدها .

ولم تترك الكنيسة القبطية تشبيهاً يدل على نقاء مريم وطهارتها إلا واستخدمته إعلاناً لبراءتها من كل دَنَس خطيئة وتعبيراً عن جمال نفسها الفريد .

وقد خصصت الكنيسة القبطية لإكرام مريم صلوات وابتهالات وتماجيد اشتملت على أعظم الصفات والألقاب ، وفاقت في مضمونها على تعظيم وتمجيد أعظم القديسين أو الملائكة أو الأنبياء ، فإن مريم ليست فقط طاهرة ، قديسة ، مُكرمة ، طوباوية ، ولكن تمَّ تلقيبها باسم : الطاهرة ، القديسة ، المكرمة ، الغير دنسة [٢] ، العروس النقية التي بلا عيب [٣] ، الهادئة ، زينة نفوسنا ، أم النور الحقيقي ، سيدتنا كلنا ، المنارة الذهبية ، فَخر جنسنا ، الحمامة الحسنة ، السماء الجديدة ، القبة الثانية ، المركبة الشاروبيمية ، إبنة صهيون ، جَبَل الله الدسم ، الكرمة النقية التي لم يفلحها أحد ، السحابة العظيمة حاملة القدوس ، والدة الإله ، الملكة الحقيقة ، العذراء كل حين البتول الكلية القداسة ، المباركة بين النساء ، التي لا مثيل لها ، شجرة الخُلد ، الإناء المختار الخالي من كل دَنَس ، التابوت الذي لا يَقبل الفساد ،

(١) وهي الكتب الطقسية المستعملة في الكنيستين القبطية الكاثوليكية والقبطية الأرثوذكسية .

(٢) كتاب الإبصلمودية السنوية طبعة سنة ١٩٠٨ صفحة ١٠٩ .

(٣) كتاب الأجبية أي السبع صلوات الليلية والنهارية طبعة سنة ١٩٣٦ صفحة ٨٦ .

فُلك نوح المرتفع فوق المياه التي فيها يغرق الكل ، مجد العذارى ، أم الله التي دفعت اللعنة القديمة .

وهكذا نُعتت العذراء بأجمل الأوصاف والألقاب التي لا يمكن تخصيصها بحال إلا بمن كانت حقاً مُنزهة من كل عيب أو دنس منذ بدء كيانها .

وإذا قارنت الكنيسة بين نقاوتها ونقاوة الساروفيم والشاروبيم صرَّحت بأنها تفوقهم جميعاً ، فهي أعظم من الأنبياء والقديسين ، وكثيراً ما تُشيد الكنيسة ببراءتها من كل خطيئة، فتشبهها تارة بالقبة التي هي قُدس الأقداس ، وتارة بالتابوت المصفَّح بالذهب ، والمصنوع من خشب غير قابل للفساد ، وعليقة موسى التي تشتعل ولكنها لا تحترق ، وفُلك نوح المرتفع فوق المياه التي فيها يغرق الكل ، والحمامة البهية التي بشَّرت بالصُلح والسلام بين الله والبشر ، والمنارة الذهبية ، إلى غير ذلك من التشابيه والإستعارات التي تُعتبر بلا شك فريدة في نوعها ومغزاها .

ولمريم دور إيجابي في حياة آدم وحواء ، فهي خلاص آدم وتهليل حواء ، وإنه بمريم دخل آدم وحواء إلى الفردوس بعد أن تثاقل عليهما حُكم الموت ، فهي التي دفعت عنهما اللعنة القديمة .

ولما كانت هذه النصوص كثيرة ومتعدِّدة يمكننا أن نُقسِّمها إلى سبعة مجموعات:

١- النصوص التي تعظِّم العذراء مريم بوجه عام وعددها كثير جداً يكاد لا يُحصى لأنه منثور في كل الكتب الطقسية ، وفي كل صلوة وكل مديحة .

٢- النصوص التي تَرفع العذراء مريم إلى مرتبة أعلى من السموات والسارافيم والشاروبيم .

٣- النصوص التي تُبجل مريم العذراء لأنها دائمة البتولية قبل ولادة المسيح ، وأثناء ولادته ، وبعد ولادته .

٤- النصوص التي تُعظم العذراء مريم بصفتها أم المسيح ، ولأنها وَلَدتْ لنا المسيح المخلص .

٥- النصوص التي تُشير فعلاً إلى فحوى العقيدة حيث تمدح ميلاد مريم العجيب .

٦- الأعياد التي رسمتها الكنيسة الإسكندرية احتفالاً بالحبل بمريم وبميلاد مريم .

٧- الترانيم الطقسية التي تُشير فعلاً إلى فحوى العقيدة .

أولاً: النصوص التي تعظّم العذراء مريم بوجه عام نذكر منها على سبيل المثال :

١- في نهاية قطع الساعة الثالثة نقول : " يا والدة الإله ، **أنت هي الكرمة الحقيقية** الحاملة عنقود الحياة ، نسألك **أيتها المملوءة نعمة** مع الرسل من أجل خلاص نفوسنا . . إذا ما وقفنا في هيكلك المقدس نُحسب كالقيام في السماء ، **يا والدة الإله ، أنت هي باب السماء** . إفتحي لنا باب الرحمة . " [١]

٢- وفي قطع الساعة السادسة نقول :

" إذ ليس لنا دالة ولا حُجة ولا معذرة من أجل كثرة خطايانا ، فنحن بك نتوسل إلى الذي وُلد منك ، **يا والدة الإله العذراء ، لأن شفاعتك كثيرة** ومقبولة عند مخلصنا **أيتها الأم الطاهرة** ، لا ترفضي الخطأة من شفاعتك عند الذي ولدتيه . . **أنت هي الممتلئة نعمة يا والدة الإله العذراء** نُسبحكِ لأنه من قبل صليب إبنك قد انهبط الجحيم وبطَلَ الموت " . [٢]

٣- وفي صلاة الغروب نقول :

" . . هيئي لي أسباب التوبة **أيتها العذراء ، فإليك أتضرع وبك أستشفع ، وإياك أدعو** أن تساعديني لئلا أخزى ، وعند مفارقة نفسي من جسدي أحضري عندي، ولمؤامرة الأعداء إهزمي ، ولأبواب الجحيم إغلقي ، لئلا يبتلعوا نفسي **يا عروس بلا عيب للختن الحقيقي** " . [٣]

٤- وفي صلاة النوم نقول :

" **أيتها العذراء الطاهرة** ، إسبلي ظلك سريع المعونة على عبدك ، وأبعدي أمواج الأفكار الرديئة عني . . فإنك **أم قادرة ، رحيمة ، معينة ، والدة ينبوع الحياة** ، ملكي وإلهي يسوع المسيح رجائي " . [٤]

---

(١) كتاب التضرعات والصلوات ، مكتبة المحبة القبطية الأرثوذكسية سنة ١٩٤٧ ص٢٩٧ ، ٢٩٨.

(٢) كتاب التضرعات والصلوات ، مكتبة المحبة القبطية الأرثوذكسية سنة ١٩٤٧ ص٣١١ ، ٣١٢.

(٣) كتاب التضرعات والصلوات ، مكتبة المحبة القبطية الأرثوذكسية سنة ١٩٤٧ ص ٣٣٧ .

(٤) كتاب التضرعات والصلوات ، مكتبة المحبة القبطية الأرثوذكسية سنة ١٩٤٧ ص ٣٤٩ .

- وفي صلاة نصف الليل (الخدمة الأولى) نقول :

أنتِ هي **سور خلاصنا** يا والدة الإله العذراء ، **الحصن المنيع غير المنثلم** ، إبطلي مشورة المعاندين ، وحُزن عبيدك رُديه إلى فرح ، وحصِّني مدينتنا ، وعن ملوكنا حاربي، وعن سلامة العالم تشفعي ، لأنك **أنت هي رجاؤنا** يا والدة الإله " . [١]

- وفي نهاية تحليل الكهنة بعد صلاة نصف الليل نقول :

إرحمنا يا الله كعظيم رحمتك ، **بشفاعة ذات الشفاعات ، معدن الطُهر والجود والبركات ، سيدتنا كلنا وفخر جنسنا ، العذراء البتول الزكية** مرتمريم " . [٢]

وهكذا في كل ساعات الليل والنهار تُمجِّد الكنيسة وتُطوِّب العذراء الكلية الطُهر والنقاء منذ أن قالت: " ها منذ الآن تُطوبني جميع الأجيال ." [٣]

- وفي الابصلمودية الكيهكية نُرتل للعذراء : السلام لمنبع الحياة ، السلام للإناء الذهبي **السلام للتابوت الذي بغير عيب** الذي فيه قبة الشهادة " . [٤]

- " حياة المسيحيين ، فخر العذارى ، الذهب المختار النقي ، مريم والدة الإله، كل إنسان يباركها ، الملائكة يُمجدونها ، المنارة النقية . [٥]

٥- وفي القداسات وصلوات رفع بخور عشية وباكر نَهتف مُرنمين ومُطوِّبين السيدة العذراء ففي اليد الأولى من البخور نقول :

" نعطيكِ السلام مع جبرائيل الملاك قائلين : السلام لكِ **يا ممتلئة نعمة** ، الرب معك ، إفرحي يا مريم **الحمامة الحسنة** التي وَلدتْ لنا الله الكلمة ، نعطيك السلام ."

وفي اليد الثانية من البخور نقول :

" السلام لك أيتها العذراء **الملكة الحقيقية** ، السلام **لفخر جنسنا** ، ولدتِ لنا عمانوئيل ."

---

(١) كتاب التضرعات والصلوات ، مكتبة المحبة القبطية الأرثوذكسية سنة ١٩٤٧ صفحة ٣٧٣ .

(٢) كتاب التضرعات والصلوات مكتبة المحبة القبطية الأرثوذكسية سنة ١٩٤٧ ص ٣٧٩ .

(٣) لو ١ : ٤٨ .

(٤) الابصلمودية الكيهكية طبعة ١٩٢١ صفحة ٢٠ عشية ابصالية واطس .

(٥) كتاب الابصاليات والطروحات سنة ١٩١٣ ص ١٢٨ (ابصالية واطس للسيدة العذراء ٦هاتور)

وفي اليد الثالثة من البخور نقول :

" نسألكِ أذكرينا **أيتها الشفيعة الأمينة** أمام ربنا يسوع المسيح ليغفر لنا خطايانا " . (١)

٦- وإذا ما ختم الكاهن صلوات رفع بخور عشيه أو باكر أو القداس يُعطي البركة قائلاً :

" إرفع يا رب شأن المسيحيين بقوة الصليب المحُيي ، يارب خلّص شعبك ، بارك ميراثك . . بالسؤالات والطلبات التي تصنعها عنا كل حين **سيدتنا وملكتنا كلنا** والدة الإله **القديسة الطاهرة مريم** . " (٢)

٧- وفي قسمة أعياد الملائكة نقول :

" **مقدسة ومملوءة مجداً والدة الإله الطاهرة** القديسة مريم العذراء آمين هلليلويا ." (٣)
ثم يقابل بين قداسة مريم وقداسة الذبيحة الإلهية نفسها .

٨- وفي الإعتراف بالإيمان قبل التناول يقول الكاهن :

" أعترف أن هذا هو بالحقيقة الجسد المحيي الذي لإبنك الوحيد ربنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح أخذه من **سيدتنا وملكتنا كلنا والدة الإله القديسة الطاهرة مريم** . " (٤)

٩- وفي مديحة للعذراء نقول :

. . . السلام لك أيتها العذراء التي لا يَقدِر لسان بشري أن يَبلغ وصف فضائلك، لأن جميع الفضائل المتفرقة في القديسين كملت فيكِ . . **طوباكِ أنتِ يا مريم الطاهرة القديسة التي بلا عيب** . . . السلام لك يا مريم **ذات القدس والطهارة والعفة** . **المختارة من جنس البشر** . . . **السلام لكِ يا من ظهر نورها واشتهر ، السلام لكِ يا من شُمّ بخورها وفاح ، السلام لك يا من أشرق كوكبها ولاح** " . (٥)

---

(١) كتاب الخولاجي المقدس . القمص عطالله أرسانيوس المحرقي سنة ١٩٥٩ صفحة ٤٧ ، ٤٨ .

(٢) كتاب الخولاجي المقدس . القمص عطالله أرسانيوس المحرقي سنة ١٩٥٩ صفحة ١٤٩ .

(٣) نفس المرجع صفحة ٧٠٧ .

(٤) نفس المرجع صفحة ٤٠٠ .

(٥) كتاب الابصلمودية الكيهكية المقدسة طبعة القمص عطالله أرسانيوس المحرقي سنة ٥٦ صفحة ٢٨٨.

١٠- وفي تبجيل للعذراء في أحد الميامر العريقة في القدم نقول :

" عظيمة هي الكرامة التي إستحقَيتَها يا غبريال الملاك المبشِّر بميلاد الإله ، الذي أتى إلينا من **العذراء الطاهرة** ، مرتمريم **غير الدنسة** ، وقلت لها إفرحي يا **ممتلئة نعمة الرب معكِ** ، لأنكِ وجدتِ نعمة لدى الروح القدس الذي حل عليكِ . .

نطوبكِ ونمدحكِ أيتها **البتول** لأنك صرتِ **أمّاً وعذراء معاً** .

إفرحي أيتها العذراء **الطاهرة بغير فساد** لأن كلمة الآب أتى وتجسد منكِ .

إفرحي أيتها **الإناء المختار التي حَملتِ بغير دنس** .

إفرحي أيتها **السماء الثانية** التي للمسيح آدم الثاني الذي جاء وخلص آدم الأول .

إفرحي أيتها **المكان الطاهر** الذي جمع الطبائع المختلفة وجعلها واحدة بغير إختلاط .

إفرحي أيتها **الخِدر الملوكي** الذي دخله رب المجد وصار مع البشر .

إفرحي أيتها **العوسجة الروحية** التي لم تحرقها نار اللاهوت . [١]

١١- وفي طقس الزواج بعد الصلاة الأولى للزواج يقول المرتلون :

" . . . **باب المشرق** هو مريم العذراء **الخِدر الطاهر** الذي للختن الحقيقي "

وبعد الصلاة الثانية للزواج يقول المرتلون :

" . . . كل ملوك الأرض يسيرون **في نورك** ، والأمم **في بهائك** يامريم **أم الله** ، سليمان يدعوك في نشيد الأنشاد قائلاً :أختي ، حبيبتي ، **مدينتي الحقيقية أورشليم** "

وبعد الصلاة الثالثة للزواج يقول المرتلون :

" . . . مضيئة أنتِ أكثر من الشمس ، أنت هي ناحية المشرق ، التي ينتظرها الأبرار بفرح وتهليل " . [٢]

---

(١) كتاب اللآلئ السنية في الميامر والعجائب المريمية ، طُبع بمعرفة وعلى نفقة ناشد سركيس مدرس الدين واللغة القبطية بكلية الأقباط الأرثوذكس الطبعة الأولى سنة ١٩٣٦ الميمر العاشر في نياحة السيدة العذراء لواضعه القديس الأنبا كيرلس بطريرك الإسكندرية صفحة ٢١٠ .

(٢) كتاب خدمة الشماس والألحان طبعة نهضة الكنائس سنة ١٩٥١ صفحة ٥٢٢ - ٥٢٤ .

راجع أيضاً كتاب صلوات الخدمات في الكنيسة القبطية الأرثوذكسية مكتبة المحبة سنة ١٩٧١ صفحة ١٠٣ - ١٠٦ .

١٢- وفي القطعة اليونانية الثالثة لبشارة السيدة العذراء يقال :

" القصد الذي قبل كل الدهور ليكشف لك أيتها الفتاة أن جبرائيل قد حضر إليكِ وسلّم عليكِ قائلاً :

إفرحي يا أرضاً غير مبذورة .

إفرحي يا عوسجة غير محترقة .

إفرحي يا عُمقاً يمتنع النظر إليه .

إفرحي يا جِسراً ناقلاً إلى السموات .

إفرحي أيتها السلم الذي شاهده يعقوب .

إفرحي يا جرَّة المن الإلهية .

إفرحي يا إنحلال اللعنة .

إفرحي يا إستعادة آدم . الرب معكِ . (١)

ثانياً : النصوص التي تقارن قداستها مع كافة الخلائق ثم تعلن تفضيلها وسموّها على الآباء الرسل والملائكة والقديسين والسارافيم والشاروبيم : (٢)

- إرتفعتِ جداً **أكثر من البطاركة** ، **وأفضل من الأنبياء** كرامة ، لأنك أنتِ حقاً فخر جنسنا ، كل الأسماء العلوية غير المتجسدة ، **ألوف الملائكة** ورؤساء الملائكة **لم يبلغوا إرتفاع غبطاتك** يا من إشتملتِ بمجد رب الصباؤوت . " (٣)

- **كل الرتب السمائية ينطقون بغبطتكِ** لأنكِ سماء ثانية على الأرض . " (٤)

- وجدتِ نعمة أيتها العروس ، **نطق بكرامتكِ كثير من الرؤساء** ، حيث كلمة الآب غير المحسوس ، تجسد منكِ بحكمة غير مبحوثة .

---

(١) كتاب خدمة الشماس والألحان طبعة نهضة الكنائس سنة ١٩٥١ صفحة ٤٩٢ .

(٢) راجع العذراء في اللاهوت النسكي. للأب متى المسكين . منشورات دير أبو مقار برية شيهيت.

(٣) ثيودوكية يوم الإثنين .

(٤) ثيودوكية يوم الأربعاء .

- **مَن في النساء** الأرضيات صارت أماً للإله بثبات ، **سواكِ يا مريم** في البشريات ، حيث صرتِ أماً لمنشئ الكائنات ، نساء كثيرات نلن كرامات ، وفُزن بالملكوت بثبات ، و لم يبلغن**كرامتكِ** بالمساواه ، **أيتها الحسنة في النساء الطاهرات** . (١)

- **إرتفعتِ أكثر من السمائيات ، ومُكرمة أكثر من الأرضياتِ** ، وكل ما يوجد فيها من مخلوقات لأنك صرتِ أماً للخالق بثبات ، **أنت هي بالحقيقة الخدر الطاهر** والهيكل والمسكن والقصر الباهر للمسيح الختن الرب القادر حسب الأصوات النبوية . " (٢)

- بواجب الإستئهال حقاً نغبط والدة الإله ، الدائمة الطوبى ، البريئة من العيوب أم إلهنا ، التي هي **أكرم من الشاروبيم وأرفع مجداً بغير قياس من السارافيم**، التي بغير فسادٍ ولَدت كلمة الله ، حقاً إنكِ والدة الإله . لكِ نُعظم . " (٣)

- إلتحفتِ بالطهارة داخلاً وخارجاً ، أيتها **القبة الثانية ، مَسكن الصديقين ، طغمات الملائكة وصفوف الأبرار يمجدون طوباويتك** . " (٤)

- مجدك يا **مريم مرتفع أكثر من السماء** ، **وأكرم من الأرض وسكانها** ، يا من لبستِ لُباس السمائيين ، لتستري آدم بلباس النعمة ، أصعدتيه سعيداً إلى الفردوس ، محل النعيم ومسكن الصديقين . " (٥)

- **حقاً فُضّلتِ أيتها العذراء على نساء العالم العفيفات ، لأن النور الذي تسربلتِ به يفوق كل الأنوار** ، وتشبهت بسماء السموات . . وصرت مركبه شاروبيمية . . وكرسياً ملوكياً . . مثل السارافيم تعالى مجدك ، من أجل طُهركِ وعفتكِ ، اشتملتِ بأنوار إلهية ونعمة لاهوتية . " (٦)

- **عظيمة هي كرامتك يا سيدة نساء العالمين أكثر من جميع القديسين** ، لأنك استحقيتِ

---

(١) كتاب خدمة الشماس والألحان طبعة نهضة الكنائس سنة ١٩٥١لحن البركة (السلام لمريم) المقطع الثالث والرابع والخامس صفحة ٣٥ .

(٢) نفس المرجع صفحة ٣٥ المقطع الثامن والتاسع .

(٣) نفس المرجع صفحة ٤٩٤ القطعة السادسة للسيدة العذراء تقال في التوزيع .

(٤) كتاب الثيودوكيات والابصلموديات صفحة ٦٣ .

(٥) نفس المرجع صفحة ٧٠ .

(٦) اللآلئ السنيه في الميامر والعجائب المريمية ناشد سركيس سنة ١٩٣٦ صفحة ١٨٦ .

أن يسكن في أحشائك الله الكلمة ، الذي ترتعد من رؤياه الملائكة ، حقاً ارتفعت أيتها الطاهرة ، أكثر من الشاروبيم والساروفيم ، وصرت هيكلاً للثالوث الأقدس" . (١)

- وفي مجمع القديسين نقول : تفضل يارب أن تذكر جميع القديسين الذين أرضوكَ منذ البدء . . . وبالأكثر القديسة المملوءة مجداً كل حين ، **والدة الإله القديسة الطاهرة مريم** ، التي وَلَدتْ الله الكلمة بالحقيقة . " (٢)

وتعبيراً عن هذا المعتقد فإن الجهة البحرية في الكنيسة ، التي فيها صورة العذراء مريم ، مفضّلة على الجهة القبلية ، وكأن الكنيسة قد قصدت بهذا الوضع أن تُعلم المؤمنين أن العذراء مريم هي في مقدمة من ينبغي إكرامهم من القديسين والشهداء، أما تقديم البخور لها فلكي تُذكِّر الشعب أن إكرامها مقبول عند الله كسائر الصلوات التي تَرفعها إليه .

إن هذه التعبيرات الطقسية لهي أروع ما توصف به العذراء مريم في التعبير عن سموِّها فوق جميع الخلائق ، وفي شمولها لجميع الفضائل ، وخاصة طهارتها الفائقة ، وبراءتها التامة من كل عيب وكل فساد وكل خطيئة . فإنها المخلوقة الوحيدة التي ارتفعت أكثر من السموات ، فهي أكرم من الشاروبيم وأرفع مجداً بغير قياس من السارافيم ، ولا شك أن شهادة هذه الكتب الطقسية لها من القوةِ والوضوحِ ما لا يحتاج معه إلى مزيد ، وأن هذه الشهادات تكفي وحدها للتدليل على مضمون العقيدة وقدميتها ، لأنه كيف يُعقل أن تلقّب مريم بالدائمة الطوبى ، المملوة مجداً كل حين والبريئة من كل عيب ، ويتم تطوبيها وتمجيدها في الكنيسة ثم يُنسب إليها عيب من أفظع العيوب ، ألا وهو الخطيئة الأصلية ، التي بسببها يُولد الإنسان مجرداً من النعمة المبرِّرة ، وكيف يُعقل أن تكون مريم أكرم من الشاروبيم وأرفع مجداً من السارافيم ، وقد كانت يوماً تحت قبضة الشيطان وتلوّثت بالخطيئة ولو إلى دقائق معدودات !

---

(١) نفس المرجع السابق صفحة ٢١٠ .

(٢) صلاة المجمع في القداس الباسيلي .

ثالثاً : النصوص التي تُبجِّل العذراء مريم لأنها دائمة البتولية قبل ولادة المسيح ، وأثناء ولادته وبعد ولادته .

- في قطع صلاة باكر نقول :

أنتِ هي أم النور المكرمة ، من مشارق الشمس إلى مغاربها ، يُقدمون لك تمجيدات يا والدة الإله ، السماء الثانية ، لأنك أنت هي **الزهرة النيِّرة غير المتغيرة** ، **والأم الباقية عذراء** ، لأن الرب اختارك ، والروح القدس ظللك ، والإبن تنازل وتجسد منك ، فاسأليه أن يعطي الخلاص للعالم الذي خَلَقه ، وأن يُنجيه من التجارب " . (١)

- السلام لك أيتها **العذراء النقية العديمة الفساد** ، التي كلمة الآب أتى وتجسَّد منكِ ، **السلام للإناء الغير معيوب المصطفى الذي لبتوليتك الحقيقية الكاملة** . " (٢)

- وفي ترحيم الآباء البطاركه السالفين نقول :

" بصلوات وشفاعات ذات كل قداسة ، الممجدة الطاهرة ، سيدتنا والدة الإله ، **الدائمة البتولية** مريم . " (٣)

- وفي قسمة الميلاد نقول :

" الكائن في حُضنه الأبوي كل حين . . **أتى وحلَّ في الحشاء البتولي غير الدنس** ، ولدته وهي عذراء **وبتوليتها مختومة** . " (٤)

- وفي التماجيد من تذاكية الأحد نقول :

" . . مرتفعة أنتِ بالحقيقة أكثر من عصا هارون ، أيتها الممتلئة نعمة ، ما هي العصا إلا مريم لأنها مثال بتوليتها ، **حبلت وولدت بغير مباضعة** ، إبنَ العلي الكلمة الذاتي . . دُعيتِ يا مريم العذراء الزهره المقدسة التي للبخور ، طلعتْ وأزهرتْ من أصل رؤساء الآباء ، مثل عصا هارون الكاهن ، أزهرتِ وأوسقتِ ثمرة لأنكِ ولدتِ الكلمة بغير زرع بشر **وبتوليتكِ**

(١) كتاب الأجبية - صلاة باكر .

(٢) تذاكية يوم الأربعاء .

(٣) صلاة الترحيم في القداس الباسيلي . الخولاجي المقدس عطالله أرسانيوس سنة ١٩٥٩ ص ٣٦٠.

(٤) قسمة الميلاد . الخولاجي المقدس عطالله أرسانيوس سنة ١٩٥٩ صفحة ٦٦٩ .

بلافساد . . " (١)

- وفي البيان المشترك الذي وَقَّعَ عليه قداسة البابا بولس السادس والبابا شنوده الثالث بمدينة الفاتيكان في ١٠ مايو ١٩٧٣ وهو تعبير عن الإيمان المشترك بين الكنيستين الكاثوليكية والأرثوذكسية فيما لا خلاف فيه جاء ما نصه :

" ونحن نُكرِّم العذراء مريم أم النور الحقيقي ، ونعترف **أنها دائمة البتولية** ، وأنها والدة الإله ، وأنها تشفع فينا ، وأنها بصفتها والدة الإله (ثيوتوكوس) تفوق في كرامتها كرامة جميع الطغمات الملائكية ."

بولس السادس	شنوده الثالث
أسقف روما وبابا الكنيسة الكاثوليكية	بابا الأسكندرية وبطريريك الكرسي المرقسي
(توقيع)	(توقيع) (٢)

رابعاً : النصوص التي تعظِّم مريم العذراء بصفتها أم المسيح ولأنها ولدتْ لنا المسيح :

- في ختام صلاة باكر نقول :

السلام لكِ نسألكِ **أيتها القديسة الممتلئة مجداً** ، العذراء كل حين ، **والدة الإله** ، أم المسيح ، أصعدي صلواتنا إلى إبنك الحبيب ليغفر لنا خطايانا ، **السلام للتي وَلَدتْ لنا النور الحقيقي** المسيح إلهنا ، العذراء القديسة ، سلي الرب ليصنع رحمة مع نفوسنا، ويغفر لنا خطايانا ، **أيتها العذراء مريم والدة الإله القديسة ، الشفيعة الأمينة لجنس البشر** ، اشفعي فينا لدى المسيح الذي وَلَدتيه ، لكي يُنعم لنا بغفران خطايانا ، السلام لك **أيتها العذراء الملكة الحقيقية** ، السلام لفخر جنسنا ، **ولدتِ لنا عمانوئيل** ، نسألكِ أذكرينا أيتها الشفيعة المؤتمنة

---

(١) كتاب خدمة الشماس والألحان طبعة نهضة الكنائس سنة ١٩٥٩ ص ٥٠٧ ، ٥٠٩ .

(٢) راجع مجلة مرقس القبطية الأرثوذكسية عدد أغسطس ١٩٧٣ صفحة ٢٤ .

أمام ربنا يسوع المسيح ليغفر لنا خطايانا . " (١)

- وفي مقدمة قانون الإيمان نقول :

نعظمكِ يا أم النور الحقيقي ، ونمجدك أيتها القديسة العذراء والدة الإله **لأنكِ ولدتِ لنا مُخلص العالم** ، أتى وخلّص نفوسنا " (٢)

- وفي قسمة القيامة نقول :

" هذا الجسد الذي أخذه من سيدتنا وملكتنا كلنا القديسة مريم ، **جعله واحداً مع لاهوته** " . (٣)

- وفي مرد إبركسيس يُقال في شهر كيهك للسيدة العذراء جاء :

السلام لكِ يا مريم **الحمامة الحسنة التي ولدت لنا الله الكلمة** " (٤)

- وفي ذكسولوجية للعذراء تقال في سائر أعيادها :

السلام **لشجرة الحياة** ذات عدم الموت . . **السلام للأصل الطاهر النبوي** . .

السلام **للبخور المختار** الذي ملأ السموات والأرض . .

السلام **للتي ولدت لنا الإله الكلمة** ، مخلصنا يسوع أتى وخلّصنا . " (٥)

- " **منكِ أيتها الطاهرة إتخذ (المسيح) جسداً بشرياً** ، لم يتغير لاهوته بل صار إنساناً كاملاً لكي يحل الخطيئة ، خطيئة آدم . . . **من يقدر أن يُطوّبك أيتها الحمامة النقية أم المسيح** ، تسبحه الملائكة والشاروبيم والساروفيم . . " . (٦)

---

(١) من كتاب الأجبية صلاة باكر .

(٢) كما قرر المجمع المسكوني الثالث المنعقد في أفسس سنة ٤٣١ ، كتاب الأجبية - صلاة باكر .

(٣) الخولاجي المقدس عطالله أرسانيوس المحرقي سنة ١٩٥٩ صفحة ٦٨٧ - ٦٨٨ .

(٤) كتاب خدمة الشماس والألحان طبعة نهضة الكنائس سنة ١٩٥١ صفحة ١٩٥ .

(٥) كتاب التماجيد المقدسة ، عني بطبعة القس دومادیوس البراموسي ، طُبع بإذن البطريرك الأنبا كيرلس الخامس سنة ١٩٢٢ صفحة ٥٠ ، ٥١ .

(٦) اللآلئ السنية في الميامر والعجائب المريمية ناشد سركيس سنة ١٩٣٦ .
الميمر الثاني في دخول العذراء إلى الهيكل لواضعه الأنبا كيرلس أسقف أورشليم صفحة ٣٨ .

– طوبى لنا نحن جماعة السمائيين على هذا الإستحقاق ، نحو مناظرة وخدمة سيدتنا **العذراء النقيه ، الخدر الملوكي ، الحمامة غير الدنسة ، أم ملك الملوك ، مخلّص العالم .** " (١)

– عظيمة هي الكرامة التي إستحقيتَها يا غبريال الملاك المبشر بميلاد الله ، الذي أتى إلينا من **العذراء الطاهرة مرتمريم غير الدنسة** ، وقلت لها إفرحي **يا ممتلئة نعمة** الرب معكِ ، لأنكِ وجدت نعمة لدى الروح القدس الذي حلَّ عليكِ ، وقوة العلي التي ظللتكِ ، **لأن المولود منكِ قدوس** وإبن العلي يُدعى . . . **إفرحي أيتها العذراء الطاهرة بغير فساد** لأن **كلمة الآب أتى وتجسد منكِ** . . . إفرحي أيتها **الإناء المختار التي حملت بغير دنس .** " (٢)

– **من هي تُدعى غير الدنسة إلا مريم بطهارتها** . . (٣)

والسؤال الذي يطرح ذاته هنا هو :

هل تطهَّرت مريم وقت البشارة أم كانت طاهرة قبل البشارة ؟

هناك رأي ينادي بالتطهير وقت البشارة مستنداً في ذلك على قول الملاك للعذراء " الروح القدس يحل عليكِ وقوة العلي تظللكِ ولذا فالمولود منكِ قدوس يُدعى إبن الله " . (لو١:٢٥)

إن حلول الروح القدس على العذراء في هذه المناسبة له من القوة ما يجعل العذراء أهلاً للأمومة الإلهية ، فإن قوة العلي ستظللها بسبب القدوس الذي سيولد منها ، وليس معنى ذلك أنها لم تكن في حال النعمة قبل ذلك ، وإلا بطُلَ السبب الذي من أجله اختارها الله وفضَّلها وإصطفاها منذ الأزل لتكون أماً له .

فإن الملاك قبل أن يبشرها بالحبل الإلهي ، بادر بتوجيه التحيه إليها قائلاً :

" السلام لكِ يا ممتلئة نعمة " والإمتلاء من النعمة يتعارض مع أي خطيئة من أي نوع كانت ، لذلك فإن العذراء ممتلئة نعمة قبل البشارة وقبل نزول كلمة الله إليها ، وكيف تكون

---

(١) نفس المرجع السابق الميمر الرابع في حلول السيدة العذراء بحبل قسقام لواضعه القديس الأنبا ثاوفيلس بطريرك الأسكندرية صفحة ٨٣ .

(٢) نفس المرجع السابق الميمر العاشر صفحة ٢١٠ .

(٣) كتاب الدرَّة الأرثوذكسية في المدائح والتراتيل الكنسية للشماس فرج عبد المسيح الطبعة الأولى سنة ١٩٨٣ صفحة ٣٠ .

العذراء ملوثة النفس بالخطيئة الأصلية وفي الوقت نفسه يدعوها الملاك : " يا ممتلئة نعمة " !

وتأكيداً لهذا المعنى فقد استعمل الوحي الإلهي صيغة الصفة المشبَّهة التي تدل على ثبوت الصفة لصاحبها بمعزل عن الزمان والمكان ، وهو تعبير يدل على " الحاضر الدائم " وما ذلك إلا للدلالة على أن العذراء الطاهرة هي كاملة القداسة ، ودائمة القداسة ، وبالتالي فهي قديسة منذ لحظة الحبل بها .

ومما لا جدال فيه أن الصفة المذكورة تدل دلالة قاطعة على أن العذراء الطاهرة كانت قبل تحية الملاك وقبل البشارة ، كاملة البرارة والقداسة ، ولم تكن تحية الملاك بالنسبة لها سوى إعلان وتمجيد لحالة الإمتلاء من النعمة التي كانت مريم حائزة عليها وتتمتع بها على الدوام منذ لحظة بدء كيانها . (١)

ويؤيد هذا المعنى نقولاوس كبازيلاس بقوله : " أما عن بشارة الملاك لها (لمريم) فلم يكن من أثره شيء من التبرير أو التطهير ، وإن كان بعض الآباء قالوا بأن الروح القدس طهَّرها فهم لا يعنون بذلك سوى زيادة النعمة فيها ، بدليل أنهم في كلامهم عن الملائكة يقولون بتطهيرهم وليس فيهم شئ من الشر . " (٢)

والنصوص الطقسية العريقة في القدم في كُتب الكنيسة القبطية الأسكندرية تؤيد هذا المعنى ، فإن العذراء مريم هي مختارة من الله منذ الأزل أو على الأقل منذ لحظة بدء كيانها في أحشاء والدتها :

- " يا مريم حلو إسمكِ في كل الأفواه **بطهارة جسمك** فزنا من كل خطأة .
وأنت في بطن أمك إختارك الإله وأنا أقبل قدميك يا جوهر مكنون " . (٣)
- " **مختارة من بطن أمكِ** بحلول روح الجبار
المولود منكِ قدوس تَسجد له الرؤساء والأجناد " . (٤)

---

(١) راجع أيضاً ما قيل عن إمتلاء مريم من النعمة في الدليل الثالث الكتابي صفحة ٧٠ من هذا الكتاب لعدم التكرار .

(٢) موسوعة الآباء الشرقيين P.O مجلد ١٩ صفحة ٤٧٦ ، ٤٧٧ .

(٣) الابصلمودية الكيهكية طبعة اقلاديوس لبيب سنة ١٩١١ صفحة ٩١٥ .

(٤) نفس المرجع السابق ص ٣٩٤ تذاكية عربي واطسِ مرتبة على تذاكية يوم الأربعاء .

والعذراء أيضاً هي طاهرة ونقية قبل بشارة الملاك لها ، ففي تمجيد لعيد البشارة يخاطب الله الملاك جبرائيل قبل أن يُرسله للعذراء قائلاً :

تعالَ أرسلك يا غبريال **إلى العذراء الطاهرة** لتعدها هيكلاً للإبن الوحيد الجنس .

تعالَ أرسلك يا غبريال إلى **العذراء النقية** لتعدها سماء جديدة لهيكل الإبن الوحيد .

تعالَ أرسلك يا غبريال **إلى السفينة العقلية** التي خلّصت نوح البار من ماء الطوفان . . [١]

- وفي تمجيد آخر للقديسة دميانة نمدح العذراء قائلين :

" **السلام للنقية ، السلام للكلية الطهارة** ، العذراء المختارة .

السلام للبتول **غير الدنسة ، المملوءة قداسة** عروس الحمل .

السلام للمتلئة نعمة منذ طفولتها ، السلام **للمباركة في جميع العذارى** " . [٢]

ومن الغريب المدهش أن أصحاب هذا الرأي أي التطهير وقت البشارة ، يعترفون ويقرون بأن مريم العذراء كانت بتولاً قبل ولادة المسيح ، وأثناء ولادة المسيح ، وبعد ولادة المسيح ، ويلقبونها بالعذراء كل حين أو بالدائمة البتولية . فإن كان الله بأعجوبة باهرة قد حافظ على بتوليتها دون مساس ليحافظ على كرامته ومهابته تمهيداً لتجسد إبنه الحبيب ، هل كان يصعب عليه تعالى أن يصون نفس أمه ، ويعصمها من التلوث بالخطيئة الأصلية منذ لحظة الحبل بها . ؟

ويجدر بنا في هذا المقام أن نردد التعبيرات الجميلة التي وردت على لسان نيافة الأنبا تيموثاوس الأسقف العام في كتابه " مريم في الكنيسة القبطية " طبعة سنة ١٩٩٠ جاء ما نصه :

- أما القديسة الطاهرة مريم العذراء فقد خلقها (الله) لتكون أمّاً له ، وهذا هو العجب العجاب أن الخالق بالأمس يولد اليوم ، والمخلوقة تصير أمّاً لخالقها ، **فهي أسمى وأعظم مخلوق في السماء وعلى الأرض** . (صفحة ١٩) .

---

(١) كتاب التماجيد المقدسة عني بطبعة القس دوماديوس البراموسي ، طُبع بإذن البطريرك الأنبا كيرلس الخامس سنة ١٩٢٢ صفحة ٦٧ .

(٢) نفس المرجع السابق صفحة ١٨٠ .

ثم يتحدث عن التجسد فيقول :

" وهذا الجسد الذي يتحد بلاهوته ينبغي أن يؤخذ من أقدس عذراء في تاريخ العالم كله، **ويكون جسداً مقدساً يخرج من جسد مقدس** ، ليكون الجسد المقدس بلا خطيئة ليؤهل أن يتحد باللاهوت ، ولكي يكون صالحاً أن يقدم الكفارة العامة عن خطايا العالم . " (ص ٢٣)

ثم يتساءل عن مكانة مريم العذراء ودورها في سر التجسد فيقول :

- " وكيف يمكن أن يحل اللاهوت في بطن العذراء ويأخذ جسداً من جسدها ويتحد به ويصير معه واحداً إذا كان **في هذا البطن الطاهر** شيئاً من الخطيئة أو شبه الخطيئة ؟ " (صفحة ٧٢) .

- " **كيف يسكن الإله في جسم فيه خطيئة** وما معنى قول بولس الرسول عن المسيح له المجد "قد انفصل عن الخطأة وصار أعلى من السموات ؟ " (صفحة ٧٢) .

- " ولكي يخرج النور بهياً لابد أن يخرج من جسم نظيف بهي زاهي أيضاً ، **ومريم العذراء هي الجسم الزاهي المنير ، والروح الطاهرة المقدسة التي هي نور من الداخل والخارج** ، وخرج منها الذي قال عن نفسه : " ما دُمت في العالم فأنا نور العالم" . (صفحة ١١٣) .

- " وحصيلة القول : إن مريم نور ، وأخرجت نوراً إلى العالم ، **لأن بها** ، **وبها فقط** ، خرج النور وخرجت الحياة إلى العالم . ولولا النور المشرق من مريم - المسيح الهنا - ما كان العالم رأى نوراً وخلاصاً ، ولظلت الخليقة تائهة وقابعة في ظلام الجهل والخطيئة والموت الأبدي إلى ما لا نهاية " . (صفحة ١١٤) .

- " لذلك رأى الرب إيمانها وتواضعها قبل أن يتجسد منها ، قرر أن مريم هي **الوحيدة في كل الخليقة منذ آدم إلي نهاية الأيام ، هي فقط التي تصلح أن تكون أماً له** ، وهي التي تستحق تسبيح الملائكة وتمجيد البشر ، وهي التي تستحق أن تجلس عن يمين ابنها في السماء ." (صفحة ١٥٧) .

- لقد أعطى الرب الإله مريم شخصية متكاملة الفضائل ، **وقد رأى فيها هذه الفضائل قبل أن يخلقها** بمقتضى علمه السابق ، **وخرجت من بين يديه الطاهرتين في قمة الكمال نفساً وجسماً وروحاً** . (صفحة ١٩٠) .

- واختار أمه بنفسه ، **بل خلقها مجهزة بكل أنواع الفضائل ، ووضع فيها ما**

يريده أن يكون فيها لتكون أماً له . (صفحة ١٩٤) .

- انه (الله) اختار أماً طاهرة نقية ، لو قورنت بكل ما في العالم من جواهر وثروات وأمجاد عالمية وقصور ملكية . . لظهرت كنقطة سوداء أمام ضوء الشمس . . **هكذا تظهر مريم فريدة بين كل الخلائق** . . أما الإستقبال الذي قوبلت به مريم لكونها الأم المختارة من إبنها الإله فكان استقبالاً سماوياً لا أرضياً . (صفحة ١٩٥) .

- لم يكن سهلاً أن توجد هذه العذراء التي تكون كاملة الصفات لتكون أماً لله، طبيعي الغير مستطاع أمام الناس مستطاع أمام الله ، **ولكن الله يختار الإنسان بناء على سابق علمه بأن هذا الإنسان يستحق الإختيار** ، لميوله الصالحة **وطبيعته الطيبة** . (صفحة ٢٢٤) .

فهل بعد هذه التصريحات البديعة يستطيع أي إنسان أن يتجاسر ويقول أن العذراء مريم تلطخت بوصمة الخطيئة الأصلية ثم تبررت منها في لحظة البشارة ؟ ؟ !

خامساً : النصوص التي تشير فعلاً إلى تنزيه مريم العذراء من الخطيئة الأصلية حيث تمدح ميلاد مريم العجيب .

- **" السـلام للتي طمست الموت إلى أسفل مذ كانت في أحشاء والدتها المؤمنة "** (١)

---

(١) راجع كتاب الدفنار اليوم الحادي والعشرون من شهر توت ، التذكار الشهري لوالدة الإله ، عني بطبعة القس دوماديوس البراموسي ، بإذن البابا كيرلس الخامس سنة ١٦٣٨ للشهداء ، سنة ١٩٢٢ ميلادية .

ملحوظة ١ : أما في كتاب الدفنار قبطي عربي الذي عني بطبعه الأنبا متاوس ، الأسقف العام ونشرته لجنة التحرير والنشر بمطرانية بني سويف سنة ١٩٨٥ في اليوم الحادي والعشرين من شهر توت جاء في حاشية ١صفحة ٤١ ما نصه :

" بعد الرُبع الثاني وقبل هذا الربع يوجد رُبع آخر (هنا يسرد النص القبطي) ثم يقول أن هذا النص يعني : " السلام للتي طمست الموت إلى أسفل مذ كانت في أحشاء والدتها المؤمنة " .

ثم يُكمل : **" هذا لم توورده في المتن لعدم إتفاقه مع العقيدة الأرثوذكسية التي تؤمن أن العذراء مريم كانت نقية بعمل الله وبطاعتها ، ليس لأنها وُلدت هكذا "** . ؟؟؟

ملحوظة ٢ : وفي كتاب الدفنار الجزء الأول الذي عنيت بطبعه كنيسة السيدة العذراء بالفجالة سنة ١٩٨٤ بمناسبة العيد المئوي للكنيسة في اليوم الحادي والعشرين من شهر توت **أغفل الناشر هذا النص تماماً واعتبره كأنه لم يكن . ! ! !**

قد تضمّن هذا التعبير مفهوم عقيدة تنزيه مريم العذراء عن الخطيئة الأصلية في وضوح وجلاء، ذلك لأن الموت الذي طمسته مريم ليس هو الموت الطبيعي المحتم على كل إنسان ، ولكنه الموت الأدبي ، فقد طمست موت الخطيئة منذ كانت في أحشاء أمها ، لذا وجب القول بأن الله قد خلقها منذ أول لحظة من كيانها مُنزّهة عن الخطيئة الأصلية ، هي التي تمجدها الكنيسة قائلة : " طوباكِ يا مريم لأنك إشتملتِ بالطُهرِ منذ كنتِ في الأحشاء . " (١)

- في نهاية صلاة نصف الليل (الخدمة الثانية) تقول :

" السموات تطوبكِ أيتها الممتلئة نعمة العروس بلا زواج ، **ونحن أيضاً نمجد ميلادك غير المُدرك** ، يا والدة الإله ، يا أم الرحمة والخلاص تشفعي من أجل خلاص نفوسنا . " (٢)

- وفي قطع صلاة نصف الليل (الخدمة الثالثة) تقول :

" يا باب الحياة العقلي ، يا والدة الإله المكرّمة ، خلّصي الذين إلتجأوا إليكِ بإيمان من الشدائد ، **لكي نُمجد ميلادكِ الطاهر** في كل شئ من أجل خلاص نفوسنا." (٣)

- بالحقيقة صارت السيدة العذراء **مختارة ومكرّمة من بطن أمها لأنها وُلدتْ بطُهر**

---

(١) كتاب دورة عيدي الصليب وطروحات الصوم الكبير والخمسين ، طبعة القمص أرسانيوس عطالله المحرقي سنة ١٩٥٩ طرح واطس في ٢١ من كل شهر .

(٢) كتاب الأجبية " السبع صلوات الليلية والنهارية " حجم صغير ، الذي تنشره مكتبة المحبة بدون ذكر سنة الطبع صفحة ١٧٣ .

(٣) نفس المرجع السابق صفحة ١٧٦ .

ملحوظة : في هذه الطبعة الحديثة يُضاف تفسير في الهامش لكلمة " ميلادكِ " فيشرحها :" ولادتك للمسيح " **ولكن هذه الإضافة الهامشية الحديثة لا تتماشى مع سياق النص ولا أصل لها في الطبعات القديمة** .راجع كتاب الأجبية طبعة جرجس فلتاووس عوض سنة ١٦٣٠ش (١٩١٤م) صفحة ٢٣٣.

- راجع كتاب التضرعات والصلوات مكتبة المحبة القبطية الأرثوذكسية سنة ١٩٤٧ص ٣٧٦، ٣٧٩.
- راجع أيضاً كتاب الأجبية .مكتبة المحبة القبطية الأرثوذكسية فبراير سنة ١٩٦٤ص٢٠٠، ٢٠٤ .
- راجع أيضاً كتاب الأجبية قبطي عربي مكتبة الكاروز سنة ١٦٩١ش ١٩٧٥م ، صلاة نصف الليل الخدمة الثانية ص ٣٨٠ ، الخدمة الثالثة ص ٣٨٨ .

زد على ذلك أن النص القبطي نفسه يؤكد أن التمجيد هو خاص بميلاد العذراء غير المدرك وميلادها الطاهر لأنه يحمل علامة التأنيث وليس فيه أي إشارة إلى ميلاد المسيح.

ونقاوه فائقين ، وصارت سبباً في خلاص الجنس البشري من أسر إبليس اللعين ، ووَجدتْ دالة عند إبنها الحبيب ." (١)

- " يا مريم خلصيني وإحمليني إلى المقار النورانية . . **بحق ميلادكِ العجائبي**، وبحق المجد الذي ذقتيه . " (٢)

- في بشارة الملاك جبرائيل للقديسة حنِّه بمولد العذراء قال لها :

" يا حنِّه إن الله سمع دعاكِ وصلواتك ، وانكِ ستحبلين **وتلدين إبنة مباركة ، وسيكون لها الطوبى في جميع الأجيال** ، وفي جميع أقطار المسكونة ، ومنها يكون الخلاص لآدم وذريته من أسر إبليس . " (٣)

- وفي مديح للعذراء بمناسبة ميلادها جاء في الابصلمودية السنوية ما نصه :

" التابوت غير الدنس . المصفَّح من كل ناحية ، والغطاء الكاروبي . القسط الذهب ، المنارة الذهب . المجمرة الذهب . عصا هارون التي أزهرت . والزهرة المقدسة التي للبخور . هذه جميعها معاً **تدلنا على ميلادك العجيب يا مريم العذراء** . " (٤)

- واستمرت (حنَّة) قلقة حتى صبيحة اليوم الأول من شهر بشنس ، **حيث وضعت (ولَدَتْ) العذراء الطاهرة بوجه ممتلئ من نعمة الروح القدس** ، ودعتها مريم كبشارة الملاك قبل الحَبَل بها . " (٥)

---

(١) اللآلئ السنيه في الميامر والعجائب المريمية . ناشد سركيس ، الطبعة الأولى سنة ١٩٣٦ ، طُبع في عهد قداسة البابا الأنبا يؤنس بابا وبطريرك الاسكندرية ، الميمر العاشر في نياحة السيدة العذراء لواضعه القديس الأنبا كيرلس بطريرك الاسكندرية صفحة ١٨٦ سطر ١ - ٤

(٢) مخطوط عربي رقم ٢٣٧ ورقة ٢٧ ظهر سنة ١٥٤٨ش ١٨٣٢م المحفوظ بالمتحف القبطي .
راجع أيضاً مجلة صديق الكاهن سنة ١٩٨٠ صفحة ٢٥٦ الحبل البرئ من دنس الخطيئة الأصلية للأب الدكتور ألفونس عبد الله .

(٣) اللآلئ السنيه الميمر الأول في ميلادالسيدة العذراء لواضعه القديس العظيم الأنبا افرام السرياني ص٣١.

(٤) الابصلمودية السنوية سنة ١٦٢٤ش ١٩٠٨م ، طبعة عين شمس
صفحة ١٣٤ ، ١٣٦ : ثاودوكية الأحد (٤) .

(٥) اللآلئ السنية في الميامر والعجائب المريمية ، ناشد سركيس سنة ١٩٣٦ .
الميمر الأول في ميلاد السيدة العذراء لواضعه القديس العظيم الأنبا افرام السرياني صفحة ٢٢ سطر ١٧-١٨ .

– " . . وفيما كانت حنّة تسكب على الرضيعة (مريم) ماء لتحميها حسب السُنة التي كانت مُتّبعه قديماً **رأت وجهها يتلألأ نوراً ساطعاً** ، ففرحت وباركت الله وسبّحت مع داود النبي قائلة : " إلهي لقد رفعتَ شعباً متواضعاً . . طوبى لي أنا الحقيرة بالمولودة مني مريم العذراء والدة الإله ، فلتفرح معي قوات السماء . . " (١)

لذلك تترنم الكنيسة القبطية الإسكندرية في القطعة اليونانية الرابعة بتمجيد للسيدة العذراء قائلة : في ميلادك حفظت البتولية وصنتِها . . .(٢)

والنتيجة إذن أنه منذ اللحظة الأولى لدخولها إلى العالم كانت مريم تتلألأ ممتلئة نعمة، بين مصاف الملائكة والقديسين ، وكان وجهها يشرق بجمال رائع لم تَشهد له الأرض مثيلاً منذ بدء الخليقة ، لأنها حَفظت البتولية في ميلادها وفي هذا إشارة إلى دخولها العالم وهي ممتلئة بالنعمة ، إنها هيكل اللاهوت ، يشملها الأقانيم الثلاثة بنظرات الأستحسان والرضى ، يَستجلي محاسنها الآب السماوي الذي خلقها وفق قلبه، يُعجب بها ويحبها حباً لا حدً له الإبن الوحيد الذي سيدعوها قريباً أمه ، وفي نفسها كمسكن رائع الجمال يفيض الروح القدس كنوز نعمه .

سادساً : الأعياد التي رسمتها الكنيسة الأسكندرية لتكريم العذراء مريم :

وتأكيداً لهذا المعتقد الشعبي الراسخ في الكنيسة منذ القِدم ، سجّلت الكنيسة القبطية الإسكندرية في جداول أعيادها مناسبات عديدة للإحتفال بأمجاد العذراء مريم وهذه الأعياد نذكر منها على سبيل المثال :

١ – التذكار الشهري لوالدة الإله :

وقد خصصت الكنيسة القبطية اليوم الحادي والعشرين من كل شهر قبطي للإحتفال بتذكار العذراء مريم والدة الإله ، وأثبتت ذلك في كتابي السنكسار والدفنار اللذين إشتملا على أوصاف رائعة الجمال نقتطف منها :

" أنها (العذراء) **الحقل الذي للطيب، والحمامة التي بلا عيب، والقبة التي للقدس** ." (٣)

---

(١) نفس المرجع السابق الميمر الثاني دخول السيدة العذراء إلى الهيكل لواضعه الأنبا كيرلس أسقف أورشليم صفحة ٣٣ ، ٣٤ .

(٢) كتاب خدمة الشماس والألحان طبعة نهضة الكنائس سنة ١٩٥١ صفحة ٤٩٣ .

(٣) كتاب الدفنار اليوم الحادي والعشرون من شهر توت .

" السلام للعذراء أم الطُهر . . . **المزينة بكل نوع** . . .

السلام للهيكل الذي سكن فيه الملك . . .

السلام للأمانة التي فيها الملح الذي يُصلح النفوس . .

السلام للباب الذي في ناحية المشرق الذي رآه حزقيال النبي . " (١)

" **أنت يا مريم العذراء مُزيَّنة أفضل من طيب العنبر** . .

هوذا حقل مختار ، منيع ، عَطِر وقد نطق إسحق بكرامتها . .

هوذا كرمة على الجبل . . . **وبستان مختار يفوح بطيب عطر** من ثيابك الطاهرة يا مريم العذراء . " (٢)

" **قد صرتِ مختارة أفضل من القوات المقدسة .**

السلام للحقل الطاهر . .

السلام لينبوع ماء الحياة الذي روى النفوس العطشى إلى البر . . .

السلام لك يا مريم أنت أفضل من الملائكة . . يا مركبة الله الخالق . " (٣)

السلام **للتي صارت سماء على الأرض** لأنها قَبِلتْ إليها الخالق . . .

إن هذه العذراء صارت كرسياً للكائن في السماء الثالثة (٤) :

السلام للتي **صارت سماء على الأرض** لأنها قبلت الخالق إليها .

السلام **للقبة الثانية** . . السلام **لمسكن الله الكلمة** . .

السلام لكِ يا مريم الملكة الحقيقية . . السلام للثمرة (٥) .

السلام للتي وَلدتْ النور الحقيقي ، الجبل الناطق (٦) .

---

(١) كتاب الدفنار اليوم الحادي والعشرون من شهر توت (حز ٤٦ : ١ - ١٢) .

(٢) كتاب الدفنار اليوم الحادي والعشرون من شهر بابه .

(٣) كتاب الدفنار اليوم الحادي والعشرون من شهر بابه .

(٤) كتاب الدفنار اليوم الحادي والعشرون من شهر هاتور .

(٥) كتاب الدفنار اليوم الحادي والعشرون من شهر هاتور (في المخطوطات :الرمان العقلي) .

(٦) كتاب الدفنار اليوم الحادي والعشرون من شهر هاتور (دعيت العذراء : الجبل الناطق لأن إبن الله الكلمة حلَّ فيها) (راجع خروج ١٩) .

أنت مزيَّنة بالصدق والحق يا مريم العذراء والدة القداسة .

في العهد القديم أتوا بعنقود عنب وأحضروه إلى موسى في المحلة [١] .

وفي العهد الجديد جاءت مريم الكرمة الحقيقية التي لعنقود الحياة .

في العهد القديم خلَّص الفلك نوحاً وكل أهل بيته [٢] .

وفي العهد الجديد **صارت مريم الفُلك الجديد الذي خلَّص العالم كله** . [٣]

أبصر دانيال الجبل الذي قُطع منه حجر بغير يد إنسان [٤] .

فالجبل يرمز إلى العذراء ، والحجر إلى مخلصنا ، لأن داود النبي نطق بكرامتك قائلاً : " جبل الله الدسم " [٥] فكل الهدايا الفاخرة قُدِّمت كرامة لمريم العذراء . "

السلام لك يا مريم الشاة الطاهرة التي ألبستنا ثوب الخلاص . . .

السلام **للحقل الطاهر** الذي باركه الله فوجد فيه القمح المقدس ...

السلام **للقسط الذهبي** المصفى الذي ظهر فيه المن العقلي ...

السلام للتي صارت سماء على الأرض ...

السلام للسماء الثانية المقدسة ...

السلام لمسكن الله الكلمة ...

السلام للمنارة التي حملت النور الحقيقي ...

السلام للمذبح الناطق المقدس ...

السلام للحسنة المزينة أكثر من جميع النساء الساكنين على الأرض [٦] .

---

(١) كتاب الدفنار اليوم الحادي والعشرون من شهر كيهك (سفر العدد ١٣: ٢٣) .

(٢) كتاب الدفنار اليوم الحادي والعشرون من شهر كيهك (تك ٦ : ٨) .

(٣) كتاب الدفنار اليوم الحادي والعشرون من شهر كيهك .

(٤) كتاب الدفنار اليوم الحادي والعشرون من شهر كيهك (دانيال ٢ : ٣٤) .

(٥) كتاب الدفنار اليوم الحادي والعشرون من شهر كيهك (مز ٦٧ : ١٦) .

(٦) كتاب الدفنار اليوم الحادي والعشرون من شهر كيهك .

وما إلى ذلك من الأوصاف والتعبيرات الجميلة المُدرجة في اليوم الحادي والعشرين من كل شهر قبطي في كتابي السنكسار والدفنار وعلى القارئ الذي يرغب في المزيد أن يرجع إلى هذين الكتابين .

٢- الأعياد التي رسمتها الكنيسة الإسكندرية إحتفالاً بالحبل بمريم وبميلاد مريم :

تحتفل الكنيسة القبطية الأسكندرية بصفة خاصة في اليوم السابع من شهر مسرى بتذكار بشارة يواكيم بميلاد البتول ، وهو عيد حَبَل القديسة حنَّة بالعذراء مريم . كما وضعت الكنيسة عيداً آخر في اليوم الأول من شهر بشنس : هو عيد ميلاد البتول العذراء مريم والدة الإله ، متخطية بذلك التقاليد المرعية في النظم الكنسية ، فإن الكنيسة لا تحتفل بأي قديس في ذكرى ميلاده ، لكنها تكرمه في ذكرى إنتقاله أو إستشهاده ، فإن ذكرى ميلاد البشر تُشير إلى السقطه الآدميه وبالتالي إلى الخطيئة الأصلية ، ولا يمكن للكنيسة أن تحتفل بأحد في ذكرى ميلاده لأنه وُلد مجرداً من النعمة ، ومنفصلاً عن الله ، فهل يُعقل أن يكون موضوع هذين العيدين حادثاً مشيناً، هو خطيئة في نظر الله ؟ .

وإن صح القول بأن العذراء مريم لم يُحبَل بها بلا دنس ، وأنها وُلدت بالخطيئة الأصلية شأنها شأن سائر البشر ، فلا يُفهم لماذا وضعت الكنيسة القبطية الإسكندرية هذين العيدين لتكريم العذراء مريم بصفة خاصة في ذكرى الحَبَل بها وذكرى ميلادها ؟.

وإن كانت الكنيسة قد أخذت على عاتقها هذه البادرة في إقامة أعياد للإحتفال بذكرى الحَبَل بمريم أو ذكرى ميلاد مريم ، أو ذكرى تقدمة مريم إلى الهيكل في الثالث من كيهك ، أو ذكرى نياحة مريم في ٢١ طوبه ، فما ذلك إلا لتكشف أمام المؤمنين عن شخصية مريم وما تمتَّعت به من نِعم غزيرة أُفيضتْ عليها بامتياز خاص من الله وذلك إما لتأهيلها للأمومة الإلهية وإما لممارسة حياتها بصفتها أم الله ، وفي الحالتين ينبغي إقصاء دنس الخطيئة الأصلية عن نفسها ، لأنه لا يمكن أن تتفق ملء النعمة مع الخطيئة أو الدنس .

وقد رسمت الكنيسة هذه الأعياد بكل حق وصواب ، لأنها إذا كانت تقيم أعياداً لمناسبة تدشين الكنائس أو الهياكل للرب ، في ذكرى اليوم الذي فيه تم تكريس الكنيسة ، فبأولى حُجة تحتفل الكنيسة بتلك اللحظة التي صار فيها تقديس وتدشين جسد مريم العذراء هيكلاً قدوساً نقياً للرب ، هذا الهيكل الذي بناه الثالوث الأقدس في من إختارها وإصطفاها لتكون أماً للإله المتجسد ، فحملت جمر اللاهوت في أحشائها ولم تحترق .

كما تقيم أيضاً الكنيسة القبطية في اليوم السادس عشر من شهر مسري من كل عام عيداً من أعيادها الكبرى هو عيد انتقال جسد البتول الطاهرة مريم العذراء إلى السماء

وجلوسها عن يمين إبنها وإلهها وحولها طغمات الملائكة (راجع سنكسار ١٦ مسرى) وتقام بمناسبة هذا العيد موالد وإحتفالات شتى في جميع أرجاء البلاد ، وما ذلك إلا تعبيراً عن تقديم آيات الشكر لله القدير عن حادث فريد في نوعه هو إنتقال سيدتنا مريم العذراء دون سائر القديسين بالنفس والجسد ، إلى السماء ، وإنفرادها بهذا الإمتياز العجيب متسامية على كافة الشهداء الذين جادوا بأرواحهم وسالت دماؤهم أنهاراً دفاعاً عن إيمانهم القويم .

ولما كانت الكنيسة تعلّم أن الأجساد جميعها تعود إلى الإتحاد بالأرواح في يوم القيامة، فلماذا تستثني مريم العذراء وتقيم لها عيداً في ذكرى إنتقالها بالنفس والجسد إلى السماء ؟ .

يقول ثيودوسيوس بطريرك الأسكندرية (+٥٦٥) مخاطباً العذراء في ميمره عن إنتقالها إلى السماء : " قُم أيها الجسد المقدس وإتحد بالنفس السعيدة وأنا أعطيك القيامة قبل كل الخليقة . " (١)

إن السبب في ذلك واضح وجلي وهو أن جسد مريم لم يَخضع لسلطان الخطيئة ولو للحظة واحدة ، لذلك لم يسرِ عليه قانون التحلل الذي سرى على البشر أجمعين ، وذلك لأن جسدها لم يَخضع لخطيئة آدم (الخطيئة الأصلية) ولم تسرِ عليه العقوبات التي سَرتْ على نسل آدم الذين ورثوا الدَين عن والديهم الأولين وعليهم سداده .

والنتيجة إذن أن جسد مريم قد إمتلأ بالقداسة في اللحظة الأولى لتكوينه في الأحشاء، فقد أفيضت فيه روحها المملوءة بالنعمة ، فلا يَصح لهذا الجسد أن تحل عليه اللعنات التي حلّت ببني آدم كالموت والتحلل ، لذلك وجب القول أنه قد حُبل بها بدون الخطيئة الأصلية ، وهذا هو سبب من الأسباب التي جعلتها تَصعد ممجدة إلى السماء بالنفس والجسد .

ولا غرابة في ذلك ، فإنه إن كان الله بأعجوبة خارقة العادة قد حافظ على بتولية مريم دون مساس ، فصارت مريم بتولاً قبل ولادة المسيح وأثناء ولادته وبعد ولادته وتسميها الكنيسة : " الدائمة البتولية " ، وبأعجوبة ثانيه إنتقلت مريم بالنفس والجسد إلى السماء ، نتساءل هنا قائلين هل كان يَصعب عليه تعالى أن يحفظ نفس أمه من التلوث بالخطيئة

---

(١) راجع ميمر ثيودوسيوس بطريرك الأسكندرية عن رقاد وانتقال العذراء إلى السماء .

. Revue Orient Chretien (1933-34) Ser.39 P.313

الأصلية فيعصمها منها منذ اللحظة الأولى لبدء كيانها ؟ !

سابعاً : الترانيم الطقسية التي تُشير فعلاً إلى فحوى العقيدة :

والترانيم التي تتغنى بها الكنيسة القبطية الإسكندرية في مديح العذراء مريم تشمل فحوى العقيدة ومعناها الحقيقي ، فمنذ القِدم يُرنم الشعب للعذراء هذه الترنيمة التي تتوارثها الأجيال ، ومطلعها : مَجد مريم يتعظم في المشارق والغروب . .

" قد رآهـا واصطفاهـا رب كل العـــــالمين
وَوقاها مُذ براهـا كل محظـــــور يشين ." (١)

- وفي لحن البركة للسيدة العذراء الذي مطلعه : السلام لمريم الملكه ونبع الكرمه . .

في المقطع السابع نقول :

" فلنكرم بتولة ، **العروس المصونة التي من الشر نقية مأمونة**
الكلية الطُهر العفيفة الحنونـــة والدة الإله . مريم الميمونة . " (٢)

وفي تعبير آخر بنفس المعنى لنفس هذا اللحن نقول :

" نكرمكِ يا ذات البتولية **يا عروس من الشر نقية**
قديسة طاهرة ونقيـــة مريم والدة الكلمة الأزلية . " (٣)

- وفي مديح للعذراء مريم مطلعه : يا من عُطيتِ أشرف عطية . . نقول :
" ثمرة حشاكِ بالنعمة ملاكِ **هو أنشأكِ طاهرة ونقية** . " (٤)

وفي ترنيمة للعذراء في عيد انتقالها بالنفس والجسد إلى السماء نقول :

- " **برية بهية من بَطن أمك عفيفة نقية طول دهرك**

---

(١) كتاب الترانيم والمدايح للمعلم فرج عبد المسيح سنة ١٩٥٩ صفحة ٥٥٠ .
راجع أيضاً كتاب مختارات الترانيم مكتبة المحبة القبطية الأرثوذكسية صفحة ١٩٧ .
(٢) كتاب مختارات الترانيم مكتبة المحبة صفحة ١٩٥ .
(٣) كتاب خدمة الشماس والألحان طبعة نهضة الكنائس سنة ١٩٥١ صفحة ٣٥ .
(٤) كتاب مختارات الترانيم مكتبة المحبة ص ٢٠٣ ،
كتاب مدائح وترانيم منتخبة مكتبة المحبة ص ٣٥٩ .

سلطانة أبدية شبه إبنك نرفعكِ بالتمجيدات .

- أنت شريفة دون الناس **نقية من كل الأدناس .**

وأتانا منك الخـــــلاص نُعظمك كل الأوقات .

وفي ترنيمة أخرى للعذراء :

لم يَجد الرب من هو شبهك صرتِ لنا هيكلاً منصان

وصرنا أحراراً بشرف قُدسك وعتقنا من أسر الشيطان [1]

وفي مدائح كيهك ترنم الكنيسة :

طوباك يا مملوءة نعمة عند إبنك إشفعي فينا

من تُدعى غير الدنسة إلا مريم بطهارتهـــا

جميع الألسن لمجســـة وكيف تنطق بكرامتها [2]

- ونرى في هذه الترانيم والمدائح إعترافاً صريحاً وواضحاً في تقليد الكنيسة القبطية الأسكندرية ، بأن مريم العذراء وُجدت خالية من كل خطيئة مشينة (أصلية أو فعلية) مُذ براها الله أي منذ اللحظة الأولى للحَبَل بها في أحشاء أمها .

وهكذا يظهر جلياً أن هذه العقيدة ليست جديدة أو دخيلة على الكنيسة الكاثوليكية فإنها قد نشأت مع الكنيسة ، وهي قديمة بقدم الكنيسة نفسها ، وليس من دليل يدل على قِدم الشئ أقوى من التقليد الذي تتوارثه الأجيال ، فقد كانت هذه العقيدة مُعَاشَة من الأقدمين والمسيحيين الأولين ، وقد تبلور معناها على مدى العصور إلى أن أخذت صبغتها النهائية في الكنيسة الكاثوليكية بأن أعلنها البابا بيوس التاسع كعقيدة إيمانية محددة سنة ١٨٥٤

(١) كتاب الدُرَّة الأرثوذكسية في المدائح والتراتيل الكنسية ، للشماس فرج عبد المسيح الطبعة الأولى سنة ١٩٨٣ صفحة ١٠

(٢) مدائح كيهك عشية الأحد الأول

الخاتمة

وبعد هذه الجولة بين مروج آباء الكنيسة ، والنصوص الطقسية العريقة في القدم، نستطيع أن نقول أن جميع هذه التصريحات الواضحة والقوية من الجيل الثالث الميلادي حتى نهاية الجيل العشرين تبدو لنا كافية كل الكفاية ، لتُظهر في جلاء ما بعده جلاء ، موقف الكنيسة ، وآباء الكنيسة وبابواتها وحتى المنشقين عنها أمثال : نسطور وقوثيوس ولوثيروس (راجع صفحة ٨٥ وصفحة ٩٥ وصفحة ٤١) من عقيدة تنزيه مريم العذراء عن الخطيئة الأصلية ، التي يمكننا أن نعبر عنها بتعبير بسيط وواضح قائلين :

" إنها عناية الله المُسبقة في إختيار شخص معين وتخصيصه بكامله لذاته تعالى ، منذ لحظة بدء كيانه ، فيدعوه للإشتراك معه في تنفيذ مواعيده الإلهيه ، ويتجاوب هذه الشخص بقبول دعوة الله له بإيمان وثقة في الله القدير للإشتراك في تنفيذ التدبير الإلهي المُعلَن له تدريجياً " .

وهذا هو معتقدنا جميعاً في شخص العذراء مريم المختارة منذ الأزل لمقام الأمومة الإلهية ، تمهيداً لإتمام الخلاص .

ورجاؤنا أن الأم الطاهرة المَصونة من كل خطيئة ، ستجمع قريباً في وحدة الإيمان بامتيازاتها العظيمة والفريدة ، جميع الذين ينتمون إلى رعية إبنها يسوع .

المراجع

الكتاب	المؤلف
اليوبيل المئوي لاعلان عقيدة الحبل بلا دنس	للأب يوسف لويس
رد ال ٤٣ سهم	للمنسنيور فرنسيس قزمان
مرشد الأرثوذكس الكاثوليكي	للأنبا الكسندروس إسكندر
المقارنة بين الدين الكاثوليكي والمذهب البروتستانتي	الأنبا أغناطيوس برزي
مختصر في علم اللاهوت العقائدي	لودويج أوت
الرؤية الأرثوذكسية لوالدة الإله رقم ٩	مجموعة من المؤلفين
مريم أم المسيح (سلسلة الإيمان الحي)	الأب جبرائيل فرج
رد على بطريرك الروم القسطنطيني فيما يتعلق بعقيدة الحبل بلا دنس سنة ١٨٩٧	الأب أنطون صالحاني
شرح أناجيل الآحاد	الأب لويس برسوم
مريم العذراء أم الرحمة والخلاص	الراهب القمص لوقا الأنطوني
حياة مريم العذراء	د . يعقوب جرجس نجيب
عذراء العذارى	الأب يوسف لويس
اللآلئ السنيه في الميامر والعجائب المريمية	ناشد سركيس
مريم العذراء وقضايا العصر	المطران عبده خليفه
مريم العذراء في التاريخ والطقس والعقيدة	القمص سيداروس عبد المسيح
مريم العذراء والدة الإله	القس زكريا خليل النخيلي
عصمة العذراء في التقليد الشرقي مجلة المسره سنة ١٩٥٤	الأب جورج فاخوري البولسي
اليوبيل الذهبي لعقيدة الحبل بلا دنس مجلة المشرق سنة ١٩٠٤	الأب أنطون صالحاني
العذراء مريم حلب ١٩٦٢	الأب يواكيم نمنم
في خدمة البشارة الجزء الثامن سنة ١٩٨٩	الأب جميل نعمه الله السقلاوي

اللاهوت المسيحي والإنسان المعاصر	الأب سليم بسترس
مريم في الكنيسة القبطية	الأنبا تيموثاوس(الأسقف العام)
العذراء في اللاهوت النسكي -	الأب متي المسكين

- Dictionnaire de Theologie Catholique. art. Jmmaculeé, Marie.
- Dictionnaire d'Histoire et de Geographie Ecclesiastique.

محتويات الكتاب

هذا الكتاب

هو دعوة للتأمل والبحث في مكانة مريم العذراء وسر تكريمها في الكنيسة وهل خضعت لشريعة الخطيئة الأصلية من عدمه ، هي التي كان الله قد اختارها منذ الأزل لمقام الأمومة الإلهية .

وذلك من خلال أقوال آباء الكنيسة والنصوص الطقسية العريقة في القدم في مختلف الكنائس الشرقية .



يطلب من بطريركية الأقباط الكاثوليك